٤٤١ ورقه

اوراق السبع عشر

الجلد الاول من تفسير للقاضي بيضاوي

نسخ ٢١

١٧٢

بيضاوى
م

قد اعار [illegible] زمان [illegible] من فقير استغفاره من الاخوان
السيد محمد القدسي الغربي [illegible] خادم الكتب
الشريف بالحرم الابراهيمي [illegible]
الحجة [illegible] شاه [illegible]
والبلدية
[illegible] ١٣١٨

١٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى بأقصر سورة من سوره مصاقع
الخطباء من العرب العرباء فلم يجد به قديرا وأفحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء
قحطان حتى حسبوا أنه سحر تسحيرا ثم بين للناس ما نزل إليهم حسبما عن لهم من مصالحهم
ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن آيات محكمات هن أم
الكتاب وأخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وأبرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق
ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الأحكام
وأوضاعها من نصوص الآيات وألماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب
أو ألقى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع إليه رأسه وأطفأ نبراسه
يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل
عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من أعانه وقرر تبيانه تقريرا وأفض علينا من
بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا وبعد فإن أعظم
العلوم مقدارا وأرفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها
ومبنى قواعد الشرع وأساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية
كلها أصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها ولطالما أحدث نفسي
بأن أصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم
من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل
المتأخرين وأماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراءات المشهورة المعزية إلى الأئمة الثمانية المشهورين
والشواذ المروية عن القراء المعتبرين إلا أن قصور بضاعتي يثبطني عن الإقدام ويمنعني عن الانتصاب
في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما أردته والإتيان بما
قصدته ناويا أن أسميه بعد أن أتممته بأنوار التنزيل وأسرار التأويل فها أنا الآن أشرع وبحسن توفيقه
أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤول سورة فاتحة الكتاب وتسمى أم القرآن لأنها مفتتحه
ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا أو لأنها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله والتعبد
بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والأحكام العملية التي هي سلوك
الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الأشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما
وابن المبارك والشافعي رحمهم الله وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي
ولم ينص ابو حنيفة فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين
كلام الله لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن
بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية ومن اجلها اختلف انها آية برأسها او بما بعدها والاجماع
على ان ما بين الدفتين كلام الله والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب آمين والباء
متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ لان الذي يتلوه مقروّ وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية
مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه ويدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول
ههنا اوقع كما في بسم الله مجراها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود
فان اسمه تعالى مقدم على القراءة كيف وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه
تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى
متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده الى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد
على نعمه ويسأل عن فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام
الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينها وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي
حذف اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤوا
بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء واسامي وسمي وسميت ومجيء سمى كهدى لغة فيه قال
والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى
وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان
الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به
اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة
ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم
ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها
عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر الى الحول ثم اسم السلام عليكما وان اريد به الصفة
كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى ما ليس
هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن
ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة
وعوضت عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق والاله في اصله لكل معبود
ثم غلب على المعبود بالحق واشتقاقه من اله الهة والوهة بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله
اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره اذ العائذ يفزع
اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد

ومن

او من وله اذا تحير وتخبط عقله وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال
الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه مصدر لاه
يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه تعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شيء وعما لا يليق به ويشهد له
قول الشاعر كحلفة من ابي رباح يشهدها لاهه الكبار وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به
ولانه لا بد له من اسم تجري عليه صفاته ولا يصلح له مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن
قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما
غلب عليه بحيث لا يستعمل في غيره وصار كالعلم مثل الثريا والصعق اجري مجراه في اجراء الوصف عليه
وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته من حيث هو بلا اعتبار امر آخر
حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد
ظاهر قوله تعالى وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين
مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل اصله لاها بالسريانية
فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا
وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر الا لا بارك الله في سهيل
اذا ما الله بارك في الرجال **الرحمن الرحيم** اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم
من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها
على ما فيها واسماء الله تعالى انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات
والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة اللفظ تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطّع وذلك انما يؤخذ تارة باعتبار
الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن
ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس
يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره
لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستعيض
بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جزيل ثناء او مزيح رقة الجنسية او حب المال
عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة على ايصالها والداعية الباعثة
عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها
احد غيره او لان الرحمن لما دل على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة
والرديف له او للمحافظة على رؤوس الآي والاظهر انه غير منصرف وان حظر اختصاصه بالله تعالى
ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وتخصيص التسمية بهذه الاسماء
ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولي النعم كلها
عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل
سره بذكره والاستمداد به عن غيره **الحمد لله** الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها
والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته

وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني
والضمير المحجبا فهو اعم منهما من وجه واخص من وجه آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل
على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اداب الجوارح من الاحتمال جعل راس الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة
والسلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء
وخبره لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته له دون تجدده وحدوثه
وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما
يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او قيل للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط او
بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان
هذا شانه وقرئ الحمدِ لله باتباع الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا بمنزلة كلمة واحدة
رب العالمين الرب في الاصل بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم
والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا
يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته يدل على وجوده
وانما جمع ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمع بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل
اسم وضع لذوي العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني به الناس
ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم به
الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم فلذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات
كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل
على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قراه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله تعالى
لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف يشاء من الملك والملك
هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك وقرئ ملْك بالتخفيف وملَكَ بلفظ الفعل ومالكا
بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا
بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة ولم يبق سوى العدوان
دناهم كما دانوا اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق
الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة او له الملك في هذا اليوم
على وجه الاستمرار ليكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل
الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده بنفوذ الامر فيه
واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه رب العالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها
وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق منه

بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من
طريق المفهوم على ان من لا يتصف بتلك الصفات لا يستاهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون
دليلا على ما بعده وهو اياك نعبد فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية
والثاني والثالث لدلالته على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات
او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال حتى يستحق به الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل
الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك
نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم
بمعلوم معين خوطب بذلك اي يا من هذا شانه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص
والترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكان الكلام على ما هو مبادي حال
العارف من الذكر والفكر والتامل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظم شانه وباهر سلطانه
ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها
اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول
من اسلوب الى اسلوب آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم
وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقوله
امرئ القيس تطاول ليلك بالاثمد • ونام الخلي ولم ترقد • وبات وباتت له ليلة • كليلة ذي العائر الارمد •
وذلك من نبا جاءني • وخبرته عن ابي الاسود • واياك ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف
والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك
وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ
لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر واياه عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل
وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق
معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا يستعمل الا في الخضوع لله تعالى
والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غيرها والضرورية ما لا يتاتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول
آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية
تحصيل ما يتيسر به الفعل ويتسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه
وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن
في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته
في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم
المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات
ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق
فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه

ولاحالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه
حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص
على ان المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة لتوافق رؤس الآي وليعلم منه ان تقديم الوسيلة
على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر
عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق
وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينا بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون
حرف المضارعة سوى اليا اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكانه
قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل
في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهداية وهوادي الوحش لمقدماتها
والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه
وهداية الله تتنوع انواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس
مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر
الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه
النجدين وقال واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب
واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم والرابع
ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء
والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف
الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك
فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة
والسراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من
قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب الى المبدل منه وقرا ابن
كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش
والثابت في الامام وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به
طريق الحق وقيل ملة الاسلام بدل من الاول بدل الكل من الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة
وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على اكد وجه وابلغه لانه جعل
كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذي لا خفاء فيه وان الطريق المستقيم ما يكون طريق المومنين وقيل
الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل التحريف والنسخ وقيل وقرئ صراط من
انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه
من النعمة وهي اللين ونعم الله تعالى وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين
دنيوي واخروي والاول قسمان روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر

والنطق

والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيآت العارضة له من الصحة وكمال الاعضاء
والكسبي تزكية النفس عن الرذايل وتحليتها بالاخلاق النفيسة والملكات الفاضلة وتزيين البدن
بالهيأت المطبوعة والحلي المستحسنة وحصول الجاه والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه
ويبوئه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الابدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله
من القسم الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين**
بدل من الذين ~~او صفة له مبينة او مقيدة~~ على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب
والضلال انما يصح باحد التاويلين اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم تقصد معهود كالمحلى في قوله ولقد
امر على اللئيم يسبني وتوهم اني لامر علي لرجل مثلك فيكرمني وجعل غير معرفة بالاضافة لانه اضيف
الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال
من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين
والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر
وعليهم في محل الرفع لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتاكيد ما في غير من معنى النفي فكانه قال
لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع
انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا او خطأ وله
عرض عريض والتفاوت ما بين ادناه واقصاه كثير وقيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم
من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وضلوا
الاية وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان
المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه
العاقلة او العاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه
والمخل بالعلم جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة
من جد في الهرب من التقاء الساكنين **امين** اسم الفعل الذي هو استجب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وقد جاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس
من القران اتفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني جبرئيل عليه السلام امين عند
فراغي من قراءة الفاتحة وقال انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه امين خاتم رب العالمين
ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وايل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة انه لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه
كما رواه عبد الله بن مغفل وانس رضي الله عنهما والمأموم يؤمن معه لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين
فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل
والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي

أو صفة له مبينة او مقيدة على معنى ان المنعم عليهم هم الذين جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال عن ذلك صح

اوتيته عن ابن عباس رضي الله عنهما بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اذ اتاه ملك فقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته
وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب
اربعين سنة **سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وست وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم**

الم وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار
ما يختص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبذلك صرح الخليل وابو علي وما روى
ابن مسعود انه عليه السلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول
الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيص الحرف
به عرف متجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت
بها ليكون بداءتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم يلها العوامل
موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه معرضة له اذ لم تناسب مبنى الاصل ولذلك
قيل ص وق مجموعا فيهما بين الساكنين ولم تعامل معاملة هؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام
وبسائطه التي تركب منها افتتحت السور بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان المتلو عليهم
كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم
عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف
مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة
والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر
اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا براسها في تسع وعشرين سورة بعدد ها اذا عد
فيها الالف مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهو ما يضعف الاعتماد على مخرجها ويجمعها ستشحثك
خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفا يجمعه لن يقطع امر ومن
الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها خمس
على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والطاء والضاد والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها
ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن الليينتين
الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف
والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها
ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها
الستة الشايعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في
اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو
والباء في باسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد
والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقلوب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء

في المقاربان

والميم

والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو ونصفها الاول ومما يدغم فيها
وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين والنون واللام لما
في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها وهي الميم والزاي والشين والفاء
نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل
والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت
ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من زوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها
تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة
ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها
كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد
في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل
بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة
اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاثة
في ثلاثة عشر سورة تنبيها على ان اصول الابنية
المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما
اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن
لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف
من جنس هذه الحروف او المؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها
كلمات معروفة التركيب فلو لم يكن وحيا من الله تعالى لم يتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل
عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن
باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها
القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب فظاهر انه ليس كذلك
او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال
لم لا يجوز ان يكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستيناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى
كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت قاف لا تحسبي انا نسينا الايجاف
كما روي عن ابن عباس انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن
وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد
اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قاله
ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه السلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوا وقالوا كيف ندخل في دين
مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر
والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها ناخذ فان تلاوته اياها بهذا الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم
دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات
كالمشكاة والسجيل والقسطاس او دال على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء

ثم يخفف مد الحروف ان وقف ومد على الف منجبرتها والثلث ثلاثيات لحصر بما في الاقسام الثلاثة ثم

الله تعالى ومادة خطابه هذا وأن القول بأنها أسماء السور يخرجها الى ما ليس في لغة العرب لأن التسمية
بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكرة عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء من الكل من حيث
ان الاسم يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الألفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف
[والاستئناف]
يلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا يقتضي ذلك ان لا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار
من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع الاسماء ومبادئ
الخطاب وتمثيل بأمثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير ولا تخصيص بهذه المعاني
دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى ولا بحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم
تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار أشياء لا دليل عليها والتسمية بثلاثة [أسماء]
انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فأما اذا نثرت نثر أسماء العدد فلا وناهيك بتسمية [شعرية] سيبويه
بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر و[كافية] طائفة من أسماء الحروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد
وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه اسما فلا دور والوجه الأول أقرب الى التحقيق وأوفق للطائف التنزيل
وأسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الأعلام من واضع واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية
وقيل انها أسماء القرآن ولذلك أخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها أسماء الله تعالى ويدل على ذلك ان عليا رضي الله عنه
كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله أراد يا منزلهما وقيل الألف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف
اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهي آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون أول كلامه وأوسطه
وآخره ذكر الله تعالى وقيل انها سر استأثر الله بعلمه وقد روي عن الخلفاء الاربعة وغيرهم من الصحابة ما يقرب منه
ولعلهم أرادوا انها أسرار بين الله ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب بما لا يفيد فان جعلتها
أسماء الله تعالى أو السور أو القرآن كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء أو الخبر أو النصب بتقدير فعل القسم
على طريقة الله لأفعلن بالنصب وغيره كما ذكر أو الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما
كانت مفردة أو موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا
ان شاء الله وان أبقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء أو الخبر [كما مر]
وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا أو مجرورا على اللغتين في الله لأفعلن وتكون جملة قسمية
بالفعل المقدر له وان جعلتها أبعاض كلمات أو أصواتا منزلة منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب
كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقفا تاما اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس منها
شيء آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطه وطسم وحم ويس آية وحمعسق
آيتان والباقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان أول
بالمؤلف من هذه الحروف أو فسر بالسورة أو القرآن فانه لما تكلم به وتقضى أو وصل من المرسل الى المرسل اليه [صار متباعدا]
أشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى أريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره أو صفته الذي هو هو
أو الى الكتاب فيكون صفته والمراد به الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ونحوه
أو في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة أو فعال بمعنى المفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم
عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب وأصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع

ثم عبر عنه عن المنظوم ع

برهانه

برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه
الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية فانه ما أبعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح
له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم
ان ليس فيها مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه
الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الأصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس
واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك
ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الأصل
مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال
تعالى لعلى هدى أو في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين
لانهم المهتدون به المنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم أو كافر وبهذا الاعتبار قال
هدى للناس أو لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات [والتعرف في النبوات]
فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة واليه أشار بقوله تعالى وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى
لما لم ينفك عن بيان يعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في
عرف الشرع اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الشرك
وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو
المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعني بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما
يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة واعلم ان الآية تحتمل [وجوه] أوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ
على انه اسم القرآن أو السورة أو مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان أخص من المؤلف مطلقا والأصل ان [الأخص]
لا يحمل على الأعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ أقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة
ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا أو بدلا والكتاب صفته ولا ريب في المشهورة مبني
لتضمنه معنى من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضها ولازمة للأسماء لزومها
وفي قراءة أبي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد
تخصيص نفي الريب فيه من بين سائر الكتب كما قصد ثمة أو صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال
أو الخبر محذوف كما في لا ضير فلذلك وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير
لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ أو الكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل
ان يسمى كتابا أو صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم والأولى ان يقال انها أربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة
منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون
منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه ثالثة تشهد على كماله اذ لا كمال
أعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله [يستتبع] او
[أي جملة]

[بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله (زيادة) بنفي الريب فيه صح]

السابقة منها اللاحقة استتباع الدليل للمدلول بيانه انه لما نبّه اولا على اعجاز المتحدي به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تاخير الظرف حذرا من ايهام الباطل وفي الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ** اما موصول بالمتقين على انه صفة مجروره مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مرتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل وموضحة ان فسر بما يعم فعل الطاعة وترك المعصية لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين والزكاة قنطرة الاسلام او مسوقة للمدح وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكوة بالذكر اظهار لفضلها على ساير ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتدا وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق ماخوذ من الامن كان المصدق آمن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمنه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق صار ذا امن ومنه ما امنت ان اجد الصحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فمنافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج خارج من الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه تعالى اضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغير فانه اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود او لا بد من انضمام الاقرار به للتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار والغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحس ولا تقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفي والمعنى انهم يؤمنون غايبين عنكم لا كالمنافقين

الذين

الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما امن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للالة **وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ** اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة قال اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده تقعد عن الامر وتقاعد او يؤدونها عبر عن ادائها بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمين الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكاة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعا وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** الرزق في اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان وتمكينه من الانتفاع به والمعتزلة لما استحالوا من الله ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام الا ترى انه تعالى اسند الرزق هاهنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المغتذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من هذا الانفاق صرف المال في سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول به للاهتمام والمحافظة على رؤس الاي وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام ان علما لا ينفق به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ** هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك

وتراكيبها

واصحابه

الذين آمنوا عن شرك وانكار وبهولاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلاً للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله
عنهما او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين آمنوا من اهل الكتاب ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم
ووسط العاطف كما وسط في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالآيب على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات
البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلين وتباين السبيلين او طائفة
منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة اشادة بذكرهم وترغيبا لامثالهم
والانزال النقل الشيء من اعلى الى اسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقه الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية
على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقنه
على الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه
مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد او تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان
الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب منزلا كله وبما انزل من قبلك سائر الكتب السابقة والايمان بها جملة فرض
عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث الحرج وتضييق المعاش **وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** اي يوقنون ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة
واختلافهم في نعيم الجنة اهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون
على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الآخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين
اتقان العلم بنفي الشبهة عنه نظرا واستدلالا ولذلك لا يوصف به علم الباري ولا العلوم الضرورية والآخرة
تانيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء
حركتها على اللام وقرئ يوقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره
لحب المؤقدان الي موسى وجعدة اذ اضاءهما الوقود **أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ** الجملة في محل الرفع
ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له وكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك
فاجيب بقوله الذين يؤمنون بالغيب الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها وكانه نتيجة الاحكام والصفات
المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك
القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان
يستانف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب
له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه حال من اعتلى الشيء وركبه وقد
صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واعتقد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر
فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل وتنكير هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا
يقادر قدره ونظيره قول الهذلي فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم واكد تعظيمه بان الله مانحه
والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة **وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على ان
اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف
لاختلاف مفهوم الجملتين ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة

والتشبيه

انا متعبدون بتفاصيله فرض ذلك على الكفاية لان وجوبه على كل يوجب الحرج وفساد المعاش ح

حقيق ح

والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا يناسب العطف وهم فصل يفصل
الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا والمفلحون خبره
والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب
وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم
تنبيه تامل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام
على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء اثرهم
وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في
الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم لا عدم الفلاح له راسا **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا** لما ذكر خاصة
عباده وخالصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بذكر اضدادهم المعاندة المردة
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شانه والاخرى
مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب
الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها
كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء
الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة
وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر في معرض الشك مثل ويسألونك عن ذي القرنين
قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال المبرد قولك
عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او
للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة ستر النعمة واصله
الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة
مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول
صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في نفسها واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ
المضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث
الكلام كما في العلم **سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ** خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء
نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده
مرتفع به على الفاعلية كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده
بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له اما لو اطلق
واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه

وان عبد الله ح

بالمصادر ح

كقوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه
وإنما عدل ههنا من المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة وأم عليه لتقرير معنى
الاستواء وتأكيده فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد
التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة والإنذار التخويف أريد به التخويف من عقاب الله وإنما
اقتصر عليه لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس من حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع فإذا لم ينفع فيهم
كانت البشارة بعدم النفع أولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية وقلبها ألفا وهو لحن لأن المتحرك
لا يقلب ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده وبتوسط الألف بينهما محققتين وبتوسطها والثانية بين بين
وبحذف الاستفهامية وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها **لا يؤمنون** جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه
الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة أو بدل عنه أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من
جوز تكليف ما لا يطاق فإنه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا وشمل
إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق أن التكليف بالممتنع لذاته وإن جاز عقلا من حيث إن الأحكام
لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والإخبار بوقوع الشيء أو عدمه لا ينفي القدرة عليه كإخباره
تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره وفائدة الإنذار بعد العلم بأنه لا ينجع إلزام الحجة وحيازة الرسول عليه السلام
فضل الإبلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة الأصنام سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم
صامتون وفي الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن أريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهي من المعجزات **ختم الله**
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم
الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له والبلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل في إحرازه
والغشاوة فعالة من غشاه إذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على
الحقيقة وإنما المراد بهما أن يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الإيمان
والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد وإعراضهم عن النظر الصحيح فيجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها
الحق وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لا تجتلي لها الآيات المنصوبة
في الأنفس والآفاق كما تجتليها أعين المستبصرين فتصير كأنها غطي عليها وحيل بينها وبين الإبصار وسماه على الاستعارة
ختما وتغشية أو مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة بها بأشياء ضرب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية
وقد عبر عن إحداث هذه الهيئة بالطبع في قوله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم
وبالإغفال في قوله ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالإقساء في قوله وجعلنا قلوبهم قاسية وهي من حيث
إن الممكنات بأسرها مستندة إلى الله تعالى واقعة بقدرته أسندت إليه ومن حيث إنها مسببة مما اقترفوه
بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت
الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل
الأول أن القوم لما أعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي
المجبول عليه الثاني أن المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن أو
قلوب مقدر ختم الله عليها ونظيره سال به الوادي إذا هلك وطارت به العنقاء إذا أطالت غيبته

الثالث أن ذلك في الحقيقة فعل الشيطان أو الكافر لكن لما كان صدوره عنه بإقداره تعالى
إياه أسند إليه إسناد الفعل إلى المسبب الرابع أن أعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يبق طريق إلى تحصيل إيمانهم سوى الإلجاء والقسر ثم لم يقسرهم إبقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم
فإنه سد لإيمانهم وفيه إشعار على ترامي أمرهم في الغي وتناهي انهماكهم في الضلال والبغي الخامس أن يكون حكاية
لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما
واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب الآية السادس أن ذلك في الآخرة وإنما
أخبر عنه بالماضي لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما السابع أن المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون عنهم
وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف إلى الله تعالى من طبع وإضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف
على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولأنهما لما اشتركا في الإدراك
من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذي يمنع من جميع الجهات وإدراك الأبصار لما
اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها عن فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون أدل
على شدة الختم في الموضعين واستقلال كل واحد منهما بالحكم ووحد السمع للأمن من اللبس واعتبار
الأصل فإنه مصدر في أصله والمصادر لا تجمع أو على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والأبصار
جمع بصر وهو إدراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل
المراد بهما في الآية العضو لأنه أشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق
ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وإنما جاز إمالتها مع الصاد
لأن الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور
عند الأخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على أبصارهم غشاوة
وبالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين غير المعجمة **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال
بناء ومعنى تقول أعذب عن الشيء ونكل عنه إذا أمسك ومنه الماء العذب لأنه يقمع العطش ويردعه ولذلك
سمي نقاخا وفراتا ثم اتسع فأطلق على كل ألم فادح وإن لم يكن نكالا أي عقابا يردع الجاني عن المعاودة
فهو أعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو إزالة العذب كالتمريض والتوحيد والعظيم نقيض
الحقير والكبير نقيض الصغير فكما أن الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به أنه إذا
قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه ومعنى التنكير في الآية أن على أبصارهم غشاء
ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامي عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع لا يعلم كنهه إلا الله
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح الكتاب وساق
لبيانه ذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم وثنى بأضدادهم الذين
محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة رأسا ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين
وهم الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم أخبث الكفرة وأبغضهم إلى الله تعالى لأنهم

مَوّهوا الكفر فخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طوّل في بيان خبثهم وجهلهم واستهزائهم وتهكم بهم بافعا
لهم وسجّل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وقصتهم
عن اخرها معطوفة على قصة المعذبين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسي فحذفت الهمزة حذفها
في لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطّلعن على الاناس الآمنينا
شاذ وهو اسم جمع كرُخال اذ لم يثبت فُعال في ابنية الجمع ماخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس
لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمي الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة
اذ لا عهد وكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابي
واصحابه ونظراؤه وانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا في عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم
بزيادة زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها
ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثاني واختصاص الايمان بالله وباليوم الآخر بالذكر تخصيص
لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون
فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون
بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار
لن تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم آمنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم
في كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف
وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفي تكرير الباء ادعاء للايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول
هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول والمعنى المتصور في النفس المعبر عنه باللفظ وللرأي والمذهب
مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهي او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر
الاوقات المحدودة **وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ** انكار ما ادعوه ونفي ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا
ليطابق قولهم في التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا ومبالغة في التكذيب لان اخراج
ذواتهم عن عداد المؤمنين ابلغ في نفي الايمان عنهم في ماضي الزمان ولذلك اكد النفي بالباء واطلق الايمان
على معنى انهم ليسوا من الايمان في شيء ويحتمل ان يقيد بما قيدوه لانه جوابه والآية تدل على ان من ادعى الايمان وخالف
قلبه لسانه بلا اعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن
مؤمنا والخلاف مع الكرامية في الثاني فلا ينهض حجة عليهم **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا** الخدع
ان توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتنزله عما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى في جحره
وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة
والاخدعان لعرقين خفيين في العنق والمخادعة تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه
لا يخفى عليه خافية ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد به مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان
معاملة الرسول معاملته من حيث انه خليفته كما قال من يطع الرسول فقد اطاع الله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله واما ان صورة صنعهم مع الله من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم باجراء
احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال

الرسول

الرسول والمؤمنين امر الله في اخفاء حالهم واجري حكم الاسلام مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنع
المخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه
اخرج في زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء
بلا مقابلة معارض ومبار استصحب ذلك ويعضده قراءة من قرأ يخدعون وكان غرضهم في ذلك ان
يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء
وان يختلطوا بالمسلمين ليطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد
وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والمعنى ان دائرة الخداع راجعة اليهم
وضررها يحيق بهم او انهم في ذلك خدعوا انفسهم لما غروها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم
بالاماني الفارغة وحملتهم على مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة
لا تتصور الا بين اثنين وقرئ يخدّعون من خدّع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويُخدعون ويُخادعون على
البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحي
به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأي في
قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم
ويحتمل حملها على ارواحهم وآرائهم **وَمَا يَشْعُرُونَ** لا يحسّون بذلك لتمادي غفلتهم بعد تحرف
وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم في الظهور كالمحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور الاحساس
ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار **فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**
المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب الخلل في افعاله ومجاز في الاعراض
النفسانية التي تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصي لانها مانعة من نيل
الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة الحقيقية الابدية والآية تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على
ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول واستعلاء شأنه يوما فيوما وزاد الله غمهم
كما زاد في اعلاء امره واشاعة ذكره ونفوسهم كانت مألوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبي عليه الصلاة
والسلام ونحوها فزاد الله ذلك بالطبع وبازدياد التكاليف وتكرير الوحي وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة
الى الله من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة في قوله تعالى فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل
ان يراد بالمرض ما يداخل قلوبهم من الجبن والخوف حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة
وقذف الرعب في قلوبهم وزيادته تضعيفه بما زاد لرسوله نصرة على الاعداء وتبسطا في البلاد **وَلَهُمْ عَذَابٌ**
أَلِيمٌ اي مولم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع
على طريقة قولهم جد جده **بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** قرأ عاصم وحمزة والكسائي والمعنى بسبب كذبهم
او ببدل جزائهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذّبون من كذّبه لانهم كانوا يكذبون الرسول عليه الصلاة
والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الذي هو للمبالغة او التكثير مثل بيّن الشيء وموّتت البهائم
او من كذب الوحشي اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشيء
على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روي ان ابراهيم عليه الصلاة

جعل طرف

اي شطار دينهم

والسلام كذب بثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب في صورته سمي به **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ** عطف على يكذبون او يقول وما روي عن سلمان ان اهل هذه الاية لم ياتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فانقطعوا وسيكون من بعد حاله حالهم لان الاية متصلة بما قبلها بالضمير الذي فيها والفساد خروج الشيء عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم في الارض هيج الحروب والفتن بمخادعة المسلمين وممالاة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدي الى فساد ما في الارض من الناس والدواب والحرث ومنه اظهار المعاصي والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرايع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقايل هو الله تعالى او الرسول او بعض المؤمنين **قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ** جواب لاذا ورد للناصح على سبيل المبالغة والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شاننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوايب الفساد لان انما يفيد قصر ما دخله على ما بعده مثل انما زيد منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما في قلوبهم من المرض كما قال تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ** رد لما ادعوا ابلغ رد للاستيناف به وتصديره بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التي للانكار اذا دخلت على المنفي افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التي هي من طلايع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما في قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا** من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع امرين الاعراض عما لا ينبغي وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغي وهو المطلوب بقوله امنوا **كَمَا آمَنَ النَّاسُ** في حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها في ربما واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية والعاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعاني المخصوصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمي ونحوه وقد جعلها الشاعر في قوله اذا الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد الرسول ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى امنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوايب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد **قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ** الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس والجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رايهم او لتحقير شانهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالي كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة راي يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ** رد ومبالغة في تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وينفعه الايات والنذر وانما فصلت الاية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق

والباطل

والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتامل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم **وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا** بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقي **وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ** من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمن معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليه للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقايلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زايدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل **قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ** اي في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وقصدوا بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار **إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ** تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما بالكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزأت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ** يجازيهم على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظية او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون وانما استونف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين **وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**

من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد
لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام
علي ظاهره قالوا لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق
طرق التوفيق علي انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة كما تزايد قلوب المومنين انشراحا ونورا
ومكن الشياطين من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الي الله تعالى اسناد الفعل الي المسبب واضاف الطغيان
اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه علي الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الي الشياطين اطلق
الغي وقال واخوانهم يمدونهم في الغي واصله يمد لهم بمعني يملي لهم ويمدهم في اعمارهم كي ينتبهوا ويطيعوا فما زادوا
الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسي قومه او التقدير يمدهم استصلاحا
وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو
في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمي في البصر
وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمها لا منار بها قال اعمى الهدي بالجاهلين العمه
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل
الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب
بعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه
بايع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به غيره سواء كان من المعاني او الاعيان
ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيدرا كما اشتري المسلم اذ تنصرا
ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعني انهم اخلوا بالهدي الذي جعله الله لهم بالفطرة التي فطر
الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها علي الهدي **فما ربحت تجارتهم**
ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارتهم ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية
وعشش في وكريه جاش له صدري التجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل علي راس المال ولذلك سمي شفا
واسناده الي التجارة وهو لاربابها علي الاتساع لتلبسها بالفاعل او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران **وما
كانوا مهتدين** لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين
لان راس مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم
ولم يبق لهم راس مال يتوسلون به الي درك الحق ونيل الكمال فبقوا خاسرين آيسين عن الربح فاقدين للاصل **مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا** لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع
في القلب واقمع للخصم الالد لانه يريك المتخيل متحققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام
الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم للقول مضربه بمورده ولا
يضربوا الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شان وغرابة مثل قوله
مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلي والمعني حالهم العجيبة الشان كحال من استوقد نارا
والذي بمعنى الذين كما في قوله وخضتم كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في بنورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم
موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الي وصف المعرفة بها ولانه ليس باسم تام

السائر الممثل

بل هو

بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواتها ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو
زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا علي اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه متصلا
بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر علي اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين
او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو
سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا **فلما
اضاءت ما حوله** اي النار حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الي ما
والتانيث لان ما حوله اشياء واماكن او الي ضمير النار وما موصولة في معني الامكنة نصب علي الظرف او مزيدة
وحوله ظرف وتاليف الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور **ذهب الله بنورهم** جواب
لما والضمير للذين وجمعه للحمل علي المعني وعلي هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها
او استئناف اجيب به اعتراض يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد انطفت ناره او بدل من جملة
التمثيل علي سبيل البيان والضمير علي الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به
للايجاز وامن الالتباس واسناد الاذهاب الي الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب
خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب
والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله وامسكه فلا مرسل له ولذلك
عدل عن الضوء الذي هو مقتضي اللفظ الي النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء
من الزيادة وبقاء ما يسمي نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله **وتركهم
في ظلمات لا يبصرون** فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها
بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلي وله مفعول واحد فضمن معنى صير
فجري مجرى افعال القلوب كقوله وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة
ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر
وظلمة النفاق وظلمة يوم القيامة يوم ترى المومنين والمومنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم او ظلمة
الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كانها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون
من قبيل المطروح المتروك وكأن الفعل غير متعد والآية مثل ضربه الله لمن اتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل
الي نعيم الابد فبقي متحيرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته الاية الاولي ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم
اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الي شياطينهم ومن اثر الضلالة
علي الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعد ما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة
فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من نور الارادة او مثل لايمانهم من حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة
الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس
نوره باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها **صم بكم عمي** لما سدوا
مسامعهم عن الاصاخة الي الحق وابوا ان ينطقوا به السنتهم ويتبصروا الآيات بابصارهم جعلوا كانما
ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذن وقول الآخر

مستطالا

اذا نفر

واطلاقها

اصم عن الشيء الذي لا اريد واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها
ان تطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة كقول زهير لدى اسد شاكي
السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا
كما قال ابو تمام ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة في السما وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم
المنطوق ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخا تنفر من صفير الصافر هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين
فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم
وتركهم في ظلمات هايلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قريء بالنصب على الحال
من مفعول تركهم والصم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل حجر اصم وقناة صما وصمام القارورة سمي به
فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه
والبكم الخرس والعمي عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة **فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**
لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون لا يدرون
ايتقدمون ام يتاخرون والى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون والفا للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام
السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ** عطف على الذي استوقد اي كمثل ذوي
صيب لقوله يجعلون اصابعهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من
غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين وقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن
المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله تعالى او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين
القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايتهما شئت والصيب فيعل
من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما
وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السما للدلالة على ان الغمام مطبق اخذ بآفاق السما كلها فان
كل افق منها يسمى سماء كما ان كل طبقة منها سما قال ومن بعد ارض بيننا وسما امد به ما في صيب من المبالغة
من جهة الاصل والبنا والتنكير وقيل المراد بالسما السحاب واللام لتعريف الماهية **فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ**
وَبَرْقٌ ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل
وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به وان اريد به السحاب فظلماته سحمته
وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب
والمشهور ان سببه اضطراب اجرام السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب
من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا **يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ**
الضمير لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول
عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل حيث ذكر
الضمير لان المعنى ما بردى والجملة استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم
مع مثل ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع موضع الانامل للمبالغة **مِنَ الصَّوَاعِقِ** متعلق بيجعلون
اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاهم من الغيمة والصاعقة صفة رعد هايل معها نار لا تمر بشيء الا اتت

قصف

علـه

عليه من الصعق وهو شدة الصوت وقد يطلق على كل هايل مسموع او مشاهد ويقال صعقته
الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وليس بقلب من الصواعق
لاستواء كلا البنائين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاقعة وهي
في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما في الرواية او مصدر كالعاقبة والكاذبة
حَذَرَ الْمَوْتِ نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت زوال الحياة وقيل عرض
يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة **وَاللَّهُ**
مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة
اعتراضية لا محل لها **يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ** استيناف ثان كانه جواب لمن يقول
ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض
سببه لكنه لم يوجد اما لفقد شرط او لعروض مانع وعسى موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة
بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على ان المقصود بالقرب من غيران ليوكد
القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف عن خبرها لمشاركتهما في
اصل معنى المقاربة والخطف الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطا ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء
الى الخا ادغمت في الطا ويخطف بكسر الخا لالتقاء الساكنين واتباع اليا لها ويتخطف **كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ**
مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون في تاديتي خفوق البرق
وخطفته فاجيب بذلك واضا اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى
كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة
اظلم على البنا للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه
وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة
كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف ومعنى
قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد **وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ**
وَأَبْصَارِهِمْ اي لو شاء ان يذهب سمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب
بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر الا في الشيء المستغرب
كقوله فلو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء
الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب بسمعهم بزيادة البا كقوله ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة وفايدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه
والتنبيه على ان تاثير الاسباب في مسبباتها مشروطة بمشيته تعالى وان وجودها مرتبطا باسبابها
واقع بقدرته وقوله **إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** واقع كالتصريح به والتقرير له والشيء يختص
بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال قل اي شيء
اكبر شهادة قل الله وبمعنى مشيء اخرى اي مشيء وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه
قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير الله خالق كل شيء فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشيء

ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص
بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشي وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة
الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان
لم يشا لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير الباري تعالى واشتقاق القدرة
من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيته فهو دليل على ان الحادث
حال حدوثه والممكن حال بقايه مقدوران وان مقدور العبد مقدور الله تعالى لانه شي وكل شي مقدور له
والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المالوفة وهو ان تشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاوه
وتلاصقت حتى صارت شيا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية
فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما
تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السما
في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلهما من قبيل التمثيل المفرد وهو ان
ياخذ اشيا فرادى فيشبهها بامثالها كقوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وقول امري القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي بان شبه في الاول
ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدما وسلامة
الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم
وافشا حالهم وابقاهم في الخسار الدايم والعذاب السرمدي باطفا نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني
انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث وان كان
نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا عن نكايات المومنين وما
يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من
قدر الله شيا ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما ياتون ويذرون بانهم
كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطا يسيرة ثم اذا خفي وفتر
لمعانه بقوا متقيدين لا حراك لهم وقيل تشبه الايمان والقران وساير ما اوتي الانسان من المعارف التي هي
سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتكبت بها من الشبه المبطلة واعترضت
دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الايات الباهرة
بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه
لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله تعالى والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه
او رفد تطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين
تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة معضلة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم
وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والصلاح ثم انهم صرفوها
الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوايد الاجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه
على ما يشاء قدير **يا ايها الناس اعبدوا ربكم** لما فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف

امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما
لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب
تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد
او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه
نايب مناب فعل واي جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع
بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطي حكم المنادى واجري عليه المقصود بالندا وصفا موضحا
له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه تاكيدا وتعويضا عما يستحقه
من المضاف اليه وانما كثر الندا على هذه الطريقة في القران لاستقلاله باوجه التاكيد وكلما نادى الله به
عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون
حقيق بان ينادى له بالاكد الابلغ والجموع واسماوها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه
صحة الاستثناء منها والتوكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملايكة كلهم اجمعون واستدلال
الصحابة بعمومها شايعا ذايعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر
من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة
الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن ان كل شي نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين امنوا
فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك
بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب
تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشي وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب
الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المومنين ازديادهم
وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على الموجب للعبادة هي الربوبية **الذي خلقكم** صفة
جرت عليه للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد ان خص الخطاب بالمشركين واريد بالرب اعم من الرب
الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشي على تقدير واستوا واصله التقدير يقال
خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس **والذين من قبلكم** كلما يتقدم الانسان بالذات
والذين منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم
به كما قال تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرى من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته توكيدا كما اقحم
جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيم الثاني بين الاول وما اضيف اليه **لعلكم تتقون** حال
من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفايزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شي سوى الله تعالى الى الله وان العابد
ينبغي ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته
ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن قبلكم في صورة من يرجى منه
التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم

جميعًا وقيل تعليل للخلق اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم
يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه العبادة
النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابًا فانها لما وجبت عليه شكرًا لما
عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير اخذ الاجر قبل العمل **الذي جعل لكم الارض فراشا**
صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدا خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجي على ثلاثة اوجه
بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله وقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى
الى مفعول واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير فيتعدى الى مفعولين كقوله جعل لكم الارض
فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول او العقد اخرى ومعنى جعلها فراشا ان جعل بعض جوانبها
بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها فصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهياة
لان يقعدوا وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك يستدعي كونها مسطحة كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع
جرمها لا تابي الافتراش عليها **والسماء بناء** قبة مضروبة عليكم والسما اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد
كالدينار والدرهم وقيل جمع سماة والبنا مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خبا ومنه بنى على امراته لانهم
كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خبا جديدا **وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم**
عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله تعالى ومشيته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها
ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضة صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة منهما او ابدع في الماء
قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب
ومواد كما ابدع نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنايع وحكم يجدد فيها لاولي
الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ايجادها دفعة ومن الاولى للابتدا سوا اريد بالسما السحاب
فان ما علاك سما او الفلك فان المطر يبتدا من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر ومن
اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهوا فينعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض
بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السما بعض الما فاخرجنا به
بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السما الماء كله ولا اخرج من المطر كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق
او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة
لانه اراد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويويده قراة من الثمرة على التوحيد او لان الجمع يتعاور بعضها
موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروء ولانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة
ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم **فلا تجعلوا لله اندادا**
متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب
فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير
موجبة والمعنى ان تتقوا لا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل ان استانفت به على انه نهي وقع خبرا على تاويل مقول
فيه لا تجعلوا والفا للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدا معنى الشرط والمعنى من حفكم بهذه النعم الجسام
والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد

من ند

من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي للمماثل في القدر
وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه
في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها الهة شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة
بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا اندادا
لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير **وانتم تعلمون** حال من ضمير فلا تجعلوا و
مفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الراي فلو تاملتم ادنى تامل اضطر
عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله
ولا تقدر على مثل ما يفعله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ
والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان الجاهل والعالم المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين
هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به والاشارة الى ما هو العلة والمقتضى بيانه انه رتب الامر بالعبادة على صفة
الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في
معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من الماكول والمشروب
ثم لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه
اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض عليه
من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض عليه
من الفضايل العملية والنظرية المحصلة بواسطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية
والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار
فان لكل اية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة** لما قرر
وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه السلام وهو القران
المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب
العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن
انه من عند الله كما يدعيه النبي وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر
والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة وكان الواجب
تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تنويها بذكره وتنبيها على انه
مختص به منقاد لحكمه وقرئ عبادنا يريد محمدا عليه السلام وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة
التي اقلها ثلث ايات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطايفة من القران
مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي
هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها
القاري او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن
السورة التي هي البقية او القطعة من الشيء والحكمة في تقطيع القران سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال

وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك منه كالمسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوي بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القران حظا تاما وفاز بطايفة محدودة
مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوايد **من مثله** صفة سورة اي بسورة كاينة
من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزايدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقران في البلاغة وحسن
النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم
العلوم او صلة فاتوا والضمير للعبد والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله فاتوا بسورة مثله ولساير ايات
التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم
الغفير بان ياتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليات بنحو ما اتى به هذا اخر
مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لين اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلايم قوله **وادعوا شهداءكم**
من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القايم
بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي ويبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات
او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملايكة حضروه ومعنى دون ادنى
مكان من الشي ومنه تدوين الكتب لانه ادنى البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك
ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشي الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز
حد الى حد وتخطي امر الى اخر قال تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اولياء من دون المومنين اي لا يتجاوزوا
ولاية المومنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله
فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى ادعوا للمعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم
والهتكم غير الله فانه لا يقدر على ان ياتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم
به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهداءكم والمعنى ادعوا
شهداءكم الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او الهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيمة او الذين يشهدون لكم
بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى ترنك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم في امرهم ان يستظهروا بالجماد
في معارضة القران غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليايه يعني فصحاء العرب ووجوه
الشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان
اختلاله **ان كنتم صادقين** انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله ولا يجوز ان يقال فاتوا بسورة
هو الجواب لان الجزا لا يتقدم عليه والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة
لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما علمه وهم ما كانوا عالمين به **فان لم تفعلوا**
ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول
صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم
في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فامنوا به واتقوا
العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان وغيره ايجازا ونزل لازم الجزاء منزلته على سبيل

الكناية

الكناية تقريرا للمكني عنه وتهويلا لشان العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي
للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القايل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفي اتيانهم معترضا
بين الشرط والجزاء تهكما بهم او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التامل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا
جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف
الشرط كالداخل على المجموع وكانه قال فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا في نفي المستقبل غير انه ابلغ
وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل في احدى الروايتين عنه وفي الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفرا
لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما يوقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من
يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمي به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به
والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اي وقودها احتراق الناس والحجارة وهي
جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التي نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا
في شفاعتها والانتفاع واستدفاع المضار لمكانتهم ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم عذبوا بما هو منشا جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة في تحسرهم
وقيل الذهب والفضة التي كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص هذا النوع من العذاب
بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شانها وتفاقم
لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضي الله
عنه فلعله عنى به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت
بعد ما نزل بمكة قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة
فانها يجب ان تكون قصة معلومة **اعدت للكافرين** هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة والجملة استيناف او حال باضمار قد من النار لا من الضمير الذي في وقودها وان جعلته
مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفي الايتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدي والتحريض على الجد
وبذل الوسع في المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة
من سور القران ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجوا
الى جلاء الوطن وبذل المهج والثاني انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوا بشي لامتنع
خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه في كل عصر والثالث انه عليه السلام لو شك في امره
لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله اعدت للكافرين دل على
ان النار مخلوقة معدة لهم الان **وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات** عطف على
الجملة السابقة والمقصود عطف حال من امن بالقران ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه
على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطا عن
اقتراف ما يردي لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهي فيعطف عليه او على فاتقوا
لانهم اذا لم ياتوا بما يعارضه بعد التحدي ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن
امن به استحق الثواب وذلك يستدعي ان يخوف هولاء وانما امر الرسول عليه السلام او عالم كل عصر او كل احد

يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقا
بان يبشروا ويهنئوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البنا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة
الخبر السار فانه يظهر اثر السرور في البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هو الخبر الاول حتى لو
قال الرجل لعبيده من بشرني بقدوم ولدي فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرني عتقوا
جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات
جمع صالحة وهي من الصفات الغالبة التي تجري مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك
صالحة • من آل لام بظهر الغيب تاتيني • وهي من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتانيثها على تاويل الخصلة
او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب في استحقاق هذه
البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل
الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا مفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان
اذ الاصل ان الشي لا يعطف على نفسه وعلى ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور
باضمار مثل الله لافعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمي بها الشجر المظلل
لالتفاف غصانه للمبالغة كانه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا
اي نخلا طويلا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت
بذلك لانه ستر في الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم
ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت
الاعمال والعمال واللام تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافي
النعم السابقة فضلا من ان يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده ولا على الاطلاق بل بشرط
ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم
وقوله تعالى لنبيه لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه لم يقيد ههنا استغناء بها
تجري من تحتها الانهار اي من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطيها وعن مسروق انهار
تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري او للعهد والمعهود هي الانهار
المذكورة في قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بالفتح والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر
كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز
كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا** صفة
ثانية لجنات او خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة كانه قيل ان لهم جنات تجري وقع في خاطر السامع اثمارها
مثل ثمار الدنيا ام اجناس اخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتدا واقعتان
موقع الحال واصل الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدا من الجنان مبتدا من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدا
من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة وصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال
ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر

هذا

هذا الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت
الاشارة الى عينه فالمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف
ابو حنيفة **من قبل** اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما ترى
فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة عن غيره وتتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا
لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه الصورة كما حكي عن الحسن ان احدهم يؤتى بالصحفة
فياكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما
روي انه عليه السلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه
حتى يبدل الله مكانها مثلها فلعلهم اذا راوها على الهيئة الاولى قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم
كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت
العظيم في اللذة والتشابه البليغ في الصورة **واتوا به متشابها** اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول
راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله هذا الذي رزقنا من قبل ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو
مفقود بين ثمرات الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما
حاصل في الهيئة واللون التي مناط الاسم دون المقدار والطعم وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للاية
محملا اخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة
بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية
وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا ما كنتم تعملون في الوعيد **ولهم فيها ازواج مطهرة**
مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل
في الاجسام والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن
وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت • واستعجلت نصب القدور فملت
فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة
ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر
والانثى وهو في الاصل لما له قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فايدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفايدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم اهل الجنة ومناكحها وسائر احوالها
انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل
ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فايدتها **وهم فيها خالدون**
دائمون والخلد والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد
وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد
بالتابيد في قوله خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل
ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله
تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن

فان قيل الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال
فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا يعتورها الاستحالة بان يجعل اجزاءها
مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك
بعضها عن بعض كما تشاهد في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص
العقل وضعف البصير . واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل
عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الثبات والدوام فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت
منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المومنين بها ومثل ما اعد لهم في الاخرة بابهى ما يستلذ به منها وازال عنهم
خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم والسرور **إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
مَا بَعُوضَةً** لما كانت الايات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي تعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل
فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه
الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم لان من طبعه الميل الى الحس وحب
المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير
والعظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة
ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت
الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب الصيب وعبادة الاصنام في الوهن والضعف
ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من امن
به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به فيه فقال ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك
من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة التي هي الجراءة
على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري
القوة الحيوانية فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما قيل نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري
تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه
اليه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته وغضبه اصابة
المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه
كرعن بسبت في اناء من الورد . وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة ويحتمل الاية خاصة ان يكون
مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله وقع شيء على اخر وان بصلتها مخفوض
المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتاكيد كالتي في قوله تعالى
فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع فان القران كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما
وضعت لان يذكر مع غيره فيفيد له وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة عطف بيان لمثلا

او مفعول

او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه
خبر مبتدا وعلى هذا يحتمل ما وجوها اخر ان تكون موصولة حذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما
على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين واستفهامية وهي
المبتدا كانه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل
بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول
من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش **فَمَا فَوْقَهَا** عطف على بعوضة او ما
ان جعل اسما ومعناه ما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كانه قصد به رد ما استنكروه والمعنى
انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى خر
على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة
فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما تجاوز الشوكة في الالم كالخرور وما زاد عليها
في القلة كنخبة النملة لقوله عليه السلام ما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة
فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر
ويتضمن معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب
اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المومنين واعتداد
بعلمهم وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان
الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج **وَأَمَّا
الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ** كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن
لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه **مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا** يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر
ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه
الرفع على الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل
بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدا النزوع والاول مع الفعل والثاني قبله وكلا المعنيين غير
متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره فيها
ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم يكن المعاصي بارادته وقيل علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح
فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى
يوجب هذا الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز
او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم اية **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا** جواب ماذا اي اضلال كثير
واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما
وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق

وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة
الى اهل الضلال كما قال تعالى وقليل ما هم من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وان
وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان
قلوا كما غيرهم قل وان كثروا **وما يضل به الا الفاسقين** اي الخارجين عن حد الايمان لقوله تعالى
ان المنافقين هم الفاسقون من فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد
قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات
ثلث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير
مبال بها والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع
ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر وما دام هو في درجة التغابي او الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن
لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة
لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا
بين منزلتي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
يدل على انه الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم بالباطل
صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه
واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين
للذم وتقرير الفسق والنقض فسخ التركيب واصله في طاقات الحبل واستعماله في ابطال العهد من حيث ان العهد
يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ الحبل كان ترشيحا للمجاز وان
ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل في اثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فان فيه تنبيها على انه اسد في شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد
الموثق ووضعه لما من شانه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع اليها
والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده
ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا
بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله
واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية ادم بان
يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان
يبينوا الحق ولا يكتموه **من بعد ميثاقه** الضمير للعهد والميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهي الاحكام والمراد
ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن
للابتداء والنقض بعد الميثاق **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضاها
الله تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق
وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة
بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمي الامر

الذي هو احد الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شان وهو الطلب والقصد
يقال شانت شانه اي قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل من ما او ضميره والثاني
احسن لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التي
بها نظام العالم وصلاحه **اولئك هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر
واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية واستبدال الانكار والطعن في الآيات بالايمان بها والنظر
في حقائقها والاقتباس من انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب
كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجيب لكفرهم بانكار الحال التي يقع عليها على
الطريق البرهاني لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم
ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى في انكار الكفر من اتكفرون واوفق لما بعده من الحال والخطاب مع الذين
كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريقة الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم
بحالهم المقتضية خلاف ذلك والمعنى اخبروني على اي حال تكفرون **وكنتم امواتا** اي اجساما لا حيوة
لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة **فاحياكم** بخلق الارواح ونفخها
فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقي **ثم يميتكم** عند تقضي
آجالكم **ثم يحييكم** بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور **ثم اليه ترجعون** بعد الحشر
فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل
ان علموا انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما
لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم في ازاحة العذر سيما وفي الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما
وهو انه تعالى لما قدر ان احياهم اولا قدر ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من
اعادته او مع القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعد على الكفر
اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك
النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية
للشكر قلت لما كانت وصلة الى الحيوة الثانية التي هي الحيوة الحقيقية كما قال تعالى وان الدار الآخرة
لهي الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة باسرها
كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح
ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم
الكفر وكنتم امواتا اي جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف
ثم يحييكم الحيوة الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر والحيوة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمي الحيوان حيوانا
مجاز في القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل
والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما يقابلها في كل مرتبة
قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال

او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها صحة اتصافه
بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قايم بذاته يقتضي ذلك على الاستعارة وقرا يعقوب ترجعون
بفتح التاء في جميع القران **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** بيان نعمة اخرى مرتبة على
الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم ويتم به معاشهم ومعنى
لكم لاجلكم وانتفاعكم في دنياكم باستنفاعكم بها في مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار
والتعرف لما يلايمها من لذات الاخرة والامها لا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض
من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضي اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب
عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما في الارض لا الارض الا اذا اريد به
جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال عن الموصول الثاني **ثم استوى الى السماء** قصد
اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء واصل الاستوا
طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى
استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها
والتسوية المرتبة عليها بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين
وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله ثم كان من الذين امنوا لا للتراخي في الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى
والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تاخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها من خلق السماء وتسويتها الا ان
يستانف بدحاها مقدرا لنصب الارض فعلا اخر دل عليه اانتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد
ذلك لكنه خلاف الظاهر **فسواهن** عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان
فسرت بالاجرام لانه جمع او في معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا **سبع سموات** بدل او
تفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس في الاية
نفي الزايد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسي لم يبق خلاف **وهو بكل شيء عليم** فيه تعليل كانه قال ولكونه عالما
بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق
العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من
عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج في صدورهم من ان الابدان بعد ما تفتتت وتبددت اجزاؤها واتصلت بما
يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شيء منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره
قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلث مقدمات وقد برهن عليها في هاتين الايتين
اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحيوة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم
يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحيوة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يابى
ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيايها واشار الى وجه اثباتها
بانه تعالى قادر على ابدايهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيايهم وانه خلق ما خلق
خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهي علمه
وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائي الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد

25

واذ قال ربك للملايكة اني جاعل في الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق
آدم وكرامته وتفضيله على ملايكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية
وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث في المكان
وبنيتا تشبيها بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف
غير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان فحذف
الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله في الاية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا في القران
كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الاية المتقدمة مثل وبدا خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق
لكم داخلة في حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملايكة جمع ملاك على الاصل كالشمايل والتاء لتانيث الجمع وهو
مقلوب مالك من الالوكة وهي الرسالة لانهم وسايط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم
واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قايمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين
على انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت
طايفة من النصارى هي النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة منقسمة الى قسمين قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم
في محكم تنزيله يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملايكة المقربون وقسم يدبر
الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهي لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته في كتاب الطوالع والمقول
لهم الملايكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملايكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه في محاربة
الجن فانه تعالى اسكنهم في الارض اولا فافسدوا فيها فبعث الله اليهم ابليس في جند من الملايكة فدمرهم
وفرقهم في الجزاير والجبال وجاعل من جعل الذي له مفعولان وهما في الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى
الاستقبال ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه
والهاء فيه للمبالغة والمراد به ادم عليه السلام لانه كان خليفة الله في ارضه وكذلك كل نبي استخلفهم في
عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة به تعالى الى من ينوبه بل لقصور
المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقي امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
ارسل اليهم الملايكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام في الميقات ومحمدا
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك في الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذا من اللحم لما بينهما
من التباعد جعل الباري تعالى بحكمته بينهما الغضروف المناسب لهما لياخذ من هذا ويعطي ذاك او خليفة
من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما
للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغني بذكر ابي القبيلة في قولهم مضر وهاشم او على تاويل من يخلفكم او خلفا
يخلفكم وفايدة قوله هذا للملايكة تعليم المشاورة وتعظيم شان المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته
ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة

تقتضي ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كبير الى غير ذلك **قالوا اتجعل**
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها من
يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفي عليهم من الحكمة التي
بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج في
صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن في بني ادم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم
ذلك لقوله تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار
من الله او تلقي من اللوح المحفوظ او استنباط عما ركز في عقولهم ان العصمة من خواصهم او قياس لاحد الثقلين
على الاخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال في الدم والدمع والسبك
في الجواهر المذابة والسفح في الصب من اعلى والشن في الصب من فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك
على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا اي يسفك الدماء فيهم
ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق
المحتاج والمعنى اتستخلف عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم
مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين في الاستخلاف لا العجب والتفاخر وكانهم علموا ان المجعول خليفة
ذو ثلث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية يؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة
والطاعة ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين اذا صارتا مهذبة
مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب
يفيد ما يقصر عنه الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات من القوة
الى الفعل الذي هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله **قال اني اعلم ما لا تعلمون** والتسبيح تبعيد
الله عن السوء وكذلك التقديس من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس
اذا طهر لان مطهر الشيء مبعد عن الاقذار وبحمدك في موضع الحال اي متلبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا
لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا عن الذنوب
لاجلك كانهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذي هو اعظم الافعال الذميمة
بتطهير النفس عن الاثام وقيل نقدسك واللام مزيدة **وعلم ادم الاسماء كلها** اما بخلق علم ضروري
بها فيه او القاء في روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب عليه العلم غالبا
ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وادم اسم اعجمي كآزر وشالخ واشتقاقه من الادمة وهو السمرة او الادمة بالفتح
بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه عليه السلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها
فخلق منها ادم فلذلك يأتي بنوه اخيافا او من الادم او الادمة بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس
ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشيء ودليلا يرفعه الى الذهن
من الالفاظ والصفات والافعال واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا
او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد في الاية
اما الاول او الثاني وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعاني والمعنى انه تعالى

خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات
والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية
الاتها **ثم عرضهم على الملائكة** الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء المسميات
فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض
للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن وعرضها على معنى عرض مسمياتهن
او مسمياتها **فقال انبئوني باسماء هؤلاء** تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف
ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل واحد منهما **ان كنتم صادقين**
في زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به
لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا
الاعتبار يعتري الانشاءات **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا** اعتراف بالعجز والقصور واشعار
بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفي عليهم من فضل الانسان والحكمة في خلقه واظهار
لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران
ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجري علما للتسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ
في قوله سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح
التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من الظالمين
انك انت العليم الذي لا يخفى عليه خافية **الحكيم** المحكم لمبتدعاته الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
وانت فصل وقيل تاكيد للكاف كما في قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ في
المتبوع
ولذلك جاز يا هذا الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدا خبره ما بعده والجملة خبر ان **قال يا ادم انبئهم**
باسمائهم اي اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما **فلما انباهم باسمائهم**
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار
لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفي عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى
وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم
انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر منهم ابليس من المعصية
والهمزة للانكار دخلت على حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان
ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط في الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان
لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص
او عموم وتعليمها ظاهر في القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع والاصل ينفي
ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل ادم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله

انك انت العليم الحكيم وان علوم الملايكه وكمالاتهم تقبل الزياده من الحكماء منعوا ذلك في الطبقة الاعلى منهم وحملوا
عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هولاء الملايكه لانه اعلم منهم والاعلم افضل لقوله
تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملايكة**
اسجدوا لادم لما انباهم بالاسماء وعلمهم ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله ودرجته واداء لحقه
واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوي خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه
بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على القصة الاخرى وهي نعمة رابعة عدها عليهم والسجود
في الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيه سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعني البعير اذا طاطا
راسه وفي الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العباده والمامور به اما المعنى الشرعي فالمسجود له بالحقيقة هو الله
وجعل ادم قبلة سجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه وكانه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات
كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما في العالم الروحاني والجسماني وذريعة للملايكه الى استيفاء ما قدر لهم من الكمال
ووصلة الى ظهور ما يتباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما راوا فيه من عظيم قدرته وباهر اياته
وشكرا لما انعم عليهم بواسطته فاللام فيه كاللام في قول حسان اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن
او في قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس واما المعنى اللغوي وهو التواضع لادم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف
له او التذلل والانقياد بالسعي في تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به كمالهم والكلام في ان المامورين بالسجود الملايكة
كلهم او طايفة منهم ما سبق **فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر** امتنع عما امر به استكبارا من ان
يتخذه وصلة في عبادة ربه او يعظمه او يتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع
باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع **وكان من الكافرين** اي في علم الله
او صار منهم باستقباحه امر الله اياه بالسجود لادم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن ان يومر
بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب وحده والاية تدل على ان آدم افضل من الملايكة المامورين بالسجود
ولو من وجه وان ابليس كان من الملايكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس
كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملايكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملايكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملايكة ان يقول انه كان جنيا نشا بين اظهر الملايكه وكان مغمورا بالالوف
منهم فغلبوا عليه والجن ايضا كانوا مامورين مع الملايكه لكنه استغنى بذكر الملايكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر
كانوا مامورين بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مامورون به والضمير في سجدوا راجع الى القبيلين
فكانه قال فسجد المامورون بالسجود الا ابليس وان من الملايكه من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة
كما ان من الانس معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملايكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما
يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الجن والانس يشملهما وكان ابليس من هذا الجنس كما قال ابن عباس
فلذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط عن محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملايكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام قال

خلقت

فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين
ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفا تفيد السببية
سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة نفي الحنطة والكرمة والتينة او الشجرة من اكل منها
احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لم تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين
وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء **فازلهما الشيطان عنها** اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما
على الزلة بسببها ونظيره من هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما
ويعضده قراءة حمزة فازالهما وهما متقاربان في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك
على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما
على طريقة الوسوسة وكيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول
على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملايكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لادم وحوي وقيل قام
عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به
وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله **فاخرجهما مما كانا فيه** اي من الكرامة والنعيم
وقلنا اهبطوا خطاب لادم وحوي لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا
الانس فكانهما الجنس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة
او من السماء **بعضكم لبعض عدو** حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغي بعضكم
على بعض بتضليله **ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار **ومتاع** تمتع **الى**
حين يريد به وقت الموت او القيامة **فتلقى ادم من ربه كلمات** استقبلها بالاخذ والقبول
والعمل بها حين علمها وقرا ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وبلغته وهي قوله تعالى
ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يا رب الم تخلقني بيدك
قال بلى قال الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت
اراجعي الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التاثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام
والجراحه **فتاب عليه** رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وانما رتبه بالفاء على تلقي الكلمات لتضمنه معنى
التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حوي كانت
تبعا له في الحكم ولذلك طوي ذكر النساء في اكثر القران والسنن **انه هو التواب** الرجاع على عباده
بالمغفره او الذي يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع ما اذا وصف بها العبد كان رجوعا عن
المعصية واذا وصف بها الباري تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة **الرحيم** المبالغ في الرحمة
وفي الجمع بين الوصفين وعد للتايب بالاحسان مع العفو **قلنا اهبطوا منها جميعا** كرر للتاكيد
ولاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثاني اشعر
بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن

باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان يمنعه عن مخالفة حكم الله فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسي ولم
نجد له عزما وان كل واحد منهما كفي به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الي سماء الدنيا والثاني منها الي الارض
وهو كما ترى وجميعا حال في اللفظ تاكيد في المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعي اجتماعهم على الهبوط
في زمان واحد كقولك جاوا جميعا **فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ**
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الشرط الثاني مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن
تاكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان ياتينكم مني هدي بانزال او ارسال فمن
تبعه منكم نجا وفاز وانما جيء بحرف الشك واتيان الهدي كائن لانه محتمل في نفسه غير واجب عقلا وكرر
لفظ الهدي ولم يضمر لانه اراد بالثاني اعم من الاول وهو ما اتي به الرسل واقتضاه العقل فمن تبع ما اتاه مراعيا
فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من ان يحل بهم مكروه ولا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف
على المتوقع والحزن على الواقع نفي عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه وقرئ هدي على لغة
هذيل ولا خوف بالفتح **وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا**
خَالِدُونَ عطف على فمن تبع الي اخره قسيم له كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته
او كفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الي الجار والمجرور والاية في الاصل العلامة
الظاهرة ويقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طايفة القرآن
المتميزة من غيرها بفصل واشتقاقها من اي لانها تبين ايا من اي او من اوي اليه واصلها اية او ايية كتمرة
فابدلت عينها على غير قياس او من ايية او اوية كرمكة فاعلت او اييه كقايلة فحذفت الهمزة تخفيفا
والمراد باياتنا الايات المنزلة او ما يعمها والمعقولة **تنبيه** وقد تمسك الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة
الانبياء عليهم السلام من وجوه الاول ان آدم عليه السلام كان نبيا وارتكب المنهي عنه والمرتكب له عاص والثاني
انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين والثالث انه تعالى اسند
اليه العصيان والغي فقال وعصى ادم ربه فغوي والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهي الرجوع عن الذنب والندم
عليه والخامس اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب لم يجر عليه ما جري والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعي يطالب بالبيان الثاني ان النهي للتنزيه وانما سمي ظالما وخاسرا لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى
له واما اسناد الغي والعصيان اليه فسياتي الجواب عنه في موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة تلافيا
لما فات عنه وجرى عليه معاتبة له على ترك الاولى ووفقا بما قاله الملايكة قبل خلقه الثالث انه فعله ناسيا
لقوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان حط عن الامة
لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه السلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل واري فعله
الي يجري عليه على طريق التسبيب المعدرة دون المواخذة لتناول الاستماعي الجهل بشانه ولا يقال انه باطل لقوله
تعالى ما نهاكما ربكما وقاسمهما الاتيان لانه ليس فيهما ما يدل على انه تناوله حين قال ابليس فلعل مقاله اورث فيه
ميلا طبعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى الي ان نسي ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه الرابع
انه عليه السلام اقدم عليه بسبب اجتهاد اخطا فيه فانه ظن ان النهي للتنزيه والاشارة الي عين تلك الشجرة فتناول

من غيرها

من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة الي النوع كما روي انه عليه السلام اخذ حريرا وذهبا بيده وقال
هذان حرامان على ذكور امتي حل لاناثها وان ما جري عليه ما جرى تعظيما لشان الخطيئة ليجتنبها
اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانه في جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدي
مامون العاقبة وان عذاب النار دايم والكافر فيه مخلد وان غيره لا يخلد فيه بمفهوم قوله هم فيها خالدون
واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلايل التوحيد والنبوة والمعاد وعقبه تعداد النعم تاكيدا
فانه من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر لا شريك له ومن حيث ان الاخبار
بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيا منها اخبار بالغيب معجز تدل
على نبوة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان واصوليه وما هو اعظم من ذلك يدل على انه
قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابدا خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله عليهم
ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجة ليكونوا اول من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل
عليه فقال **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ** يا اولاد يعقوب والابن من البناء لانه مبني ابيه ولذلك ينسب
المصنوع الي صانعه فيقال ابو الحرث وبنت فكر واسرايل لقب ليعقوب عليه السلام ومعناه
بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرال بحذف الياء واسرايل بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء
اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة
بهم لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الي ما انعم الله على غيره حملته الغيرة والحسد على الكفران
والسخط وان نظر الي ما انعم الله عليه حمله حب النعمة على الرضي والشكر وقيل اراد بها ما انعم على ابائهم
والانجاء من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم
وقرئ اذكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور
ما قبلها **وَأَوْفُوا بِعَهْدِي** بالايمان والطاعة **أُوفِ بِعَهْدِكُمْ** بحسن الاثابة والعهد
يضاف الي العاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الي الفاعل والثاني الي المفعول فانه تعالى عهد اليهم
بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض
عريض فاول مراتب الوفا منا هو الايقان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى الفوز بالبقاء الدايم وما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد اوف بعهدكم في رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء
الفرايض وترك الكباير اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم
المقيم فبالنظر الي الوسايط وقيل كلاهما مضاف الي المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام الطاعة
اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة المايدة قوله تعالى ولقد اخذ الله ميثاق بني
اسرايل الي قوله ولادخلنكم جنات وقيل اوف بالتشديد للمبالغة **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** فيما تاتون
وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو اكد في افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من التقديم
من تكرير المفعول والفا الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا فارهبون
والرهبة خوف مع تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفا بالعهد وان المومن
ينبغي ان لا يخاف احدا الا من الله **وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ** افراد الايمان

للامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من
الكتب الالهية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد
والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب
تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب
بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتاخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه
الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله **ولا تكونوا اول
كافر به** بان الواجب ان تكونوا اول من امن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشانه والمستفتحين
به والمبشرين بزمانه واول كافر وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد منكم
اول كافر به كقوله كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركو العرب قلت المراد
به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب
او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل
اصله اوال من وال فابدلت همزته واوا تخفيفا غير قياسي او اأول من ال فقلبت همزته واوا وادغمت **ولا تشتروا
باياتي ثمنا قليلا** ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة
بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم
فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا ياخذون الرشى فيحرفون الحق
ويكتمونه **واياي فاتقون** بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة
على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم
العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدا السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى
الذي هو منتهاه **ولا تلبسوا الحق بالباطل** عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل
الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما
او لا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تاويله **وتكتموا الحق**
جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار باستقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق **وانتم
تعلمون** عالمين انكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يعني
صلوة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعدما امرهم باصوله وفيه دليل
على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكى الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر
للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل **واركعوا
مع الراكعين** اي في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر
النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه **اتامرون الناس بالبر**

تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر
ثلاثة بر في عبادة الله وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب **وتنسون انفسكم**
وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون من
نصحوه باتباع محمد ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون **وانتم تتلون الكتاب**
تبكيت كقوله وانتم تعلمون اي تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل
في الاصل الحبس سمي به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التي بها النفس تدرك
هذا الادراك والاية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل
بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل فان الجامع بينهما تابى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس
والاقبال عليها بالتكميل لتقوم فتقيم لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب
الاخلال بالاخر **واستعينوا بالصبر والصلوة** متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم
لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار
النجح والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية
النفس والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة
وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص
النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن
الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
ويجوز ان يراد بها الدعاء **وانها** اي الاستعانة او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها
واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر
على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** اي المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة
للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون
لقاء الله ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله تعالى فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر فارسلته
مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم
مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن
ثم قال عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلوة **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم** كرره للتوكيد وتذكير التفضيل الذي هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد
تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها **واني فضلتكم** عطفا على نعمتي **على العالمين**
اي عالمي زمانهم يريد به اباءهم الذين كانوا في عصر موسى عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله
من العلم والعمل وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك **واتقوا**

يوما اي ما فيه من الحساب والعذاب **لا تجزي نفس عن نفس شيئا** لا تقضي عنها شيئا من الحقوق
او شيئا من الجزا فيكون نصبه على المصدر ويقرى لا تجزى من اجزا عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون
مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة ليوما والعايد فيها محذوف
تقديره لا تجزي فيه ومن لم يجوز حذف المجرور فان اسع فيه نحذف عنه الجار واجري مجرى المفعول به
ثم حذف كما حذف من قوله فما ادري اغيرهم تنا وطول العهد ام مال اصابوا **ولا يقبل منها شفاعة**
ولا يؤخذ منها عدل اي من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالاية نفي ان
يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثاني اما
ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع
شفعا بضم نفسه اليه والبدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمي به الفدية لانها سويت
بالمفدى **ولا هم ينصرون** يمنعون من عذاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد والاناسي والنصرة اخص من المعونة لاختصاصها
بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل الكباير واجيب بانها مخصوصة بالكفار
للايات والاحاديث الواردة في الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والاية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم
ان اباءهم تشفع لهم **واذ نجيناكم من آل فرعون** تفصيل لما اجمله في قوله تعالى اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم وعطف على نعمتي عطف جبريل وميكايل على الملايكة وقرى انجيتكم واصل آل اهل
لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولي الخطر كالانبيا والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى وقيصر لملك الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وكان فرعون موسى
مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من
اربعماية سنة **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب في طلب
الشي **سوء العذاب** افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سايره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه
على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير في نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد
منهما **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف
وقرى يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون راى في المنام او قال له الكهنة سيولد منهم
من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا **وفي ذلكم بلاء** محنة ان اشير بذلكم الى
صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجا واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة
بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشايع بينهما
من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى وتوفيقه لتخليصهم او بهما **عظيم** صفة بلاء
وفي الاية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره
ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين **واذ فرقنا بكم البحر** فلقناه وفصلنا بين بعضه
وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس
بنا الجماجم والترابا وقرى فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثني عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم**

واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل
شخصه كما روي ان الحسن كان يقول اللهم صل على آل محمد اي شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه
وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او
جثثهم التي قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا وروي انه امر موسى ان يسري ببني اسرايل فخرج
بهم فتبعهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطي البحر فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك
البحر فضرب به فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا
ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون وجنوده وراه
منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم
ما انعم الله به على بني اسرايل ومن الايات الملجية الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه
السلام ثم انهم اتخذوا العجل وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل في الفطنة
والذكا وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور
نظرية مثل القران والتحدي به والفضايل المجتمعة فيه الشاهدة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
دقيقة يدركها الاذكيا واخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على من تقرر **واذ واعدنا**
موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التوراة
وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقرا ابن كثير ونافع
وعاصم وابن عامر وحمزة والكسايي وعدنا لانه تعالى وعده الوحي ووعد موسى المجي للميقات الى
الطور **ثم اتخذتم العجل** الها ومعبودا **من بعده** من بعد موسى اي مضيه **وانتم ظالمون**
باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس **من بعد ذلك**
اي الاتخاذ **لعلكم تشكرون** اي لكي تشكروا عفوه **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان**
يعني التوراة الجامع بين كونه كتابا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة
بين الحق والباطل في الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذي
فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد به يوم بدر **لعلكم تهتدون** لكي تهتدوا بتدبر الكتاب
والتفكر في الايات **واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل**
فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريا من التفاوت ومميزا بعضها عن بعض
بصور وهيآت مختلفة واصل التركيب لخلوص الشي عن غيره اما على سبيل التفصي كقولهم برئ المريض
من مرضه والمديون من دينه او الانشا كقوله برا الله آدم من الطين او فتوبوا **فاقتلوا انفسكم**
تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا
ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة يروى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه
فلم يقدر على المضي لامر الله فيه فارسل ضبابة وسحابة سودا لا يتباصرون فاخذوا يقتلون
من الغداة الى العشي حتى دعا موسى وهرون فكشف السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا
والفا الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب **ذلكم خير لكم عند بارئكم** من حيث انه طهرة عن الشرك

ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية **فتاب عليكم** متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى
عليه السلام تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم وعطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم
على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم باريكم وذكر البارى وترتيب الامر عليه اشعار بانهم
بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة فان من لم يعرف
حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب **انه هو التواب الرحيم** الذي
يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم **واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك** لاجل
قولك او لن نقر لك **حتى نرى الله جهرة** عيانا وهي في الاصل مصدر كقولك جهرت بالقراءة استعيرت
للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها
مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم للميقات وقيل عشرة
الاف من قومهم والمؤمن به ان الله اعطاك التورية وكلمك وانك نبي **فاخذتكم الصاعقة** لفرط العناد
والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام في الجهات
والاحياز المقابلة للرائي وهي محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة من الكيفية وللمؤمنين في الاخرة ولافراد
من الانبياء في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها
فخروا صعقين ميتين يوما وليلة **وانتم تنظرون** ما اصابكم بنفسه او باثره **ثم بعثناكم من بعد
موتكم** بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم **لعلكم تشكرون**
نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم باس الله بالصاعقة **وظللنا عليكم الغمام** سخر الله لهم السحاب
يظلهم من الشمس حين كانوا في التيه **وانزلنا عليكم المن والسلوى** الترنجبين
والسماني قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع ويبعث الجنوب عليهم السماني وينزل
بالليل عمود نار يسيرون في ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى **كلوا من طيبات ما رزقناكم**
على ارادة القول **وما ظلمونا** فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره **واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية** يعني بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه **فكلوا منها حيث شئتم رغدا**
واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو **وادخلوا الباب** اي باب القرية او القبة
التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام **سجدا** متطامنين
مخبتين اي ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه **وقولوا حطة** اي مسئلتنا او امرك حطة
وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول
قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل امرنا حطة نحط في هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم**
لسجودكم ودعائكم وقرا نافع بالياء وابن عامر بها على البناء للمفعول وخطايا اصله خطايئ كخطايع
فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف فاجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم
قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بها ما ذكر **وسنزيد
المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسبب زيادة الثواب للمحسنين واخرجه عن صورة الجواب

الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة **فبدل
الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم** بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون
من اعراض الدنيا **فانزلنا على الذين ظلموا** كرره مبالغة في تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال
عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها
رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز في الاصل
ما يعاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روي انه مات به
في ساعة اربعة وعشرون الفا **واذ استسقى موسى لقومه** لما عطشوا في التيه **فقلنا
اضرب بعصاك الحجر** اللام فيه للعهد على ما روي انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه
وكانت تنبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر
اثني عشر ميلا او حجرا اهبطه ادم من الجنة ووقع الى شعيب فاعطاه لموسى مع العصا او الحجر الذي فر بثوبه
لما وضعه ليغتسل وبراه الله به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل بحمله او للجنس وهذا اظهر في الحجة
قيل لم يامره ان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة فيها حمل حجرا في مخلاته
وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا
فاوحى الله اليه لا تقرع الحجر وكلمه تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا
في ذراع والعصا عشرة اذرع في طول موسى من اس الجنة وله شعبتان تتقدان في الظلمة **فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا** متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما في قوله فتاب
عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه **قد علم كل اناس** كل سبط **مشربهم**
عينهم التي يشربون منها **كلوا واشربوا** على تقدير القول **من رزق الله** يريد به ما رزقهم من المن والسلوى
وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل مما ينبت منه **ولا تعثوا في الارض مفسدين** لا تعتدوا
حال افسادكم وانما قيده لانه وان غلب في الفساد قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدي
بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب
فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره في عجائب صنعه
فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا
يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب وتصييره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك
واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا في التيه من المن والسلوى وبوحدته
انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا يتغير الوانه ولذلك اجمعوا
او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه
فادع لنا ربك سل لنا بدعائك اياه **يخرج لنا مما تنبت الارض** يظهر لنا ويوجد وجزمه
بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة **مما تنبت الارض** من الاسناد المجازي واقامة القابل
مقام الفاعل ومن للتبعيض **من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها** تفسير وبيان
وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي

من كلوا الفوم الحنطة ويقال للخبز منه فوموا لنا وقيل الثوم وقري قثايها بالضم وهو لغة فيه قال
اي موسي اتستبدلون الذي هو ادني اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب في
المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمة وقري
ادنا من الدناة بالذي هو خير يريد به المن والسلوي فانه خير في اللذة والنفع وعدم الحاجة
الي السعي اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا
خرج منه وقري بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون
وسطه او علي تاويل البلد ويويده انه غير منون في مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرايم فعرب فان
لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت
بهم من ضرب الطين علي الحايط مجازاة لهم علي كفران النعمة واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما علي الحقيقة
او علي التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباءوا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه
من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الي ما سبق من
ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التي من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال
المن والسلوي وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والتورية واية الرجم والتي فيها نعت
محمد صلي الله عليه وسلم من التورية وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا شعيا وزكريا ويحيي وغيرهم بغير الحق
عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم علي ذلك اتباع الهوي وحب الدنيا كما اشار
اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي والاعتدا فيه
الي الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب اسباب تودي الي تحري كبارها وقيل كرر الاشارة
للدلالة علي ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل والبا بمعني مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الي شيين
فصاعدا علي تاويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره في الضمير قول روبة خطوط من سواد وبلق
كانه في الجلد توليع البهق والذي حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتانيثها ليس علي
الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعني الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد به المتدينين بدين محمد صلي الله عليه
وسلم والمخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم في سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا
يقال هاد وتهود اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة
العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصاري جمع نصران
كندامي والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح او لانهم كانوا معه في قرية يقال
لها نصران او ناصران فسموا باسمها او من اسسها والصابيين قوم من النصاري والمجوس وقيل
اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملايكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان
عربيا فمن صبا اذا خرج وقرا نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من
ساير الاديان الي دينهم او من الحق الي الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان
منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه وبالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هولاء

الكفره

الكفرة ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذي وعد لهم علي
ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون
في تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدا خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها
فلهم اجرهم والفا لتضمن المسند اليه معني الشرط وقد منع سيبويه دخولها في خبر ان من حيث انها لا تدخل
الشرطية ورد بقوله تعالي ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا
ميثاقكم باتباع موسي والعمل بالتورية ورفعنا فوقكم الطور حتي اعطيتم الميثاق وروي ان
موسي عليه السلام لما جاءهم بالتورية فراوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر
جبريل بقلع الطور فظلله فوقهم حتي قبلوا خذوا علي ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد
وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا فيه فانه ذكر بالقلب واعملوا به لعلكم تتقون
لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اي قلنا
خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفا بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله
عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلي الله عليه وسلم يدعوكم الي الحق ويهديكم اليه لكنتم
من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشي
لامتناع غيره فاذا دخل علي لا افاد اثباتا وهو امتناع الشي لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدا
خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد
علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطية للقسم والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت
يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدي فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام
واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية علي الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق
حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضي تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسيين جامعين
بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا
بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بامر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به
سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقري قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة
فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين
يديها وما خلفها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الاخرين او
لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القري وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية ومن حولها او لاجل ما تقدم
عليها من ذنوبهم وما تاخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسي لقومه
ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالي واذ قتلتم نفسا فادارءتم فيها وانما
فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع اخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السوال وترك
المسارعة الي الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتله بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه علي باب المدينة
ثم جاءوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالي ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيي فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا

هزوا أمكان هزء او اهله او مهزوا بنا او الهزء نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا
به وقرا حمزة واسمعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون
من الجاهلين لان الهزء في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمي به على طريقة البرهان واخرج ذلك
في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اي ما حالها وصفتها وكان حقه
ان يقول اي بقرة هي او كيف هي لان ما يسئل عن الجنس غالبا لكنهم لما راوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شي من
جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية
ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اي بين ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة
يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تاخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من
شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزمه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطل التخيير
الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الراي الثاني ظاهر اللفظ والمروي عنه عليه السلام لو ذبحوا اي بقرة
ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادي وزجرهم عن المراجعة
بقوله فافعلوا ما تؤمرون اي ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم
بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
الفقوع نصوع الصفرة ولذلك يؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو
صفة صفراء لملابسته بها فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديد الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة
السواد وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب
ولعله عبر بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته او لان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة
بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اي تعجبهم والسرور اصله لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه
من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي تكرير للسؤال الاول واستكشاف زايد وقوله ان
البقر تشابه علينا اعتذار عنه اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا
وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر وتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها
على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة
ومشتبه ومشتبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفي الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله تعالى وان الامر قد ينفك عن
الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والكرامية والمعتزلة على حدوث الارادة واجيب بان التعليق
باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
اي لم تذلل للكراب وسقي الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاول
والفعلان صفتا ذلول كانه قال لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اي حيث هي كقولك مررت برجل
لا بخيل ولا جبان اي حيث هو وتسقي من اسقى مسلمة سلمها الله من العيوب او اهلها من العمل

او اخلص

او اخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون جلدها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق
اي بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلان بالمد على الاستفهام والان بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا البقرة المنعوتة
فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف الفضيحة في ظهور القاتل
او لغلاء ثمنها اذ روي ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها
لابني حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء جلدها
ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل
عليه النفي قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كساير الافعال ولا ينافي قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم وانقطعت
تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خطاب الجمع لوجود القتل فيهم
فادارأتم فيها اختصمتم في شانها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما بعضا او تدافعتم بان طرح كل قتلها عن
نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم
تكتمون مظهره لا محالة واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير على تاويل الشخص او القتيل
ببعضها اي بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجز كذلك
يحيي الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيي والخطاب مع من حضر حياة القتيل او نزول الاية
ويريكم آياته الابدية على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكي يكمل عقلكم وتعلموا ان من قدر
على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعقلون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط
فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة
على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى احسنه ويغالي بثمنه كما روي
عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان المؤثر في الحقيقة هو الله تعالى والاسباب
امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي فطريقه ان يذبح
نفسه التي هي القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رايقة
المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث يصل اثره الى
نفسه فتحيى حياة طيبة وتعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والنزاع
ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما في الحجر وقساوة القلب مثل في
نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل او جميع ما عدد من الآيات
فانها مما توجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة
مثل الحجارة او زايدة عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الجر بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد

من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة وأو للتخيير او للترديد
بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار**
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله للتفصيل والمعنى
ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما تتردى من اعلى
الجبل انقيادا لما امر الله به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره والتفجر التفتح بسعة وكثرة
والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة ويلزمها اللام الفارقة بينها وبين
النافية ويهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد على ذلك وقرا ابن ونافع ويعقوب وابو بكر
بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء **افتطمعون** الخطاب لرسول الله والمؤمنين **ان يؤمنوا لكم**
ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود **وقد كان فريق منهم** طائفة من اسلافهم **يسمعون**
كلام الله يعني التورية **ثم يحرفونه** كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تأويله فيفسرونه
بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور ثم قالوا سمعنا الله
يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا **من بعد ما عقلوه**
اي فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة **وهم يعلمون** انهم مفترون مبطلون ومعنى الاية
ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما طمعكم بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا
فلهم سابقة في ذلك **واذا لقوا الذين امنوا** يعني منافقيهم **قالوا امنا** بانكم على الحق ورسولكم هو
المبشر به في التورية **واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا** اي الذين لم ينافقوا منهم وعاتبين على من نافق
اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا
لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين
فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي **ليحاجوكم به عند ربكم** ليحتجوا عليكم بما
انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه
في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر
اذ الاخفاء لا يدفعها **افلا تعقلون** اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم
فيحجونكم او خطاب من الله للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع
لكم في ايمانهم **اولا يعلمون** يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين **ان الله يعلم**
ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم
واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه **ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب**
جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية **الا اماني** استثناء منقطع
والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه من منى اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب
وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة
سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما
يقرؤون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة تمني داود الزبور على رسل

وهو

وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون **ان هم الا يظنون** ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق
الظن بازاء العلم على كل رأي واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق
فويل اي تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل
ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر ولا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء **للذين**
يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة **بايديهم**
تأكيد كقولك كتبته بيميني **ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا** كي
يحصلوا به عرضا من اعراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم
فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف **وويل لهم مما يكسبون** يريد به الرشى
وقالوا لن تمسنا النار المس اتصال الشيء بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له
ولذلك يقال المسه فلا اجده **الا اياما معدودة** محصورة قليلة روي ان بعضهم قالوا نعذب
بعدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان
كل الف سنة يوما **قل اتخذتم عند الله عهدا** خبرا او وعدا بما تزعمون وقرا ابن كثير وحفص باظهار
الذال والباقون بادغامه **فلن يخلف الله عهده** جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم عند الله عهدا فلن
يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال **ام تقولون على الله ما لا تعلمون**
ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة
بمعنى بل اتقولون على التقرير والتقريع **بلى** اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا
طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم وتختص بجواب النفي **من كسب سيئة** قبيحة
والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ
والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم **واحاطت**
به خطيئته اي استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شيء من جوانبه
وهذا انما يصح في شأن الكافر لان غيره ان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به
ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله
والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولي عليه الذنوب وتأخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه
مائلا الى المعاصي مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها
كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤوا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرا نافع خطيئاته وقرئ خطيته
وخطياته على القلب والادغام فيهما **فاولئك اصحاب النار** ملازموها في الاخرة كما انهم ملازمون
اسبابها في الدنيا **هم فيها خالدون** دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود
صاحب الكبيرة وكذا التي قبلها **والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم**
فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيد لترجى رحمته ويخشى عذابه
وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون**
الا الله اخبار في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام

ان المنهي مسارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون في ارادة
القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذف ان رفع كقوله الا ايها الزاجري احضر الوغا ويدل عليه قراءة ان
لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال
حلفناكم لا تعبدون وقرا نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء
لانهم غيب **وبالوالدين احسانا** متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا **وذي القربى واليتامى**
والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم كنديم وندامى وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون
كان الفقر اسكنه **وقولوا للناس حسنا** اي قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرا حمزة والكسائي
ويعقوب حسنا بفتحتين وقرئ حسنى بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى
والمراد به ما فيه تخلق وارشاد **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** يريد بهما ما فرض عليهم في ملتهم **ثم**
توليتم على طريق الالتفات للخطاب مع الموجودين منهم في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم
على التغليب اي اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه **الا قليلا منكم** يريد به من اقام اليهودية على وجهها
قبل النسخ ومن اسلم منهم **وانتم معرضون** قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض
الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم**
ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضكم بعضا
بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه
قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم
عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء
الحقيقي **ثم اقررتم** بالميثاق واعترفتم بلزومه **وانتم تشهدون** توكيد كقولك اقر فلان شاهدا
على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم
مجازا **ثم انتم هؤلاء** استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذي فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة
تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما يستحكي عنهم غيبا وقوله **تقتلون**
انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان
لهذه الجملة وقيل هؤلاء تاكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون
على التكثير **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** حال من فاعل تخرجون او مفعوله
او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرا عاصم والكسائي وحمزة بحذف احدى التائين وقرئ بالاظهار
وتظهرون بمعنى تتظهرون **وان ياتوكم اسارى تفادوهم** روي ان قريظة كانوا حلفاء
الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها
واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان ياتوكم اسارى في ايدي الشياطين تتصدون
لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وقرا حمزة اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير

وكانه

وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم **وهو محرم عليكم**
اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان
او مبهم وتفسيره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيد او بيان **افتؤمنون**
ببعض الكتاب يعني الفدا **وتكفرون ببعض** يعني المقاتلة والاجلا **فما جزاء من يفعل ذلك**
منكم الا خزي في الحيوة الدنيا كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير وضرب الجزية على غيرهم
واصل الخزي ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل في كل منهما **ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب**
لان عصيانهم اشد **وما الله بغافل عما تعملون** تاكيد للوعيد اي الله سبحانه وتعالى بالمرصاد
لا يغفل عن افعالهم وقرا عاصم في رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع ويعقوب
يعملون على ان الضمير لمن **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة** اثروا الحياة الدنيا
على الاخرة **فلا يخفف عنهم العذاب** بنقص الجزية في الدنيا والتعذيب في الاخرة **ولا هم ينصرون**
بدفعها **ولقد اتينا موسى الكتاب** اي التورية **وقفينا من بعده بالرسل** اي ارسلنا على
اثره الرسل لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترا يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اتبعه من القفا نحو ذنبه
من الذنب **واتينا عيسى ابن مريم البينات** المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه
والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعبرية من النساء
كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وايدناه** قويناه
وقرئ ايدناه **بروح القدس** بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق واراد به جبريل
وقيل روح عيسى عليه السلام ووصفها به لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله ولذلك
اضافها الى نفسه او لانه لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم
الذي كان يحيي به الموتى وقرا ابن كثير القدس بالاسكان في جميع القران **افكلما جاءكم رسول**
بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم سقط
ووسطت الهمزة بين الفا وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا او تعجيبا من شانهم ويحتمل
ان يكون استينافا والفا للعطف على مقدر **استكبرتم** عن الايمان واتباع الرسل **ففريقا**
كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفا للسببية او التفصيل **وفريقا تقتلون** كزكريا ويحيى
وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها في النفوس فان الامر فظيع او مراعاة
للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم حولتم قتل محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له
الشاة **وقالوا قلوبنا غلف** مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه
مستعار من الاغلف الذي لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية العلم لا تسمع
علما الا وعته ولا تعي ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره **بل لعنهم الله بكفرهم**
رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل استعدادها
او انها لم تاب قبول ما تقول لخلل فيه بل لان الله خذلهم بكفرهم كما قال فاصمهم واعمى ابصارهم او هم
كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك **فقليلا ما يؤمنون** فايمانا قليلا

يؤمنون وما مزيدة للمبالغة في التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما
جاءهم كتاب من عند الله يعني القران مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال
من كتاب لتخصيصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا اي يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا
بنبي اخر الزمان المنعوت في التورية او يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب زمانه
والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل سال ذلك عن نفسه فلما جاءهم ما عرفوا
من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اي عليهم
واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا
اوليا لان الكلام فيهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شيء مميزة لفاعل بئس المستكن
واشتروا صفته ومعناه باعوا او اشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب
بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو
علة يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل او حسدوه على ان ينزل الله وقرا ابن كثير
وابو عمرو بالتخفيف من فضله يعني الوحي على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤوا
بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل بكفرهم بمحمد بعد عيسى او بعد قولهم
عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه
واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اي التورية
ويكفرون بما وراءه حال من الضمير في قالوا ووراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف
الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك
عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القران مصدقا لما معهم حال مؤكدة
تتضمن رد مقالهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله
من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه
وانما اسنده اليهم لانه فعل ابائهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرا نافع وحده انبئاء الله بالهمز
في كل القران ولقد جاءكم موسى بالبينات يعني الايات التسع المذكورة في قوله تعالى
ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده بعد مجيء موسى عليه السلام
او ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله او
اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الاية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على
ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليه السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ
اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اي قلنا لهم
خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك
واشربوا في قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل
الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارا

بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم
ما سول لهم السامري قل بئسما يامركم به ايمانكم اي بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر
او ما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة في الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين
تقرير للقدح في دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها لم يامركم بهذه القبائح ولا يرخص
لكم فيها ايمانكم لكن الايمان بها لا يامركم به فاذا لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله
خالصة خاصة لكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون
الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن
انه من اهل الجنة اشتاقها واحب التخلص اليها من الدار ذات الشوائب كما قال علي رضي الله عنه لا ابالي
سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه وقال
حذيفة حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه
فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم من موجبات النار كالكفر بمحمد والقران وتحريف
التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان الة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه
عبر بها عن النفس تارة والقدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر
فان التمني ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا وان كان بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودي والله
عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجاري مجرى علم ومفعولاه هم احرص وتنكير
حيوة لانه اريد فرد من افرادها وهي الحياة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى
وكانه قال احرص من الناس ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحياة
العاجلة والزيادة في التوبيخ والتقريع فانه لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على علمهم
بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا اليهود فحذف لدلالة الاول عليه وان يكون
خبر مبتدا محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله
ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاولين بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف لو يعمر الف سنة
حكاية لودادتهم ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجري على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم
بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة
لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة
التبعيد والله بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل في عبد الله بن
صوريا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا مرارا
واشدها عداوة انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فراه ببابل
فدفع عنه جبريل فقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا فبما تقتلونه وقيل دخل عمر رضي الله عنه

مدارس اليهود يوماً فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمداً على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب
وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره
وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو ا
لله تعالى ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفي جبريل ثمان لغات
قرئ بهن اربع في المشهور جَبْرَئِيل كسلسبيل قراءة حمزة والكسائي وجبريل بكسر الراء وحذف الهمزة وقرا ابن
كثير وجبرال كجحمرش قراءة عاصم برواية ابي بكر وجبريل كقنديل قراءة الباقون واربع في الشواذ جبرائيل
وجبرايل وجبرين ومنع صرفه للعجمة والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله الضمير الاول لجبريل والثاني
للقران واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره
على قلبك فانه القابل الاول للوحي ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبي لكنه جاء على حكاية كلام الله
كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله اي بامره وتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه
وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى من
عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحي
لانه نزل مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب في عداوته
انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا او فهو عدو لي وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله
وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته
عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر الكلام بذكره تفخيما لشانهم كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان المعاداة للواحد
والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب
لمحبتهم وعداوتهم على الحقيقة واحد لان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى
عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرا نافع وميكائيل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم
ميكال كميعاد وقرئ ميكئل وميكئيل وميكال ولقد انزلنا اليك آيات بينات وما يكفر
بها الا الفاسقون اي المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على انه
اعظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه
وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف
تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم نقضه واصل
النبذ الطرح لكنه تغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون
رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون به خفاء ولما جاءهم
رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم نبذ فريق من
الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لان كفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه
ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول وهو القران وراء
ظهورهم مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهور لعدم الالتفات اليه كانهم

كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه سبحانه
وتعالى دل بالآيتين ان جل اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب
وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها
تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم
بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها حقيقة عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم
المتجاهلون واتبعوا ما تتلوا الشياطين عطف على نبذ اي نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر
التي تقرؤها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اي عهده وتتلو حكاية
حال ماضية بل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم
وانه يسخر به الانس والجن وما كفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل
على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرا ابن
عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا
والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب الى الشياطين مما لا يستقل به
الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التعلم
والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما ما يتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة
الآلات والادوية او يريه صاحب خفة اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز لما فيه من الدقة
لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار او به نوع اقوى منه او على ما تتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس
وتمييزا بينه وبين المعجزة وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة
فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل
وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين
بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ما كفر تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين
او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين
ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية
ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما
يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى
ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر
باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به
وعلى الثاني ما يعلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين
به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثرة بالذات بل بامره تعالى وجعله وقرئ

بضارٍّ على الاضافة الى احد وجعل الجار جزءاً منه والفصل بالظرف **ويتعلمون ما يضرهم** لانهم
يقصدون به العمل ولان العلم يجر الى العمل غالباً **ولا ينفعهم** اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع
في الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى **ولقد علموا** اي اليهود **لمن اشتراه** اي استبدل ما تتلو الشياطين
بكتاب الله تعالى والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل **ما له في الآخرة من خلاق**
نصيب **ولبئس ما شروا به انفسهم** يحتمل المعنيين على ما مر **لو كانوا يعلمون**
يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولاً على التوكيد
القسمي العقل الغريزي او العلم الاجمالي بقبح الفعل غير تحقيق وقيل معناه لو كانوا يعملون بعلمهم فان من
لم يعمل بما علم كان كمن لا يعلم **ولو انهم آمنوا** بالرسول والكتاب **واتقوا** بترك المعاصي كنبذ كتاب الله
واتباع السحر **لمثوبة من عند الله خير** جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من الله خيراً مما شروا
به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقي جملة اسمية ليدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل
عليه اجلالاً للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشيء من الثواب خير وقيل لو للتمني والمثوبة
كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمي الجزاء ثواباً ومثوبة لان المحسن يثوب اليه **يا ايها الذين**
آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعي حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا اي راقبنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهمه وسمعه اليهود فافترصوه
وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التي كانوا يتسابون بها وهي راعينا فنهي
المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من
نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اي امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعناً بالتنوين
اي قولاً ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب **واسمعوا** واحسنوا
الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع القبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد
حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه **وللكافرين عذاب اليم** يعني الذين تهاونوا بالرسول وسبوه **ما يود**
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيباً لجمع من اليهود يظهرون
مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشيء مع تمنيه ولذلك يستعمل في كل منهما ومن
للتبيين كما في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** مفعول يود ومن
الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحي والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء منه او بالعلم والنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك **والله يختص برحمته من يشاء** يستنبئه
ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شيء وليس لاحد عليه حق **والله ذو الفضل العظيم** اشعار بان النبوة
من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس من ضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته
ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه
بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ في اللغة ازالة الصورة عن الشيء واثباتها في غيره
كنسخ الظل للشمس ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت
الكتاب ونسخ الآية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعاً وانساؤها

اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة على المفعولية وقرأ ابن عامر ننسخ اي نأمرك
او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو ننسأها اي نؤخرها من النسء وقرئ ننسها اي
ننسي احداً اياها وننسها على البناء للمفعول وننساها باظهار المفعولين وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة على المفعولية **نأت بخير منها او مثلها** اي بما هو خير للعباد في النفع والثواب ومثلها
في الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفاً **الم تعلم ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على النسخ والاتيان
بمثل المنسوخ وبما هو خير منه والآية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما
يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعية والآيات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلاً
من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع في عصر قد يضر في غيره
واحتج بها من منع النسخ بلا بدل او ببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتي به بدلاً والسنة مما
اتى به الله وليس المراد بالخير والمثل ما يكون كذلك في اللفظ والمعتزلة على حدوث القرآن فان التغير والتفاوت
من لوازمه واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلق بها المعنى القائم بالذات القديمة **الم تعلم** خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم **ان الله له**
ملك السموات والارض يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شيء قدير
او على جواز النسخ ولذلك ترك العاطف **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** وانما هو الذي
يملك اموركم ويجريها على مصالحكم والفرق بين الولي والنصير ان الولي قد يضعف عن النصرة والنصير
قد يكون اجنبياً عن المنصور **ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل**
ام معادلة للهمزة في الم تعلم انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون
بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام او منقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح
عليه قيل نزلت في اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل عليهم كتاباً من السماء وقيل في المشركين لما قالوا لن نؤمن
لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه **ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل**
ومن ترك الثقة بالآيات البينة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع في الكفر بعد
الايمان ومعنى الآية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدي بكم الضلال البعيد عن القصد وتبديل
الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل **ود كثير من اهل الكتاب** يعني احبارهم **ان يردونكم**
اي ان يردوكم فان لو تنوب عن ان في المعنى دون اللفظ **من بعد ايمانكم كفاراً** مرتدين وهو حال
من ضمير المخاطبين **حسداً** علة ود **من عند انفسهم** وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق او بحسد
اي حسداً بالغاً منبعثاً من اصل نفوسهم **من بعد ما تبين لهم الحق** بالمعجزات والنعوت المذكورة في التورية
فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه **حتى يأتي الله بامره**
الذي هو الاذن في قتالهم وضرب الجزية عليهم او قتل قريظة واجلاء بني النضير وعن ابن عباس انه منسوخ
باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق **ان الله على كل شيء قدير** فيقدر على الانتقام منهم
واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة واللجأ الى الله
بالعبادة والبر **وما تقدموا لانفسكم من خير** كصلاة وصدقة وقرئ تقدموا من اقدم

تجدوه عند الله اي ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا
وقالوا عطف علي ودّ والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصاري لن يدخل الجنة الا من كان
هودا او نصاري لف بين قولي الفريقين كما في قوله وقالوا كونوا هودا او نصاري ثقة بفهم السامع وهود
جمع هائد كعابد وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر اعتبارا للفظ والمعني تلك امانيهم اشارة الي
الاماني المذكورة وهي ان لا ينزل علي المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم او الي
ما في الاية علي حذف المضاف اي امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمني كالاضحوكة
والاعجوبة قل هاتوا برهانكم علي اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم فان
كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلي اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له
نفسه او قصده واصله العضو وهو محسن في عمله فله اجره الذي وعد له علي عمله عند ربه
ثابتا عنده لا يضيع ولا ينتقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها
لتضمنها معني الشرط فيكون الرد بقوله بلي وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم فاعل فعل مقدر
مثل بلي يدخلها من اسلم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصاري
علي شيء وقالت النصاري ليست اليهود علي شيء يعتد به نزلت لما قدم وفد نجران علي رسول الله
صلي الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب
الواو للحال والكتاب للجنس قالوا ذلك وهم من اهل العلم والكتاب كذلك مثل ذلك قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم علي المكابرة والتشبه بالجهال
فان قيل لم وبخهم وقد صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشيء قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل
فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان ما لم ينسخ منهما حق واجب القبول والعمل
فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل
فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله
عام لكل من خرب مسجدا وسعي في تعطيل مكان مرشح للصلاة وانه نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه
وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا رسول الله صلي الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان
يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع وسعي في خرابها بالهدم والتعطيل اولئك اي المانعون ما
كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخشوع فضلا
ان يجترؤا علي تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يمنعوهم
منها او ما كان لهم في علم الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم وقد انجز وعده
وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة فيه فجوزه ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعي
بين المسجد الحرام وغيره لهم في الدنيا خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب
عظيم بكفرهم وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتي الارض اي له الارض كلها لا يختص
به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصي فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فاينما تولوا ففي اي مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله اي جهته التي امر بها فان امكان

التولية لا تختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اي عالم مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع بالاحاطة بالاشياء
او برحمته يريد التوسعة علي عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر انها نزلت في صلاة
المسافر علي الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الي انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلي
هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة وتنزيه المعبود
ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصاري
المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات الله وعطفه علي قالت اليهود او منع او مفهوم قوله ومن اظلم
وقرا ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضي التشبيه والحاجة وسرعة الفناء
الا تري ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها لما كانت باقية ما دام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد
اتخاذ الحيوان والنبات اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال
علي فساده والمعني انه خالق ما في السموات والارض الذي من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له
قانتون منقادون لا يمتنعون عن مشيته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه الواجب
لذاته فلا يكون له ولد لان من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذي لغير اولي العلم وقال قانتون
علي تغليب اولي العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض من المضاف اليه اي كل ما فيهما ويجوز ان يراد كل من جعلوه
ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة علي فساد ما قالوه
من ثلاثة اوجه واحتج بها الفقهاء علي ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالي نفي الولد باثبات الملك وذلك يقتضي
تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعي السميع يؤرقني واصحابي
هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها فاعل علي الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا
والابداع اختراع الشيء لا عن شيء دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذي هو تركيب الصورة بالعنصر
والتكوين الذي يكون بتغيير وفي زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا علي البدل من الضمير في له ومنصوبا علي المدح
واذا قضي امرا اي اراد شيئا واصل القضاء اتمام الشيء قولا كقوله تعالي وقضي ربك او فعلا كقوله تعالي
فقضاهن سبع سموات واطلق علي تعلق الارادة الالهية بوجود الشيء من حيث انه يوجبه فانما يقول له
كن فيكون من كان التامة بمعني احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت
به ارادته بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعني الابداع وايماء الي حجة خامسة وهو ان اتخاذ
الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالي يستغني عن ذلك وقرا ابن عامر فيكون بنصب النون واعلم ان
السبب في هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب علي الله تعالي باعتبار انه السبب
الاول حتي قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالي هو الرب الاكبر حتي ظنت الجهلة منهم ان المراد به
معني الولادة فاعتقدوا ذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال
الذين لا يعلمون اي جهلة المشركين او المتجاهلين من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا كما يكلم
الملائكة او يوحي الينا بانك رسوله او تاتينا اية حجة علي صدقك والاول استكبار والثاني جحود ان

إلا هم آيات استهانة به وعنادا **كذلك قال الذين من قبلهم** من الأمم الماضية **مثل قولهم**
فقالوا أرنا الله جهرة هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء **تشابهت قلوبهم** قلوب
هؤلاء ومن قبلهم في العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين **قد بينا الآيات لقوم يوقنون** أي يطلبون
اليقين أو يوقنون الحقائق لا تعتريهم شبهة ولا عناد وفيه إشارة إلى أنهم ما قالوا ذلك لخفاء في الآيات أو لطلب
مزيد يقين وإنما قالوه عتوا وعنادا **إنا أرسلناك بالحق** ملتبسا مؤيدا به **بشيرا ونذيرا**
فلا عليك إن أصروا وكابروا **ولا تسأل عن أصحاب الجحيم** ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت وقرأ نافع
ويعقوب ولا تسأل على أنه نهي للرسول عن السؤال عن حال أبويه أو تعظيم لعقوبة الكفار كأنها لفظاعتها
لا يقدر أن يخبر عنها والسامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار **ولن ترضى
عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** مبالغة في إقناط الرسول عن إسلامهم فإنهم إذا لم
يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم فكيف يتبعون ملتك ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله عنهم ولذلك قال **قل**
تعليما للجواب **إن هدى الله هو الهدى** أي هدى الله الذي هو الإسلام هو الهدى أي الحق لا ما
يدعون إليه **ولئن اتبعت أهواءهم** آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله لعباده على لسان أنبيائه
من أمللت الكتاب إذا أمليته والهوى رأي يتبع الشهوة **بعد الذي جاءك من العلم** أي من الوحي
أو الدين المعلوم صحته **ما لك من الله من ولي ولا نصير** يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن **الذين
آتيناهم الكتاب** يريد به مؤمني أهل الكتاب **يتلونه حق تلاوته** بمراعاة اللفظ عن التحريف
والتدبر في معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده أو خبر على أن المراد بالموصول مؤمنو
أهل الكتاب **أولئك يؤمنون به** بكتابهم دون المحرفين **ومن يكفر به** بالتحريف والكفر
بما يصدقه **فأولئك هم الخاسرون** حيث اشتروا الكفر بالإيمان **يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس
عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون** لما صدر قصتهم
بالأمر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر عن إضاعتها والخوف من الساعة وأهوالها كرر ذلك وختم
به الكلام معهم مبالغة في النصح وإيذانا بأنه فذلكة القصة والمقصود من القصة **وإذ ابتلى إبرهيم
ربه بكلمات** كلفه بأوامر ونواه والابتلاء في الأصل التكليف بالأمر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم
الاختبار بالنسبة إلى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لإبرهيم وحسن لتقدمه لفظا وإن تأخر
رتبة لأن الشرط أحد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعاني فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين
المحمودة المذكورة في قوله تعالى التائبون العابدون وقوله إن المسلمين إلى آخر الآيتين وقوله قد أفلح المؤمنون
إلى قوله أولئك هم الوارثون كما فسرت بها في قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التي هي من سننه وبمناسك
الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على أنه تعالى عامله بها معاملة المختبر بهن وبما تضمنته
الآيات التي بعدها وقرأ ابن عامر ابراهام بالألف جميع ما في هذه السورة وفي النساء ثلاثة أحرف وهي الأخيرة
وفي الأنعام الحرف الأخير وفي التوبة الحرفان الأخيران وفي إبرهيم حرف وفي النحل حرفان وفي مريم ثلاثة أحرف

وفي العنكبوت

وفي العنكبوت حرف وفي الذاريات حرف وفي النجم حرف وفي الممتحنة الحرف الأول فذلك ثلاثة وثلثون
حرفا وقرأ ابن ذكوان في البقرة خاصة بالوجهين **فأتمهن** فأداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله وإبرهيم
الذي وفى وفي القراءة الأخيرة الضمير لربه أي أعطاه جميع ما دعاه **قال إني جاعلك للناس إماما**
استئنافا إن أضمرت ناصب إذ كأنه قيل فماذا قال له ربه حين أتمهن فأجيب بذلك أو بيان لقوله ابتلى فتكون
الكلمات ما ذكره من الإمامة وتطهير البيت ورفع قواعده والإسلام وإن نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة
على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والإمام اسم من يؤتم به وإمامته عامة مؤبدة إذ لم يبعث بعده
نبي إلا كان من ذريته مأمورا باتباعه **قال ومن ذريتي** عطف على الكاف أي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا
في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية أو فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق
أو فعولة أو فعلية قلبت همزتها من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة **قال لا ينال عهدي
الظالمين** إجابة إلى ملتمسه وتنبيه على أنه قد يكون من ذريته ظلمة وأنهم لا ينالون الإمامة لأنها أمانة من الله
تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وإنما ينالها البررة الأتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الأنبياء من الكبائر قبل البعثة
وأن الفاسق لا يصلح للإمامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد إذ كل ما نالك فقد نلته **وإذ جعلنا البيت**
أي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا **مثابة للناس** مرجعا يثوب إليه أعيان الزوار وأمثالهم أو موضع
ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات لأنه مثابة كل أحد **وأمنا** موضع أمن لا يتعرض لأهله لقوله تعالى
حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أو يأمن حاجه من عذاب الآخرة من حيث إن الحج يجب ما قبله أو لا يؤاخذ
الجاني الملتجئ إليه حتى يخرج وهو مذهب أبي حنيفة **واتخذوا من مقام إبرهيم مصلى** على إرادة القول
أو عطف على المقدر عاملا لإذ أو اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا إليه واتخذوا على أن الخطاب لأمة محمد
صلى الله عليه وسلم وهو أمر استحباب ومقام إبرهيم الحجر الذي فيه أثر قدميه والموضع الذي كان فيه
حين قام عليه ودعا الناس إلى الحج أو رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم وروي أنه عليه السلام أخذ بيد عمر
فقال هذا مقام إبرهيم فقال عمر أفلا نتخذه مصلى فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الأمر بركعتي
الطواف لما روى جابر أنه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد إلى مقام إبرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من
مقام إبرهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام إبرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى أن يدعى
فيها ويتقرب إلى الله وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا وتجعل الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة
قبلة يصلون إليها **وعهدنا إلى إبرهيم وإسمعيل** أمرناهما **أن طهرا بيتي** بأن طهرا ويجوز أن تكون
مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الأوثان والأنجاس وما لا يليق به أو أخلصاه **للطائفين**
حوله **والعاكفين** المقيمين عنده أو المعتكفين فيه **والركع السجود** أي المصلين جمع راكع وساجد
وإذ قال إبرهيم رب اجعل هذا أي المكان **بلدا آمنا** ذا أمن لقوله عايشة رضي الله عنها أو آمن
أهله كقولك ليل نائم **وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر** أبدل من آمن من
أهله بدل البعض للتخصيص **قال ومن كفر** عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس إبرهيم
الرزق على الإمامة فنبه سبحانه وتعالى على أن الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الإمامة والتقدم
في الدين أو مبتدأ تضمن معنى الشرط **فأمتعه قليلا** خبره والكفر وإن لم يكن سبب التمتع لكنه سبب

تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل بها الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى
عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف
وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعا ابرهيم وفي قال ضميره وقرا ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره
بكسر النون على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها
ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى
الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى
هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناها وقيل المراد رفع
مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد تفخيم لشانها واسمعيل
كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا
تقبل منا اي يقولان ربنا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم
ببنائنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا
استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان او الثبات عليه وقرئ مسلمين لك على ان المراد
انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل بعض
ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة اذا صلحوا اصلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما
اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى
فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز
ان يكون من للتبيين لقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف
كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وارنا من راى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم
يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه الكلفة والبعد عن العادة وقرا ابن كثير والسوسي عن ابو عمرو ويعقوب ارنا قياسا على فخذ
في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وروي عن ابي عمرو بالاختلاس
وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا
منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال عليه السلام انا
دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه
من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القران والحكمة ما يكمل به نفوسهم من المعارف
والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد
الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب
عن ملته الواضحة الغراء اي لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها
واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان

بسفه

سفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه وقول
جرير ونأخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل
الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح
يوم القيمة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار
اذكر كانه قال اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة
الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روي
انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها
ابرهيم بنيه التوصية هو التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله
وفصاه اذا فصله لان الموصي يصل فعله بفعل الموصى والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تاويل الكلمة
او الجملة وقرا نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي ووصى هو ايضا بنيه وقرئ
بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه
ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين
ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوي ويهودا ويشسوخور وزبولون
ودون ونفتولي وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان لقوله تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف
حال الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل
الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره
في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى
بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه
او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شاهدتم ذلك وانما
علمتموه بالوحي وقوله حضر بالوحي اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي
اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسال به عن
كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد فقيه ام طبيب
قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق الها واحدا
المتفق على وجوده والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد او لانه كالاب لقوله
عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع
بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها
واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير

المضاف لتعذر العطف على المجرور والتأكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال
من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب
وبنيهما والامة في الاصل المقصود سمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
لكل اجر عمله والمعنى انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وما تنوون بانسابكم ولا تسألون عما كانوا
يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير
الغائب لاهل الكتاب والتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى
كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل تكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل
نتبع ملة ابرهيم وقرئت بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحو ملته بمعنى نحو اهل ملته حنيفا
مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل
اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون
قولوا امنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله فان امنوا بمثل ما امنتم به وما انزل الينا وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت على ابرهيم
لكنهم لما كانوا متعبدين بتفصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القران منزل الينا
والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد حفدة يعقوب وابناءه وذرياتهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق
وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير
لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورين منهم وغير المذكورين من ربهم
منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود نؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد في وقوعه في سياق النفي
عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان امنوا بمثل
ما امنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اي لا مثل لما امن
به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق
مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتأكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان امنوا
بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه وتشهد له قراءة من قرأ بما امنتم به او
بالذي امنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في
شقاق الحق وهو المناوأة والمخالفة فان كل واحد من المخالفين في شق غير شق الآخر فسيكفيكهم الله
تسلية وتسكين للمؤمنين ووعد لهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام
الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لا محالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه سميع ما يبدون
ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اي صبغنا الله صبغته وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها
فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدانا هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره
وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل في قلوبهم تداخل الصبغ الثوب او للمشاكلة فان النصارى
كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم ونصبها على انها مصدر
مؤكد لقوله امنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم ومن احسن من الله صبغة لا صبغة احسن من صبغته

ونحن له

ونحن له عابدون تعريض بهم اي لا نشرك به كشرككم وهو عطف على امنا وذلك يقتضي دخول قوله
صبغة الله في مفعول قولوا ولمن ينصبها على الاغراء او البدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا او اتبعوا ملة ابرهيم
وقولوا امنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا في الله في شانه
واصطفائه نبيا من العرب دونكم روي ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت
وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا
اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما
وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها
بالمواظبة على الطاعة والتحلي بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله في اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن
له مخلصون موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام تقولون ان ابرهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى
قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون
المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم
بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء
المعطوفون عليه اتباعه في الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعني شهادة
الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة عن اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا
هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله تعالى لمحمد بالنبوة في كتبهم
وغيرها ومن للابتداء كما في قوله براءة من الله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء
تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون
تكرير للمبالغة في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب
فيما سبق لهم وفي الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة في الاول الانبياء وفي الثاني اسلاف اليهود والنصارى
سيقول السفهاء من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر
يريد المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد
الجواب ما ولاهم ما صرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس والقبلة في الاصل
الحالة التي عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق
والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام
امره لا بخصوص المكان يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترضيه الحكمة وتقتضيه
المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى مفهوم الاية المتقدمة
اي كما جعلناكم مهتدين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا
اي خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو في الاصل اسم للمكان الذي تستوي اليه المساحة من الجوانب
ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن
ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التي يوصف بها واستدلت
به على ان الاجماع حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون

الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اي لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل اليكم من الكتب
انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم
الشقا على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم
وروي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبيا فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم اقامة للحجة على
المنكرين فيوتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فيقولون الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيوتى بمحمد فيسئل عن حال امته فيشهد بعدالتهم
وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول كالرقيب المهيمن على امته عدي بعلى وقدمت الصلة للدلالة
على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها
وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تالفا لليهود او الصخرة
لقول ابن عباس كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه والمخبر به على الاول الجعل
الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس
الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلاة
اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة ابائه او لنعلم الان من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول
بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه
وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي
الذي هو مناط الجزا والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه
لانهم خواصه او لنميز الثابت عن المتزلزل لقوله ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب
عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البنا للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او
مفعوله الثاني ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال
الكوفيون هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة
او التولية والردة او التحويلة او للقبلة وقرى لكبيرة بالرفع فتكون كان زايدة الا على الذين
هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم
اي ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما وجه الى الكعبة
قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرءوف رحيم
فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرءوف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرا الحرميان وابن عامر
وحفص لرءوف بالمد والباقون بالقصر قد نرى تقلب وجهك في السماء تردد
وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه
ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى الى العرب الى الايمان ولمخالفة اليهود
وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسئل فلنولينك قبلة ترضاها فلنمكننك من استقبالها
من قوله وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضاها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد
دينية وافقت مشية الله وحكمته فول وجهك اي اصرف وجهك شطر المسجد الحرام

نحوه. وقيل الشطر في الاصل ما انفصل عن الشي من شطر اذا انفصل ودار شطور منفصلة عن الدور ثم
استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اي محرم فيه القتال اي ممنوع من الظلمة ان يتعرضوه
وانما ذكر المسجد الحرام دون الكعبة لانه عليه السلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة
فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب وروي انه عليه السلام قدم المدينة فصلى نحو بيت
المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه
في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنسا صفوفهم
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول
بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عم تصريحا بعموم الحكم وتاكيد الامر القبلة وتخصيصا للامة على المتابعة
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى
تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه يصلي الى القبلتين والضمير للتحول او التوجه وما
الله بغافل عما يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي بالتا ولئن اتيت
الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطية للقسم ما
تبعوا قبلتك جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك
لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم قالوا
لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان
تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل
الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن
اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم
مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين واكد تهديده وبالغ فيه من سبعة
اوجه الاتيان باللام الموطية للقسم المضمر • حرف التحقيق وهي ان • تركيبه من جملة اسمية • الاتيان باللام
في الخبر • جعله من الظالمين ولم يقل انك ظالم فان في الاندراج معهم ايهاما بحصول انواع الظلم • التقييد بمجي العلم
تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء
الذين اتيناهم الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم
يسبق ذكره لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القران او التحويل كما يعرفون ابناءهم تشهد للاول
اي يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله عنه انه سال عبد الله
بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي
واما ولدي فلعل والدته خانت وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص لمن
عاند واستثناء لمن امن الحق من ربك كلام مستانف والحق اما مبتدا خبره من ربك واللام للعهد
والاشارة الى ما عليه الرسول او الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه لا ما لم يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدا محذوف اي هو الحق ومن ربك حال او خبر بعد خبر
وقرى بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن من الممترين الشاكين في انه من ربك
او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد به نهي الرسول عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار

بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الائمة بالكتاب المعارف المرجحة علي الوجه الابلغ **ولكل**
وجهة ولكل امة قبلة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة والتنوين بدل الاضافة **هو موليها**
اي علي المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله تعالى موليها اياه وقري لكل وجهة بالاضافة والمعنى
وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا لضعف العامل وقرا ابن عامر مولاها اي هو مولي تلك
الجهة قد وليها **فاستبقوا الخيرات** من امر القبلة وغيرها مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** في اي موضع تكونوا من موافق
ومخالف مجتمع الاجزاء او مفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المتقابلة يات بكم الله جميعا ويجعل صلاتكم كلها الى جهة واحدة **ان الله على كل
شيء قدير** فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع **ومن حيث خرجت** ومن اي مكان خرجت للسفر **فول
وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** اي وان هذا الامر **للحق من ربك وما الله بغافل
عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم
شطره** كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلث علل تعظيم الرسول بابتغاء مرضاته
وجري العادة الالهية على ان يولي اهل كل ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين
على نبيه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شان
والنسخ من مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يعود امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى **لئلا يكون
للناس عليكم حجة** لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج اليهود
بان المنعوت في التورية قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم
ويخالف قبلته **الا الذين ظلموا منهم** استثناء من الناس اي لئلا يكون لاحد من الناس حجة
الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة
ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله حجتهم داحضة لانهم يسوقون مساقها وقيل الحجة بمعنى
الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب
للعلم بان الظالم لا حجة له وقري الا الذين ظلموا على انه استيناف بحرف التنبيه **فلا تخشوهم** فلا تخافوهم
فان مطاعنهم لا تضركم **واخشوني** فلا تخالفوا ما امرتكم **ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم
تهتدون** علة محذوف اي وامرتكم لاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل
واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم او لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه
تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم** متصل بما قبله اي ولاتم نعمتي
عليكم في امر القبلة او في الاخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اي كما ذكرتكم بالارسال فاذكروني
يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكيا قومه باعتبار القصد واجرموني دعوة
ابرهيم باعتبار الفعل **ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** اذ لا طريق
الى معرفته سوى الوحي وكرر الفعل ليدل على انه جنس اخر **فاذكروني** بالطاعة **اذكركم** بالثواب
واشكروا لي ما انعمت به عليكم **ولا تكفرون** بجحد النعم وعصيان الامر **يا ايها**

الذين امنوا استعينوا بالصبر عن المعاصي وحظوظ النفس **والصلوة** التي هي ام العبادات
ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين **ان الله مع الصابرين** بالنصر واجابة الدعوة
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات اي هم اموات **بل احياء** بل هم احياء
ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس
ما يحس به من الحيوانات وانما هي امر لا يدرك بالعقل بل بالوحي وعن الحسن ان الشهدا احياء عند الله
تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوا
وعشيا فيصل اليهم الوجع والاية نزلت في شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان
الارواح جواهر قايمة بانفسها مغايرة لما يحس من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة
والتابعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهدا لاختصاصهم بالقرب من الله تعالى
ومزيد البهجة والكرامة **ولنبلونكم** ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون
على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشيء من الخوف والجوع** اي بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة
الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم
في الاخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم **ونقص من الاموال والانفس والثمرات**
عطف على شيء او الخوف وعن الشافعي الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الزكوات
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم
فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي فيقولون حمدك واسترجع فيقول ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه
بيت الحمد **وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا
اليه راجعون** الخطاب للرسول ولمن يتاتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه
لقوله عليه السلام كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر الاسترجاع باللسان بل وبالقلب
بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه
فيهون على نفسه وان يستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه **اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة** الصلوة في الاصل الدعا ومن الله التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها
وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان عن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة
جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه **واولئك هم المهتدون** للحق
والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله سبحانه **ان الصفا والمروة** هما علما جبلين
بمكة **من شعاير الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهي العلامة **فمن حج البيت او اعتمر** الحج لغة
القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين **فلا جناح
عليه ان يطوف بهما** كان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا لذلك فنزلت والاجماع على انه

مشروع في الحج والعمرة انما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وعن ابن عباس لقوله تعالى
فلا جناح فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه
وعن ابي حنيفة انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي انه ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم
السعي **ومن تطوع خيرا** اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف
او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف او بحذف الجار وايصال
الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمنه معنى اتى او فعل وقرا حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع
فادغم مثل يطوف **فان الله شاكر عليم** مثيب على الطاعة لا يخفى عليه **ان الذين يكتمون** كاحبار
اليهود **ما انزلنا من البينات** كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم **والهدى**
وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به **من بعد ما بيناه للناس** لخصناه **في الكتاب** في التورية
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن عليهم من الملائكة والثقلين
الا الذين تابوا عن الكتمان وعن سائر ما يجب ان يتاب عنه **واصلحوا** ما افسدوا بالتدارك **وبينوا**
ما بينه الله في كتابهم لتتم توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا اسم الكفر عن نفوسهم ويقتدي بهم اضرابهم
فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة **وانا التواب الرحيم** المبالغ في قبول التوبة وافاضة الرحمة
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى مات **اولئك عليهم**
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم لعنة الله ومن يعتد بلعنه من خلقه
وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل
في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا بفعل مقدر نحو ويلعنهم الملائكة **خالدين فيها** اي في اللعنة
او النار واضمارها قبل الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها **لا يخفف عنهم العذاب**
ولا هم ينظرون لا يمهلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم**
اله واحد خطاب عام اي المستحق منكم للعبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى الها **لا اله**
الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن لا يستحق منه العبادة **الرحمن الرحيم**
كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد
غيره وهما خبران اخران لقوله الهكم او لمبتدا محذوف قيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا
فائتنا باية نعرف بها صدقك فنزلت **ان في خلق السموات والارض** وانما جمع السموات وافرد الارض
لانها طبقات متفاضلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الارضين **واختلاف الليل والنهار** تعاقبهما
لقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة **والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس** اي بنفعهم او بالذي
ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع
على عجائبه ولذلك قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر وتانيث الفلك لانها
بمعنى السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين **وما انزل الله**
من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو
فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات **وبث فيها من كل دابة** عطف على انزل كانه استدل

بنزول

بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيا فان الدواب ينمون بالخصب
ويعيشون بالحيا والبث النشر والتفريق **وتصريف الرياح** في مهابها واحوالها وقرا حمزة والكسائي
على الافراد **والسحاب المسخر بين السماء والارض** لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما
حتى ياتي امر الله وقيل مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله تعالى واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر
بعضا **لايات لقوم يعقلون** يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه صلى الله عليه
وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته
من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه
محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس
حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لا يكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه
لبساطتها وتساوي اجزائها فلا بد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته
متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان
لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الاخر المنافي لالهيته
وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي الاية تنبيه
على شرف علم الكلام وحث على البحث والنظر فيه **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا**
من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرا الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما
وهو ما يشغله عن الله **يحبونهم** يعظمونهم ويطيعونهم **كحب الله** كتعظيمه والميل الى طاعته اي
يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه
الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد
ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي **والذين امنوا اشد حبا لله** لانه لا تنقطع
محبتهم لله بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون
عن الهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره **ولو يرى الذين**
ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد **اذ يرون العذاب** اذ عاينوه يوم القيامة
واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة **ان القوة لله جميعا**
ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القدرة لله جميعا اذا عاينوا العذاب لندموا
اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير لو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع
لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرا ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب
ان بالكسر وكذا **وان الله شديد العذاب** على الاستيناف او اضمار القول **اذ تبرا الذين**
اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرا المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي
اذ تبرا الاتباع من الرؤساء **وراوا العذاب** اي رائين له فالواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على
تبرا **وتقطعت بهم الاسباب** يحتمل العطف على تبرا او راوا والحال والاول اظهر والاسباب الوصل
التي كانت بينهم

التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق علي الدين والاعراض الداعية الي ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقري وتقطعت علي البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفا اي ليت لنا كرة الي الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاسر الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم بدل ما وهي ثالث مفاعيل اري ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الي هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط عن الخلاص والرجوع الي الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا علي انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يوكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل علي الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوي فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقري بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطا كانها عليها وبفتحتين علي انه جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم علي الشر تسفيها لرايهم وتحقيرا لشانهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما تجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا علي الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل علي المنع من اتباع الظن راسا واما اتباع المجتهد لما ادي اليه ظن مستند الي مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم للنداء علي ضلالهم كانه التفت الي العقلاء وقال لهم انظروا الي هؤلاء الحمقي ماذا يجيبون قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا ما وجدنا عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القران وسائر ما انزل الله من الحجج والايات فجنحوا الي التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الي الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلي هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الي الاسلام اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اي لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الي الحق لاتبعوهم وهو دليل علي المنع من التقليد لمن قدر علي النظر والاجتهاد واتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء علي حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كمثل البهائم التي ينعق والمعني ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذانهم الي ما يتلي عليهم ولا يتاملون فيما تقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع

ابائهم علي ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها كالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت علي البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب التمثيل صم بكم عمي رفع علي الذم فهم لا يعقلون اي بالفعل للاخلال بالنظر يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر علي الناس كافة واباح لهم ما في الارض سوي ما حرم عليهم امر المؤمنين ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا بحقوقها فقال واشكروا لله علي ما رزقكم واحله لكم ان كنتم اياه تعبدون فان العبادة لا تتم الا بالشكر وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالي اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها ما ابين من الحي والجراد اخرجها العرف عنها واستثناها الشرع والحرمة المضافة الي العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ اكلها او الانتفاع بها والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه كالتابع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير اذا رؤي سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار علي مضطر اخر وقرا عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ علي الوالي ولا عاد بقطع الطريق فعلي هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة فيه فان قيل انما يفيد قصر الحكم علي ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة علي ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته علي حال الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار اما في الحال لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المال اي لا ياكلون يوم القيامة الا النار ومعني في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض بحرمانهم بحال مقابليهم في الكرامة والزلفي من الله ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مولم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدي في الدنيا والعذاب بالمغفرة في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم علي النار تعجب منحالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها كتخصيص كقولهم شر اهر ذا ناب او استفهامية وما بعدها الخبر او موصول وما بعدها صلته والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب او الكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الي التورية واختلفوا بمعني تخلفوا عن المنهج المستقيم في تاويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله مكانه اي حرفوا ما فيها واما الي القران واختلافهم فيه قولهم سحر وقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفي شقاق بعيد لفي خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

البر كل فعل مرضي والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حولت وادعى كل طايفة ان البر هو التوجه
الى قبلته فرد الله عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بيناه واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم
وللمسلمين اي ليس البر مقصورا بامر القبلة او ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن غيره امرها وقرا حمزة وحفص
البر بالنصب **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين** اي ولكن البر الذي
ينبغي ان يهتم به بر من آمن او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس
او القرآن وقرا نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر **وآتى المال على حبه** اي على حب المال كما قال عليه السلام
لما سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار
والمجرور في موضع الحال **ذوي القربى واليتامى** يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوي القربى
لان ايتاءهم اثنتان صدقة وصلة كما قال عليه السلام صدقتك على المساكين صدقة وعلى ذي رحمك صدقة وصلة
والمساكين جمع المسكين وهو الذي اسكنه الخلة واصله دايم السكون كالمسكير لدايم السكر **وابن السبيل**
المسافر سمي به لملازمته السبيل كما سمي القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به **والسائلين**
الذين الجاهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه **وفي الرقاب** وفي تخليصها
بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها **واقام الصلوة** المفروضة **وآتى الزكوة**
يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكاة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها وبالثاني
اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت في المال سوى الزكاة وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة **والموفون بعهدهم اذا عاهدوا** عطف على من آمن **والصابرين**
في البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على ساير الاعمال وعن الازهري البأساء
في الاموال كالفقر والضراء في الانفس كالمرض **وحين البأس** وقت مجاهدة العدو **اولئك الذين**
صدقوا في الدين واتباع الحق وطلب البر **واولئك هم المتقون** عن الكفر وساير الرذايل والاية
كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة في ثلاثة اشياء
صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن الى والنبيين والى الثاني بقوله
وآتى المال الى وفي الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلاة الى اخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق
نظرا الى ايمانه واعتقاده وبالتقوى اعتبارا لمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام
من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان **يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى**
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان
لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتساووا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا يدل
على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع
مالك والشافعي قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روي عن علي رضي الله عنه ان رجلا قتل عبده فجلده
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروي عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد
ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس على

الاطراف

الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما في التورية فلا ينسخ ما في القرآن
واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب
ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره ليس نسخا لوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذلك كل فعل
جاء في القرآن **فمن عفي له من اخيه شيء** اي شيء من العفو لان عفا لازم وفايدته الاشعار بان بعض العفو
كالعفو التام في اسقاط القصاص وقيل عفي بمعنى ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفى الشيء بمعنى
تركه بل اعفاه وعفى يعدى بعن الى الجاني والى الذنب قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدي به
الى الذنب عدي الى الجاني باللام وعليه ما في الاية كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وذكر بلفظ
الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه **فاتباع بالمعروف واداء اليه**
باحسان اي فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافي بان يطالب الدية بالمعروف فلا يعنف والمعفو
عنه بان يؤديها باحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر
باداءها على مطلق العفو وللشافعي في المسئلة قولان **ذلك** الحكم المذكور في العفو والدية **تخفيف من ربكم**
ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا وخير
هذه الامة بينها وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مصالحهم **فمن اعتدى بعد ذلك**
اي قتل بعد العفو واخذ الدية **فله عذاب اليم** في الاخرة وقيل في الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام
لا اعفي احدا قتل بعد اخذه الدية **ولكم في القصاص حيوة** كلام في غاية الفصاحة والبلاغة
من حيث جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحيوة عظيما
وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار
وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بها الحياة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة
ولكم في القصاص حياة يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا عن الضمير
المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل حياة او في القرآن حياة للقلوب **يا اولي الالباب**
ذوي العقول الكاملة ناداهم للتأمل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس **لعلكم**
تتقون في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل **كتب عليكم**
اذا حضر احدكم الموت اي حضر اسبابه وظهر اماراته **ان ترك خيرا** مالا وقيل مالا كثيرا لما روي
عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا
والخير هو المال الكثير وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف
فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا لشيء يسير فاتركه لعيالك **الوصية**
للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها للفصل او على تأويل ان يوصي او الايصاء ولذلك
ذكر الراجع في قوله فمن بدله والعامل في اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين
والجملة جواب الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر
وكان هذا الحكم في بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه

الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقدم الوصية
مطلقا والحديث من الاحاد وتلقي الامة له بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما
اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله
عليهم **بالمعروف** بالعدل فلا يفضل الغني ولا يتجاوز الثلث **حقا على المتقين** مصدر مؤكد اي
حق ذلك حقا **فمن بدله** غيره من الاوصياء والشهود **بعد ما سمعه** وصل اليه وتحقق عنده
فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه لانه الذي خان وخالف
الشرع **ان الله سميع عليم** وعيد للمبدل بغير حق **فمن خاف من موص** اي توقع وعلم من قولهم
اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر موص **جنفا** ميلا بالخطا في الوصية **او**
اثما تعمدا للجنف **فاصلح بينهم** بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع **فلا اثم عليه** في
هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول **ان الله غفور رحيم** وعد للمصلح وذكر المغفرة
لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم **يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام**
كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن آدم وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل
وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات
فانها معظم ما تشتهيه النفس **لعلكم تتقون** المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي
مبدؤها كما قال فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداءها لاصالتها وقدمها **اياما معدودات**
موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع
الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل ونسخ به وهو عاشوراء
وثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السببية وقيل معناه صومكم
كصومهم في عدد الايام لما روي ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه
عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم **فمن كان منكم مريضا** مرضا يضره الصوم
ويعسر معه **او على سفر** او راكب سفر وفيه ايماء بان من سافر اثناء اليوم لم يفطر **فعدة من**
ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض او السفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف اليه للعلم
بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال
ابو هريرة **وعلى الذين يطيقونه** وعلى المطيقين للصيام ان افطروا **فدية طعام مسكين**
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا
بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام
وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه
او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطيقونه على ان اصلها يطيقونه ويتطيقونه من فيعل وتفعيل
بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراءات يحتمل معنى الطاقة او القلادة فيتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه
بالادغام ويطيقونه وعلى هذه القراءات تحتمل معنا ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ
والعجائز في الافطار والفدية فتكون ثابتة وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم **فمن تطوع**

خيرا فزاد في الفدية **فهو** فالتطوع او الخير **خير له وان تصوموا** ايها المطيقون او المطوقون
وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر **خير لكم** من الفدية او تطوع
الخير او منهما ومن التاخير للقضاء **ان كنتم تعلمون** ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه
محذوف دل عليه ما قبله اي ان اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير
من ذلك **شهر رمضان** مبتدا خبره ما بعده او خبر محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام
على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول
وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اذا احترق
فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب
للعلمية والتانيث وقوله عليه السلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لامن الالتباس وانما سموه بذلك
اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيثما نقلوا اسماء الشهور
عن اللغة القديمة **الذي انزل فيه القرآن** اي ابتدا فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء
الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت صحف ابرهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع
وعشرين والموصول بصلته خبر المبتدا او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدا بما تضمن معنى الشرط وفيه
اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه **هدى للناس وبينات من الهدى**
والفرقان حالان من القرآن اي انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدي الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** فمن حضر في الشهر
ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب
على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول
به كقولك شهدت الجمعة اي صلاتها فيكون **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام**
اخر مخصصا له لان المسافر والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك او لئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر ولذلك اباح
الفطر للسفر والمرض **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم**
تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم
الشهر والمرخص بالقضا ومراعاة عدد ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخرها على سبيل اللف
فان قوله ولتكملوا علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضا وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون
علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله او معطوف على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما
تعلمون ولتكملوا ويجوز ان يعطف على اليسر اي ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا والمعنى بالتكبير
تعظيم الله تعالى بالحمد والثناء عليه ولذلك عدي بعلى وقيل تكبير يوم الفطر وقيل التكبير عند الهلال وما يحتمل
المصدر والخبر اي الذي هداكم اليه وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد **واذا سالك**
عبادي عني فاني قريب اي فقل لهم اني قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه

علي احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه
ام بعيد فنناديه فنزلت **أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** تقرير للقرب ووعد للداعي
بالاجابة **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي** اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعوني لمهماتهم **وَلْيُؤْمِنُوا**
بِي امر بالثبات والمداومة **لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح
الشين وكسرها واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظايف التكبير
والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه خبير باحوالهم سميع لاقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له
وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** روي ان
المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشا او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه
باشر بعد الصلاة فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشا
فنزلت وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو عن رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدي بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره هنا لتقبيح ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ
الرفوث **هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ** استيناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة
اجتنابهن لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما على صاحبه
شبه باللباس قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا او لان كل منهما يستر صاحبه
ويمنعه عن الفجور **عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ** تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص
حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب والكسب **فَتَابَ عَلَيْكُمْ** لما تبتم مما اقترفتموه
وَعَفَا عَنْكُمْ ومحي عنكم اثره **فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ** لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ
السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كني به عن الجماع **وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ**
واطلبوا ما قدره الله لكم واثبته في اللوح من الولد والمعنى ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه الولد فانه
الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهي عن العزل وقيل عن غير الماتى والتقدير وابتغوا
المحل الذي كتبه الله لكم **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ**
مِنَ الْفَجْرِ فشبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض
واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه ولذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها نزلت
ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود ولا يزالون ياكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت
ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك
ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة
صوم المصبح جنبا **ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ** بيان اخر وقته واخراج الليل عنه فينتفي صوم الوصال
وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في
المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطي وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها
ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان

الوطي

الوطي محرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد **تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ** اي الاحكام التي ذكرت
فَلَا تَقْرَبُوهَا نهي ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا ان يتخطى عنه
كما قال عليه السلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ
من قوله فلا تعتدوها ويحتمل ان يراد بحدود الله محارمه ونواهيه **كَذَلِكَ** مثل ذلك التبيين **يُبَيِّنُ**
اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ مخالفة الاوامر والنواهي **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ**
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اي ولا ياكل بعضكم مال البعض بالوجه الذي لم يبحه الله وبين نصب على
الظرف او الحال من الاموال **وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ** عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء
الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام **لِتَأْكُلُوا** بالتحاكم **فَرِيقًا** طائفة **مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ**
بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او متلبسين بالاثم **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** انكم مبطلون
فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة
ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرا عليه صلى الله
عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى
عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت
له بشيء من حق اخيه فانما اقطع له قطعة من نار **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ** ساله معاذ
ابن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال
ينقص حتى يعود كما بدا **قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ** انهم سالوا عن الحكمة في اختلاف حال
القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس يوقتون
بها امورهم ومعالم للعبادات الموقتة تعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه
اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة
امتداد حركة الفلك من مبداها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض
لامر **وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ** قرا ابو عمرو وورش وحفص بضم الباء والباقون
بالكسر **مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى** وابن عامر بتخفيف لكن ورفع البر كانت الانصار
اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون
ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا
عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سالوا
عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سالوه
تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم
السؤال وتمثيلهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر ان تعكسوا في مسائلكم
ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجسر على مثله **وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا** اذ ليس في العدول بر فباشروا
الامور من وجوهها **وَاتَّقُوا اللَّهَ** في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله **لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**

لكي يظفروا بالهدي والبر **وقاتلوا في سبيل الله** جاهدوا لاعلاء كلمته او اعزاز دينه **الذين
يقاتلونكم** قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين
يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانية والنساء او الكفرة كلهم
فانهم بصدد قتال المسلمين على قصده ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الحديبية وصالحوا على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضا وخاف المسلمون ان لا يفوا لهم
ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجا
به من غير دعوة والمثلة وقتل من نهيتم عن قتله **ان الله لا يحب المعتدين** لا يريد بهم الخير **واقتلوهم
حيث ثقفتموهم** حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا
فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فمن اثقف فليس الى خلود **واخرجوهم من
حيث اخرجوكم** اي مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح **والفتنة اشد من القتل** اي المحنة التي
يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم
في الحرم وصدهم اياكم لكنه اشد من قتلكم اياهم فيه **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم
فيه** لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام **فان قاتلوكم فاقتلوهم** فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم
الذين هتكوا حرمته وقرا حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم
كقولهم قتلتنا بنو اسد **كذلك جزاء الكافرين** مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا **فان انتهوا**
عن القتال والكفر **فان الله غفور رحيم** يغفر لهم ما قد سلف **وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة** شرك **ويكون الدين لله** خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب **فان انتهوا** عن الشرك
فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة
موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم
للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء **الشهر الحرام
بالشهر الحرام** قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا
ان يقاتلوهم لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به **والحرمات قصاص** احتجاج
عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيه القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم
مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم** وهو فذلكة التقرير **واتقوا الله** في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم
يرخص لكم **واعلموا ان الله مع المتقين** فيحرسهم ويصلح شانهم **وانفقوا في سبيل الله** ولا
تمسكوا كل الامساك **ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة** بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف
عن الغزو والانفاق فيه فانه يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري انه
قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب
فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء
وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي

مصدر

مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها اخذة بايديكم ولا تلقوا
بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول **واحسنوا** اعمالكم واخلاقكم وتفضلوا على المحاويج **ان الله
يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله** ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله
وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر انه قيل يا رسول الله
العمرة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك معارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني وجدت
الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدانهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب الاهلال لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك
يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وان تفرد لكل منهما
سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي وان تكون النفقة حلالا **فان احصرتم** منعتم
يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند
مالك والشافعي لقوله فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنه لا حصر الا حصر العدو
وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة لما روي عنه عليه السلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل
وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه السلام لضباعة بنت الزبير حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني **فما استيسر من الهدي** فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر
والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر
عند الاكثر لانه عليه السلام ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل وعند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث بيده
يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله**
اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب ان ينحر فيه وحمل الاولون
بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدي دليل على عدم القضاء وقال
ابو حنيفة يجب القضاء والمحل بالكسر يطلق للمكان والزمان والهدي جمع هدية كجدي وجدية وقرئ الهدي
جمع هدية كمطي ومطية **فمن كان منكم مريضا** مرضا يحوجه الى الحلق **او به اذى من راسه**
كجراحة وقمل **ففدية** فعليه فدية ان حلق **من صيام او صدقة او نسك** بيان
لجنس الفدية واما قدرها فقد روي انه عليه السلام قال لكعب بن عجرة لعلك اذاك هوامك قال
نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق
ثلاثة اصوع **فاذا امنتم** الاحصار او كنتم في حال سعة وامن **فمن تمتع بالعمرة الى الحج** فمن
استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من
عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدي** فعليه دم استيسره
بسبب التمتع فهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه وقال ابو حنيفة انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اي الهدي **فصيام ثلاثة ايام في الحج** في ايام الاشتغال به بعد الاحرام وقيل التحلل
وقال ابو حنيفة في اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم
النحر وايام التشريق عند الاكثر **وسبعة اذا رجعتم** الى اهليكم وهو احد قولي الشافعي او نفرتم

ما [illegible] ما استيسر

وفرغتم من اعماله وهو قوله الثاني ومذهب ابي حنيفة وقري سبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام **تلك عشرة**
فذلكة الحساب وفايدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة
كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لهما **كاملة**
صفة مؤكدة تفيد المبالغة في محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانه اول عدد كامل اذ به تنتهي الاحاد
وتتم مراتبها او مفيدة تقييد كمال بدليتها من الهدي **ذلك** اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابي حنيفة
اذ لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية **لمن لم يكن اهله حاضري**
المسجد الحرام وهو من كان في الحرم على مسافة القصر عندنا فانه مقيم الحرم او في حكمه ومن مسكنه وراء الميقات
عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكي عند مالك **واتقوا الله** في المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا
في الحج **واعلموا ان الله شديد العقاب** لمن لم يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان **الحج اشهر**
اي وقته كقولك البرد شهران **معلومات** معروفات وهي شوال وذو القعدة وتسع ذي الحجة بليلة النحر
عندنا والعشر عند ابي حنيفة وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله
ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة وان صحح الاحرام
به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمي شهرين وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد **فمن فرض فيهن الحج** فمن اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق الهدي عند ابي حنيفة
وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعي وان من احرم بالحج لزمه الاتمام **فلا رفث** فلا جماع او فلا فحش من الكلام **ولا**
فسوق ولا خروج عن حدود الشرع بالسيئات وارتكاب المحظورات **ولا جدال** ولا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج في ايامه يعني الثلاث على قصد النهي للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا يكون وكانت منها مستقبحة
في انفسها ففي الحج اقبح كلبس الحرير في الصلاة والتطريب بقراءة القران لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى
محض العبادة وقرا ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكون رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى
الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف
بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** حث على الخير عقب به النهي
عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** وتزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون
كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس **واتقون يا اولي**
الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها
هو الله تعالى فليتبرا من كل ما سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب
بهذا الخطاب **ليس عليكم جناح ان تبتغوا** في ان تبتغوا اي تطلبوا **فضلا من ربكم**
عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم
الحج وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تاثموا فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** دفعتم منها بكثرة
من افاضة الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات
جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين وذهاب

الكثرة

الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث انما يكون بالتاء المذكورة وهي
ليست تاء تانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث وبتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان
المذكورة تمنعه من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم
عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحوى
التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان
يجعل جمع عارف وفيه دليل وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مامور بها بقوله ثم
افيضوا او مقدمة للذكر المامور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق **فاذكروا الله**
بالتلبية والتهليل والدعا وقيل بصلاة العشائين **عند المشعر الحرام** جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا
لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام ما يليه ويقرب منه فانه افضل والا فالمزدلفة
كلها موقف الا وادي محسر **واذكروه كما هديكم** كما علمكم واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة **وان كنتم من قبله** اي الهدي **لمن الضالين**
الجاهلين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله
وان نظنك لمن الكاذبين **ثم افيضوا من حيث افاض الناس** اي من عرفة لا من المزدلفة والخطاب
مع قريش كانوا يقفون بجمع وساير الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم لتفاوت
بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة
من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد ادم من قوله تعالى فنسي والمعنى ان الافاضة
من عرفة شرع قديم فلا تغيروه **واستغفروا الله** من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه **ان الله**
غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه **فاذا قضيتم مناسككم** فاذا قضيتم العبادات
الحجية وفرغتم منها **فاذكروا الله كذكركم اباءكم** فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر
ابائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
ابائهم ومحاسن ايامهم **او اشد ذكرا** اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى
فاذكروا الله ذكرا كذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه على ضعف بمعنى او كذكر قوم
اشد منكم واما منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من ابائكم
او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لابائكم **فمن الناس من يقول** تفصيل
للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد
اليه **ربنا اتنا في الدنيا** اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا **وما له في الاخرة من خلاق** اي نصيب وحظ
لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق **ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة** يعني الصحة
والكفاف وتوفيق الخير **وفي الاخرة حسنة** يعني الثواب والرحمة **وقنا عذاب النار** بالعفو
والمغفرة وقول علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المراة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار امراة السوء

وقول الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب
المودية الي النار امثلة للمراد بها اولئك اشارة الي الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا
اي من جنسه وهو جزاؤه ومن اجله لقوله مما خطاياهم اغرقوا او ما دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه فسمي الدعا
كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد علي كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك
ان يقيم القيمة يحاسب الناس فبادروا الطاعات واكتسبوا الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات
كبروه ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر
في يومين يوم النفر والذي بعده اي فمن نفر في ايام التشريق بعد رمي الجمار عندنا وطلوع الفجر عنده
فلا اثم عليه باستعجاله ومن تاخر فلا اثم عليه ومن تاخر في النفر حتي رمي اليوم الثالث بعد
الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه علي الزوال والمعنى نفي الاثم بالتعجيل والتاخير للتخيير بينهما والرد
علي اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اي الذي ذكر من التخيير او من
الاحكام لمن اتقى لانه الحاج علي الحقيقة والمنتفع به او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله
في مجامع اموركم ليعبا بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزا بعد الاحيا واصل الحشر الجمع وضم المتفرق
ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان بسبب الجهل
المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اي ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها
مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة
لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يوذن له في الكلام ويشهد الله علي ما في قلبه يحلف
ويستشهد الله علي ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال
للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض
ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زرعهم واهلك
مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل
والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة
بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية علي الاثم الذي يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا
اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو
في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به
والمهاد الفراش وقيل ما يوطا للجنب ومن الناس من يشري نفسه يبيعها ببذلها في الجهاد او
يامر بالمعروف حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي
اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال اني شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلوني وما انا عليه وخذوا مالي فقبلوا
منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الي مثل هذا الشرا وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب
الغزاة والشهدا يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام

والطاعة

والطاعة ولذلك تطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة
لانها تكف الاجزاء عن التفرق وحال من الضمير او السلم لانها تونث كالحرب قال السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين
او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمومني اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا
السبت وحرموا الابل والبانها او في شرايع الله كلها بالايمان بالانبيا والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب
او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشي والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان
بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم
من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة علي انه الحق فاعلموا ان الله عزيز
لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده
الا ان ياتيهم الله اي ياتيهم امره او باسه لقوله تعالى او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا او ياتيهم الله
ببأسه فحذف الماتي به للدلالة عليه لقوله ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك
وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء
منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب
الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره والاتون علي الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا علي ظلل
او الغمام وقضي الامر اي اتم اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه
وقرئ وقضاء الامر عطفا علي الملائكة والي الله ترجع الامور قرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم علي انه
من المرجوع وقرا الباقون علي البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب علي انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير
وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول او لكل احد والمراد بهذا السوال تقريعهم كم اتيناهم
من اية بينة معجزة ظاهرة او اية في الكتب شاهدة علي الحق والصواب علي ايدي الانبياء وكم خبرية
او استفهامية مقررة ومحلها النصب علي المفعولية او الرفع بالابتداء علي حذف العايد من الخبر واية مميزها
ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي ايات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب
الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتاويل الزايغ ولم يكن من مفعول فيها وفيه تعريض بانهم بدلوها
بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه فان
الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جرم زين للذين كفروا الحيوة
الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين علي الحقيقة
هو الله تعالى اذ ما من شي الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين علي البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة
الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين
امنوا يريد فقراء المومنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزءون بهم علي رفضهم الدنيا
واقبالهم علي العقبى ومن للابتدا كانهم جعلوا ابتدا السخرية مبتداه منهم والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون
عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين امنوا ليدل علي انهم

يتقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع
في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين ادم وادريس
او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين اي اختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي
علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القران باسم
العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس لا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه
فان اكثرهم لم يكن لهم كتاب يخصهم وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق
شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا
فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة
الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف مسببا لاحكامه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين امنوا لما اختلفوا فيه اي
للحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه والله
يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب
به النبي والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيء الايات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام
منقطعة ومعنى الهمزة فيها للانكار ولما ياتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد
مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم الباساء والضراء بيان على
الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين
امنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرا نافع يقول بالرفع
على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتاخره الا ان
نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر
وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد
والرياضات كما قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا
ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح كان ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا
واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان
في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الاية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما
تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه
ويوفي ثوابه وليس في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق
عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف
والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته لقوله حملته امه كرها ووضعته
كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم

وسبب

وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان
النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر
عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح
الراجحة وان لم يعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش
ابن عمته على سرية في جمادى الاخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي
ومعه ثلاثة فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب
وهم يظنونه من جمادى فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس
الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى
وعن ابن عباس لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم
المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل الاشتمال
من الشهر وقرئ عن قتال بتكرير العامل قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الاية
على حرمة القتال في الشهر الحرام مطلقا فان القتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا يعم وصد صرف ومنع عن
سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام
المضاف اي وصد المسجد الحرام لقول ابي دواد اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن
عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على وصد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول
على العطف على الصلة ولا على الهاء فيه فان العطف على المضمر المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج
اهله منه اهل المسجد وهم النبي والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن
وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل من يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما يرتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك اعبد الله حتى ادخل الجنة لقوله ان استطاعوا وهو
استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردوهم
ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت
عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهو لغة
فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب
واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في السرية
لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول
لتعظيم الهجرة والجهاد وكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت
لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما
فعلوا خطاء وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسئلونك عن الخمر والميسر روي انها

بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر
من اصحابه افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا
عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد
سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم
بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب والخمر في الاصل
مصدر خمره اذا ستره واسمي بها عصير العنب والتمر اذا اشتد وغلا كانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره
اي يحجزه وهو حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند الاكثر وقال ابو حنيفة نقيع الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه
ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير ميسرا وسلب
يساره والمعنى يسئلونك عن تعاطيهما لقوله قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب
عن المامور ويسئلونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سال اولا عن المنفق والمصرف
ثم ساله عن كيفية الانفاق قل العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له
ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي روي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها
في بعض الغنايم فقال خذها فحذفها لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام
والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به
جمع على تاويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلايل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون
بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسئلونك عن اليتامى لما
نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم او اصلاح خير من مجانبتهم
وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط
الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم
لافساد او اصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم
اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات
حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة وتتسع له الطاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اي ولا تتزوجوهن
وقرئ بالضم اي ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات يعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين
اوتوا الكتاب روي انه عليه السلام بعث مرثدا الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان
يهواها في الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن استامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مومنة خير من مشركة اي ولامراة مومنة حرة
كانت او امة فان الناس عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمايلها والواو للحال ولو بمعنى ان

وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يومنوا ولا تزوجوا منهم المومنات وهو على عمومه ولعبد
مومن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهي عن مواصلتهم وترغيب في مواصلة المومنين
اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اي الى الكفر المودي الى النار فلا يليق
موالاتهم ومصاهرتهم والله اي واولياوه يعني المومنين حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه تفخيما
لشانهم يدعوا الى الجنة والمغفرة اي الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة باذنه
بتوفيق الله وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون لكي يتذكروا
او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز في العقول من ميل الخير ومخالفة الهوى ويسئلونك عن
المحيض روي ان اهل الجاهلية كانوا لم يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى
ان سال ابو الدحداح في نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجيء والمبيت ولعله سبحانه انما ذكر يسئلونك
بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السوالات الاول كانت في اوقات متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت في وقت واحد
فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى اي المحيض مستقذر موذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء
في المحيض فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون
بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيدا
للحكم وبيان لغايته وهو ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائي وعاصم في رواية
ابن عياش يطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن فانه يقتضي تاخر جواز الاتيان
عن الغسل وقال ابو حنيفة ان طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اي
الماتى الذي امركم به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين
عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان في غير الماتى نساؤكم حرث لكم مواضع حرث
لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى في ارحامهن بالبذور فاتوا حرثكم اي فاتوهن كما تاتوا المحارث
وهو كالبيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اي شق شئتم روي ان اليهود كانوا يقولون
من جامع امراته من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا
لانفسكم ما يدخر لكم الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله بالاجتناب
عن معاصيه واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المومنين الكاملين في الايمان
بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلوات الله وسلامه عليه ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل امره
منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت في الصديق
رضي الله عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عايشة او في عبد الله بن رواحة حلف ان لا يكلم ختنه بشير بن
النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة يطلق لما يعرض دون الشيء وللعرض
للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف
عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك
وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق

ان بالفعل او بعرضه اي ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا لاجل ايمانكم به وعلى الثاني ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه
بكثرة الحلف ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة النهي اي انهاكم عنه ارادة بركم
وتقواكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به في اصلاح
ذات البين **والله سميع** لايمانكم **عليم** بنياتكم **لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو الساقط الذي
لا يعتد به من الكلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا بمعناه كقول العرب
لا والله وبلى والله لمجرد التاكيد لقوله **ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم** والمعنى لا يؤاخذكم الله
بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم
وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بما اخطأتم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم
بما تعمدتم الكذب فيها **والله غفور** حيث لم يؤاخذكم باللغو **حليم** حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة
للذين يؤلون من نسائهم اي يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم
معنى البعد عدي بمن **تربص اربعة اشهر** مبتدا ما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار
والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اي للمولي حق التلبث في هذه المدة فلا يطالب بفيء ولا طلاق ولذلك قال الشافعي لا ايلاء
الا في اكثر من اربعة اشهر **فان فاءوا** رجعوا في اليمين بالحنث **فان الله غفور رحيم** للمولي اثم حنثه اذا
كفر وما توخى بالايلاء من ضرار المراة ونحوه بالفيئة التي هي كالتوبة **وان عزموا الطلاق** وان صمموا قصده
فان الله سميع لطلاقهم **عليم** بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء في اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولي اذا فاء
في المدة بالوطء ان قدر او بالوعد ان عجز صح الفيء ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة
باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم **والمطلقات** يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الايات والاخبار
ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر **يتربصن** خبر في معنى الامر وتغيير العبارة للتاكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله
وكان المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك في الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدا يزيده فضل تاكيد **بانفسهن**
تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص **ثلاثة**
قروء نصب على الظرفية او المفعولية اي يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه السلام
دعي الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين حيضتين كقول الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال
من الطهر الى الحيض وهو المراد به في الاية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قالت الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن اي وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون في الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان في قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر
ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله بها ان يطلق لها النساء وكان القياس
ان يذكر بصيغة القلة التي هي الاقراء ولكنهم يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من البناءين مكان الآخر
ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في**
ارحامهن من الولد والحيض استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول في ذلك
ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفي الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافي الايمان وان
المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغي له ان يفعل **وبعولتهن** اي ازواج المطلقات **احق بردهن** الى النكاح والرجعة

اليهن

50

اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للاية التي تتلوها فالضمير اخص من المرجع ولا امتناع فيه كما لو كرر
الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتانيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة
نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اي واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل **في ذلك** اي في زمان التربص
ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المراة وليس المراد منه شرطية قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض
عليه والمنع من قصد الضرار **ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف** اي ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم
عليهن في الوجوب واستحقاق المطالبة عليها لا في الجنس **وللرجال عليهن درجة** زيادة في الحق وفضل
فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها او شرف وفضيلة لانهم قوام عليهن
وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق **والله عزيز** يقدر على الانتقام
ممن خالف الاحكام **حكيم** يشرعها لحكم ومصالح **الطلاق مرتان** اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه
عليه السلام سئل اين الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد
تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة **فامساك بمعروف**
بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول **او تسريح باحسان** بالطلقة الثالثة او بان لا يراجعها
حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدا وتخيير مطلق عقب تعليمهم كيفية التطليق **ولا يحل لكم ان تاخذوا**
مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعتبه في دين ولا خلق
ولكني اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم
قامة واقبحهم وجها فنزلت واختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم
لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة
الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن **الا يقيما حدود الله** بترك اقامة
احكامه من مواجب الزوجية وقرا حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل
الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب **فان خفتم** ايها الحكام **الا يقيما حدود الله فلا جناح**
عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المراة في اعطائه **تلك حدود الله**
اشارة الى ما حد من الاحكام **فلا تعتدوها** فلا تتعدوها بالمخالفة **ومن يتعد حدود الله فاولئك هم**
الظالمون تعقيب للنهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة
وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله عليه السلام ايما امراة سالت زوجها
طلاقا في غير باس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه السلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها
وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده
وانه يصح بلفظ المفاداة فانه سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق فسخ او طلاق ومن جعله فسخا
احتج بقوله **فان طلقها** فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا
والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير
لقوله او تسريح باحسان اعتراض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها

بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح
يسند الي كل واحد منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر علي العقد كابن المسيب واتفق الجمهور علي انه لا بد من الاصابة
لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير
تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الي رفاعة لا حتى تذوقي
عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد
مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الي الطلاق والعود الي المطلقة ثلاثا والرغبة فيها
والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلي الله عليه وسلم
المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المراة والزوج
الاول الي الاخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حدده الله وشرعه
من حقوق الزوجية وتفسير الظن ههنا بالعلم غير صحيح لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه لا يقال
علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافي العلم وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة يبينها لقوم
يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم فاذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي اخر عدتهن والاجل
يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذي به ينتهي قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ
هو الوصول الي الشيء وقد يقال للدنو منه علي الاتساع وهو المراد في الاية ليصح ان يرتب عليه فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضي عدتهن
من غير تطويل وهو اعادة الحكم في بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان
المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها لتطول العدة عليها فنهي عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب
ضرارا علي العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الي الافتداء واللام متعلقة بالضرار
اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا ايات الله هزوا
بالاعراض عنها والتهاون بالعمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد في الامر انما انت هازئ كانه نهي عن الهزء واراد به الامر
بضده وقيل كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلاث جدهن جد وهزلهن
جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية وبعثة محمد صلي الله عليه وسلم
بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة القران والسنة افردهما بالذكر
اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد
واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي انقضت عدتهن وعن الشافعي رحمه الله دل سياق الكلامين
علي افتراق البلوغين فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن الخطاب به للاولياء لما روي انها نزلت
في معقل بن يسار حين عضل اخته جملاء ان ترجع الي زوجها الاول بالاستيناف فيكون دليلا علي ان المراة لا تزوج
نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولي معنى ولا يعارض باسناد النكاح اليهن لانه بسبب توقفه علي اذنهن
وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد مضي المدة ولا يتركوهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا
طلقتم وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به
كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشبت بيضها فلم يخرج اذا تراضوا

بينهم

بينهم اي الخطاب والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة
حال عن الضمير المرفوع او صفة مصدر محذوف اي تراضيا كائنا بالمعروف وفيه دلالة علي ان العضل للزوج من غير
كفو غير منهي ذلك اشارة الي ما مضى ذكره والخطاب للجمع علي تاويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضي دون تعيين المخاطبين او للرسول صلي الله عليه وسلم علي طريقة قوله يا ايها النبي
اذا طلقتم للدلالة علي ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان يؤمن
بالله واليوم الاخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اي العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع واطهر
من دنس الاثام والله يعلم ما فيه النفع والصلاح وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات
يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب او الوجوب فيخص بما اذا لم يرضع الصبي
الا من امه او لم يوجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة
بيان للمتوجه اليه الحكم اي ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة او متعلق بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة
والام ترضع له وهو دليل علي ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما فانه يجوز ان ينقص عنه وعلي
المولود له اي الذي يولد له يعني الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الي المعنى المقتضي
لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف في استيجار الام فجوزه الشافعي
ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة معتدة النكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفي به وسعه
لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن والتقييد بالمعروف دليل علي انه تعالى لا يكلف العبد
بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقريب
اي لا يكلف كل منهما الاخر ما ليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لا تضار
بالرفع بدلا عن قوله لا تكلف واصله علي القراءتين يضارر بالكسر علي البناء للفاعل او الفتح علي البناء للمفعول
وعلي الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى يضر والباء من صلته اي لا يضر الوالدان بالولد فيفرط في تعهده ويقصر فيما
ينبغي له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد علي نية الوقف وبه مع التخفيف علي انه من ضاره يضيره واضافة الولد
اليهما تارة والي احدهما اخرى استعطافا لهما عليه وتنبيه علي انه حقيق بان يتفقا علي اصلاحه والاشفاق فلا ينبغي
ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلي الوارث مثل ذلك عطف علي قوله وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن
وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اي من مؤن المرضعة من ماله اذا مات الاب
وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وعلي القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لا
نفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب
ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الي ما وجب علي الاب من الرزق والكسوة فان
ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اي فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل
الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الراي من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح
عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذرا ان يقدم احدهما علي ما يضر به لغرض
او غيره وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال

ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول
للاستغناء عنه **فلا جناح عليكم** فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع للولد ويمنع الزوجة
من الارضاع **اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم** ما اردتم ايتاءه كقوله اذا قمتم الى الصلاة وقرأ ابن كثير ما أتيتم
من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ أوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة **بالمعروف** صلة ما سلمتم
اي بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع
بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل **واتقوا الله** مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع
واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد **والذين يتوفون منكم ويذرون**
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي وازواج الذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وتأنيث
العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لا يستعملون التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى
انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان
الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه
العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية كما
قاله الشافعي وخص الحامل عنه بقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد
باقصى الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة والمسلمون
جميعا **فيما فعلن في انفسهن** من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليها للعدة **بالمعروف**
بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكر فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم
الجناح **والله بما تعملون خبير** فيجازيكم عليه **ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة**
النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم
عليك والكناية والدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك الطويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف
والخطبة بالضم والكسر اسم الحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء
المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان تقول لها انك جميلة او نافعة او غرضي ان اتزوج ونحو ذلك **او**
اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن**
ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ **ولكن لا تواعدوهن سرا**
استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن في السر على ان المعنى
بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى
منه محذوف اي لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة والا مواعدة بقول معروف وقيل انه
استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موجود وفيه
دليل حرمة تصريح خطبة المعتدة وجواز تعريضها اذا كانت معتدة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر
جوازه **ولا تعزموا عقدة النكاح** ذكر العزم مبالغة في النهي عن العزم اي ولا تعزموا عقدة النكاح
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع **حتى يبلغ الكتاب اجله** حتى ينتهي ما كتب

من العدة

من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه** ولا تعزموه
واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله **حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح**
عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر ولاية لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله
عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفي **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن**
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او تفرضوا والفرض
تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى
الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة
ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف
المسمى فمنطوق الاية ينفي الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضي الوجوب على الجملة في الاخيرتين **ومتعوهن**
عطف على مقدر اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض
الى راي الحاكم ويؤيده قوله **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** اي على كل من الذي له سعة والمقتر
الضيق الحال ما يطيقه ويليق به ويدل عليه قوله عليه السلام لانصاري طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها
متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هي درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها
نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضي تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التي لم يمسها الزوج والحق بها الشافعي
في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم **متاعا بالمعروف** تمتيعا بالوجه الذي
يستحسنه الشرع والمروءة **حقا** صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا **على المحسنين** الذين يحسنون
الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارعة ترغيبا وتحريضا **وان**
طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم
اي فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن لما ذكر حكم الفريضة اتبعه حكم قسيمها اي فعليهن او فالواجب
نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفي ثم تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها
الا ان يعفون اي المطلقات فلا ياخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو
في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثاني لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني ولذلك لم يؤثر ان
ههنا ونصب المعطوف عليه **او يعفو الذي بيده عقدة النكاح** اي الزوج المالك لحله
وعقده عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير
للزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل للولي الذي يعقد نكاحهن وذلك
اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعي **وان تعفوا اقرب للتقوى** يؤيد الوجه الاول وعفو
الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما
لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف فاذا لم يسترده فقد
عفى عنه وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه تزوج امرأة وطلقها قبل المسيس فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو **ولا تنسوا الفضل بينكم** اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض **ان الله بما**
تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم **حافظوا على الصلوات** بالاداء لوقتها والمداومة

عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشانهم عنها **والصلوة**
الوسطى اي الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهي صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الاحزاب شغلونا عن
صلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها واجتماع الملئكة
وقيل صلاة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم فكانت افضل لقوله عليه السلام افضل
العبادات احمزها وقيل الفجر لانها من صلاتي النهار والليل والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة
وقيل المغرب لانها المتوسطة بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفي الليل وعن
عايشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان يقرا والصلاة الوسطى وصلاة العصر فيكون صلاة من الاربع
خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص **وقوموا لله** في الصلاة **قانتين**
ذاكرين في القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت في الصبح **فان خفتم**
من عدو او غيره **فرجالا او ركبانا** فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل اذا رجل بمعناه كقيام وقايم
وفيه دليل على وجوب الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصلي حال المشي والمسايفة
ما لم يمكن الوقوف **فاذا امنتم** وزال الخوف **فاذكروا الله** صلوا صلاة الامن او اشكروه على الامن
كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرايع وكيفية الصلاة حالتي الخوف والامن او شكرا يوازيه وما
مصدرية **ما لم تكونوا تعلمون** مفعول علمكم **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا**
وصية لازواجهم قراها بالنصب ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين
يتوفون منكم وصية او ليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية وقرا متاع بدلها **متاعا الى الحول**
نصب بيوصون اضمرت والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرا لانه بمعنى التمتع **غير اخراج** بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين
يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يتمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم
نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما في التلاوة فهو متاخر في النزول وسقطت النفقة
بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة خلافا لابي حنيفة **فان خرجن** عن منزل الازواج **فلا جناح عليكم**
ايها الائمة **فيما فعلن في انفسهن** كالتطيب وترك الحداد **من معروف** مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه
لم يكن يجب عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ النفقة وبين الخروج وتركها
والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم **حكيم** راعى مصالحهم **وللمطلقات متاع بالمعروف حقا**
على المتقين اثبت المتعة للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافرد بعض العام بالحكم لا تخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة واول غيره بما يعم التمتيع الواجب
والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة ويجوز ان يكون اللام للعهد والتكرير للتاكيد او لتكرر القصة **كذلك**
اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد **يبين الله لكم اياته** وعد بانه سيبين لعباده منها الدلايل
والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا **لعلكم تعقلون** لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل
فيها **الم تر** تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ولم يسمع
فانه صار مثلا في التعجيب **الى الذين خرجوا من ديارهم** يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون

تخرجو

تخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا او ليتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله وقدره او قوما من بني
اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم **وهم الوف** اي الوف
كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متالفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال
حذر الموت مفعول له **فقال لهم الله موتوا** اي قال لهم موتوا فماتوا كقوله كن فيكون والمعنى
انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى
تخويفا وتهويلا **ثم احياهم** قيل مر حزقيل على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم
فتعجب من ذلك فاوحى الله اليه ناديهم ان قوموا باذن الله فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت
وفايدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء **ان الله**
لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وابقى عليكم حالهم لتستبصروا **ولكن اكثر**
الناس لا يشكرون اي لا يشكرونه كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار **وقاتلوا**
في سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم
ففي سبيل الله والا فالنصر والثواب **واعلموا ان الله سميع** لما يقوله المتخلف والسابق **عليم** بما يضمرانه
وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله** من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذي
صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذي به يطلب ثوابه **قرضا حسنا** اقراضا مقرونا بالاخلاص
وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق في سبيل الله **فيضاعفه له** فيضاعف
جزاءه اخرجه على صورة المبالغة للمبالغة وقرا عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان
من ذا الذي يقرض الله في معنى ايقرض الله احد وقرا ابن كثير يضعفه بالرفع وابن عامر ويعقوب بالنصب **اضعافا**
كثيرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعماية واضعاف جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب
او المفعول الثاني لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع **والله**
يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم
كي لا يبدل حالكم **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملا من بني اسرائيل** الملا جماعة
يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض **من بعد موسى** اي من بعد وفاته ومن للابتداء
اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل **ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله** اقم لنا
اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رايه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال
اي ابعثه لنا مقدرين للقتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا **قال هل**
عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم
عن القتال ان كتب عليكم وادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا **قالوا**
وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي عرض لنا في ترك القتال
وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة
كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم
واسروا من ابناء الملوك اربعماية واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم** ثلثماية وثلاثة عشر

اقتضت حكمته

بعد داهلبور والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم في ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يدفعه
منع صرفه روي ان نبيهم لما دعا الله ان يملكهم اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت
قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويستاهل ونحن احق بالملك منه ولم
يؤت سعة من المال والحال انا احق منه بالملك وراثة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك
لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة في اولاد
لاوي والملك في اولاد يهودا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده
بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره
وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم
وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا في القلوب
واقوى في مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده فيهما وكان الرجل يمد يده فينال راسه وثالثا بانه تعالى
مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق
بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه اصطفى طالوت وملكه عليهم
ان اية ملكه ان يأتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب فانه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس
بفاعول لقلة نحو سلس وقلق ومن قراه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التانيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة
يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فيه سكينة
من ربكم الضمير للاتيان اي في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت اي مودع فيه ما تسكنون اليه وهو
التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من
زبرجد او ياقوت لها راس وذنب كراس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا
استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من ادم الى محمد عليه السلام وقيل التابوت هو القلب
والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقرا للعلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك
ال موسى وال هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وعمامة هارون وآلهما ابناؤهما او انفسهما
والال مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت
به الملائكة وهم ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار عليه
وكان في ارض جالوت الى ان ملك طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مداين فتشاءموا بالتابوت فوضعوه على
ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام
كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل
منهم عن بلده لقتال العمالقة واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روي انه قال لهم
لا يخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع عليه من اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا فسلكوا مفازة
وسالوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم معاملة المختبر بما اقترحوه فمن
شرب منه فليس مني فليس من اشياعي وليس بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اي من لم يذقه

من طعم

من طعم الشيء اذا ذاقه ماكولا او مشروبا قال وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن شرب وانما قدمت عليه الجملة
الثانية للعناية بها كما قدم والصابئون على الخبر في قوله ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل
دون الكثير فشربوا منه الا قليلا منهم اي فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون بوسط وتعميم
الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في
معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة الاف وقيل الف روي ان من اقتصر على الغرفة
كفته لشربه ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لقاصد
الاخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه اي القليل الذين لم يخالفوه قالوا اي بعضهم لبعض لا طاقة
لنا اليوم بجالوت وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اي قال
الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيقدمون على الله
وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخذلين عنه اعتذارا في التخلف وتخذيلا
للقليل وكانهم تقاولوا به والنبي بينهم كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه
وتيسيره وكم تحتمل الاستفهام والخبر ومن مبينة او مزيدة والفئة الفرقة من الناس من فاوت
راسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاعانة
ولما برزوا لجالوت وجنوده اي ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجؤا الى الله بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سالوا
اولا افراغ الصبر في قلوبهم الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب منه ثم النصر
على العدو المرتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله فكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره اياهم
اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان
داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت له انك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت
بنته واتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة النبوة وعلمه
مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا انه تعالى دفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين
على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم تلك ايات الله اشارة
الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها
عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين
لما اخبرت به من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة
للرسول او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست
لغيره منهم من كلم الله تفضيلا له وهو موسى وقيل موسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم كلم الله موسى ليلة الحيرة
وفي الطور ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله

وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله يعني مكالمه **ورفع بعضهم درجات**
بان فضله على غيره من وجوه متعدده او بمراتب متباعدة وهو محمد عليه السلام فانه خص بالدعوة العامة
والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضايل العلمية والعملية الفايتة للحصر
والابهام لتفخيم شانه كانه العلم المتعين بهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم عليه السلام خصصه
بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالي ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل
واتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى
في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها ايات واضحة ومعجزات عظيمة لا يستجمعها غيره
ولو شاء الله هدى الناس جميعا **ما اقتتل الذين من بعدهم** من بعد الرسل **من بعد ما جاءتهم**
البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا **ولكن اختلفوا فمنهم من امن**
بموفقه التزام دين الانبياء **ومنهم من كفر** لاعراضه عنه بخذلانه **ولو شاء الله ما اقتتلوا** كرره
للتاكيد **ولكن الله يفعل ما يريد** فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والاية دليل على ان الانبيا
متفاوتة الاقدار وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث
بيد الله تابعة لمشيته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم**
ما اوجبت عليكم انفاقه **من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة** من قبل ان ياتي
يوم لا تقدرون على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقون او
تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن
له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفيع يشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل
والكافرون هم الظالمون يريد والتاركون للزكوة هم الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير
موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرين موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج
وايذانا بان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة **الله لا اله**
الا هو مبتدا وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للا خبر مثل في الوجود
او يصح ان يوجد **الحي** الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان
القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه **لا تاخذه سنة ولا نوم**
السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم
والنوم حال يعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس
الظاهرة عن الاحساس راسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود والجملة نفي للتشبيه
وتاكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس او نوم كان موف الحياة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك
العاطف فيه وفي الجمل التي بعده **له ما في السموات وما في الارض** تقرير لقيوميته واحتجاج على
تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله
السموات والارض وما فيهن **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** بيان لكبرياء شانه وانه لا احد

بساويه

يساويه او يدانيه يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانة فضلا ان يعاوقه عنادا او مناصبة
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر
الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او عكسه او ما يحسنونه وما يفعلونه ويدركونه وما لا يدركونه
والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملايكة والانبيا **ولا**
يحيطون بشيء من علمه من معلوماته **الا بما شاء** ان يعلموا وعطفه على ما قبله لان مجموعهما يدل
على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته **وسع كرسيه السموات والارض** تصوير لعظمته
وتمثيل مجرد كقوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة ولا كرسي في الحقيقة
ولا قاعد وقيل كرسيه علمه او ملكه وقيل كرسيه مجاز عن علمه او ملكه ماخوذ من كرسي العالم او الملك
وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيطا بالسموات السبع لقوله عليه السلام ما السموات
السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على
تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل لما يقعد عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد
وكانه منسوب الى الكرس وهو الملبد **ولا يؤوده حفظهما** ولا يثقله ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج
اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول **وهو العلي** المتعالي عن الانداد
والاشباه **العظيم** المستحقر بالاضافة اليه كل ما سواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل
الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالهية متصف بالحياة واجب الوجود لذاته موجد
لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرا عن التغير والفتور لا يناسب الاشباح
ولا يعتريه ما يعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد
الذي لا يشفع عنده الا من اذن له العالم وحده بالاشياء كلها جليلها وحقيرها وجرمها واسع الملك
والقدرة كلما يصح ان يملك ويقدر عليه لا يؤوده شاق ولا يشغله شان متعال عما يدركه وهم عظيم لا يحيط
به فهم ولذلك قال عليه السلام ان اعظم اية في القران اية الكرسي من قراها بعث الله ملكا يكتب من حسناته
ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة
الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره
وجار جاره والابيات حوله **لا اكراه في الدين** اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لا يرى فيه
خيرا يحمله عليه لكن **قد تبين الرشد من الغي** تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت
الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية
والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه
والالجا وقيل اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم او خاص باهل الكتاب لما روي ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل المبعث ثم قدما المدينة فلزمهما
ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى الرسول صلى الله عليه وسلم فنزلت **فمن يكفر**
بالطاغوت بالشيطان او الاصنام او كل ما عبد من دون الله او صد عن عبادة الله فعلوت من الطغيان
قلبت عينه ولامه **ويؤمن بالله** بالتوحيد وتصديق الرسل **فقد استمسك بالعروة الوثقى**

لطلب الاستمساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لتمسك المحق بالنظر الصحيح والراي
القويم **لا انفصام لها** لا انقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته **والله سميع** بالاقوال
عليم بالنيات ولعله تهديد علي النفاق **الله ولي الذين آمنوا** محبهم او متولي امرهم والمراد بهم من اراد
ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن **يخرجهم** بهدايته وتوفيقه **من الظلمات** ظلمات الجهل واتباع الهوي
وقبول الوسواس والشبه المؤدية الي الكفر **الي النور** الي الهدي الموصل الي الايمان والجملة خبر بعد خبر
او حال من المستكن في الخبر او من الموصول او منهما او استيناف مبين او مقرر للولاية **والذين كفروا**
اولياؤهم الطاغوت اي الشياطين او المضلات من الهوي والشيطان وغيرهما **يخرجونهم**
من النور الي الظلمات من النور الذي منحوه بالفطرة الي الكفر وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات
او من نور البينات الي ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الي
الطاغوت باعتبار السبب لا يأبي تعلق قدرته تعالي وارادته به **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**
وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيما لشانهم **الم تر الي الذي حاج ابراهيم في ربه**
تعجيب من محاجة نمرود وحماقته **ان آتاه الله الملك** لان آتاه اي بطره ايتاء الملك وحمله علي المحاجة او
وحاج لاجله شكرا له علي طريقة العكس كقولك عاديتني لاني احسنت اليك او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة
علي من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة **اذ قال ابراهيم** ظرف لحاج او بدل من آتاه علي الوجه الثاني **ربي**
الذي يحيي ويميت يخلق الحيوة والموت في الاجساد وقرا حمزة ربْ بحذف الياء **قال انا احيي واميت**
بالعفو عن القتل والقتل **قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها**
من المغرب اعرض ابراهيم عن الاعتراض علي معارضته الفاسدة الي الاحتجاج بما لا يقدر فيه علي نحو هذا
التمويه دفعا للمشاغبة وهو في الحقيقة عدول عن مثال خفي الي مثال جلي من مقدوراته التي يعجز عن الاتيان بها
غيره لا عن حجة الي اخري ولعل نمرود زعم انه يقدر علي كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه
بطر الملك وحماقته واعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك
الذي تدعو اليه وحاجه فيه **فبهت الذي كفر** فصار كالمبهوت وقرئ فبهت اي فغلب ابراهيم الكافر
والله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة
الاحتجاج او سبيل النجاة او الطريق الي الجنة يوم القيمة **او كالذي مر علي قرية** تقديره او ارايت
مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر
من ان يحصي بخلاف مدعي الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الي الذي حاج او الذي مر وقيل انه عطف
محمول علي المعني كانه قيل الم تر الي الذي حاج او كالذي مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره
وان كنت تحيي فاحي كاحياء الله الذي مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التي خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القري وهو الجمع
وهي خاوية علي عروشها خالية ساقطة حيطانها علي سقوفها **قال اني يحيي هذه الله بعد موتها**
اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيي ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان
كان كافرا واني في موضع نصب علي الظرف بمعني متي او علي الحال بمعني كيف **فاماته الله مائة عام** فالبثه ميتا

فالبثه

مائة عام او اماته الله مائة عام **ثم بعثه** بالاحياء **قال كم لبثت** القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان
كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبي **قال لبثت يوما او بعض يوم** كقول
الظان وقيل انه مات ضحي وبعث بعد المائة قبيل الغروب فاستقبل بالنظر الي الشمس يوما ثم التفت فراي
بقية منها فقال او بعض يوم علي الاضراب **قال بل لبثت مائة عام فانظر الي طعامك وشرابك**
لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء
سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمإ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة
كتقضي وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه
عصيرا او لبنا وكان الكل علي حاله **وانظر الي حمارك** كيف تفرقت عظامه وانظر اليه سالما في مكانه
كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل علي الحال واوفق لما
بعده **ولنجعلك آية للناس** اي وفعلنا ذلك لنجعلك آية روي انه اتي قومه علي حماره وقال انا عزير
فكذبوه فقرا التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الي منزله
كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة **وانظر الي العظام** يعني عظام
الحمار او عظام الاموات الذين تعجب من احيائهم **كيف ننشزها** كيف نحييها او نرفع بعضها الي بعض
ونركبه عليه وكيف منصوب بننشز والجملة حال من العظام اي انظر اليها محياة وقرا ابن كثير ونافع وابو
عمرو ننشرها من انشر الموتي وقرئ ننشرها من نشر بمعني انشر **ثم نكسوها لحما فلما تبين له**
فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله علي كل شيء قدير **قال اعلم ان الله علي كل**
شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وما قبله اي فلما تبين له ما اشكل عليه وقرا حمزة والكسائي
قال اعلم علي الامر والامر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به علي طريقة التبكيت **واذ قال ابراهيم رب**
ارني كيف تحيي الموتي انما سال ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيي واميت قال ان احياء الله
برد الروح الي بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الي تقرير آخر ثم سال ربه ان يريه
ليطمئن قلبه علي الجواب ان سئل عنه مرة اخري **قال اولم تؤمن** باني قادر علي الاحياء باعادة التركيب والحياة
قال له ذلك وقد علم انه اعرف الناس في الايمان ليجيب بما اجاب فيعلم السامعون غرضه **قال بلي ولكن**
ليطمئن قلبي اي بلي آمنت ولكن سالت لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الي الوحي والاستدلال
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه
ايماء الي ان احياء النفس بالحياة الابدية انما يتاتي باماتة حب الشهوات والزخارف التي هي صفة الطاوس والصولة
المشهور بها الديك وانما خص الطير لانه اقرب الي الانسان واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمي به او جمع كصحب
فصرهن اليك فاملهن واضممهن اليك لتتاملها وتعرف صفاتها لئلا تلتبس عليك بعد الاحياء وقرا
حمزة ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال وفرع يصير الجيد
وحف كانه علي الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره
يصره ويصره اذا جمعه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا **ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءا** اي ثم
جزئهن وفرق اجزاءهن علي الجبال التي بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرا ابو بكر جزءا بضم الزاي حيث وقع

ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روي انه
امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها فيوزعها على الجبال ثم يناديهن
ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى من اراد
احياء نفسه بالحيوة الابدية فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها
فتطاوعه مسرعة متى دعاها بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل ابرهيم ويمن الضراعة في الدعاء وحسن
الادب في السؤال انه تعالى اراه ما اراد به في الحال على ايسر الوجوه وارى عزيرا بعد ان اماته مائة عام واعلم
ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة في كل ما يفعله ويذره مثل الذين ينفقون
اموالهم في سبيل الله كمثل حبة اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كباذر حبة على حذف مضاف انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض
والماء والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة
حبة وهو تمثيل لا يقتضي وقوعه وقد يكون في الذرة والدخن وفي البر في الاراضي المغلة والله يضاعف
تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجله تفاوتت الاعمال في مقادير
الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين
ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى نزلت في عثمان فانه
جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبي صلى الله عليه وسلم باربعة
الاف درهم صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم
للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم
اذا فعلوا قول معروف رد جميل ومغفرة وتجاوز عن السائل الحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل
او عفو من السائل بان يعتذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء
بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غني عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذي
بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها
بكل واحد منهما كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذي
يرائي بانفاقه لا يريد به رضاء الله ولا ثواب الاخرة او مماثلين الذي ينفق رئاء فالكاف في محل النصب على المصدر
او الحال ورئاء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرائيا او المصدر اي انفاق رئاء فمثله المرائي في انفاقه كمثل
صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا
من التراب لا يقدرون على شيء مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رئاء ولا يجدون ثوابه والضمير للذي
ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما في قوله وان الذي حانت بفلج دماؤهم والله لا يهدي
القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفة الكفار ولا بد
للمؤمنين ان يتجنبوا عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
وتثبيتا بعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل

ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان
حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اي ومثل نفقة هؤلاء في
الزكاة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرا عاصم بربوة بالفتح وقرئ
بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو بالسكون والتخفيف ضعفين مثلي ما كانت بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما يريد بالزوج
الواحد في قوله من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال اي مضاعفا فان لم يصبها وابل
فطل اي فيصيبها او فالذي يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو
المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار
ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة
الزائدين في زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ايود احدكم
الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها
من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر
ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون الثمرات المنافع واصابه الكبر
اي كبر السن فان الفاقة والعالة في الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى وكأنه
قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها
اعصار فيه نار فاحترقت عطف على معنى ما اصابه او يكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة
تنعكس من الارض الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها
كرياء وايذاء في الحسرة والاسف اذا كان يوم القيمة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه
واشبههم من جال بسره في عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور
والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون اي تتفكرون فيها وتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما
كسبتم من حلاله او خياره ومما اخرجنا لكم من الارض اي ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب
والثمرات والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث منه اي ولا تقصدوا
الرديء منه اي من المال وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء
تنفقون منه الكم حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق به منه ويكون الضمير للخبيث والجملة
حال منه ولستم باخذيه اي وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه
الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اي تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين
وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم
وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق
والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بضم الفاء والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه

اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع
الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر
للاهتمام بالمفعول الاخير ومن يؤت الحكمة بناه للمفعول لانه المقصود وقرا يعقوب بالكسر اي ومن يؤته
الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اتي خيرا كثيرا اذ خير له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الايات
او وما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذوو العقول
الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية
في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او غير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه
وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من
انصار ينصرهم على الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيء ابداؤها وقرا
ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي
تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء
الفرض لغيره افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرا ابن عامر
وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس
ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتداة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرا نافع
وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرا بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما
تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد
والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء
صريح بان الهداية من الله وبمشيئته وانما تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة
فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون
الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله
وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث
وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تاكيد للشرطية
السابقة او ما يخلف المنفق استجابة لقوله عليه السلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي
ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم
فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب
نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا للفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء
الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
ذهابا فيها للتكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعماية من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد
يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم
الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول او لكل واحد لا يسئلون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسئول

لتو الزيادة عن ابن عباس رضي صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفرض علانيتها افضل من سرها

حتي

حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسئلون وان
سالوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه
كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا
على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اي يعمون الاوقات والاحوال
بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه تصدق باربعين دينارا عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا
ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف
اي ومنهم الذين ولذلك جوز الوقوف على وعلانية الذين ياكلون الربوا اي الاخذون وانما ذكر الاكل
لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد
الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت
الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان
الا قياما كقيام المصروع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس اي الجنون وهذا ايضا من زعماتهم
ان الجني يمسه فيخبط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكل الربوا
او يقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلاف عقولهم ولكن لان الله اربى
في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اي ذلك العقاب بسبب انهم
نظموا البيع والربوا في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل
البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم
ضيع درهما ومن اشترى فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم
الربوا انكار لتسويتهم وابطال القياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه
وعظ من الله وزجر كالنهي عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهي فله ما سلف تقدم اخذه التحريم ولا
يسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت موطية على راي سيبويه
اذ الظرف غير معتمد على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية
وقيل يحكم في شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون لانهم كفروا يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي
الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه السلام ان الله يقبل الصدقة ويربيها
كما يربي احدكم مهره وعنه ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب لا يرضى ولا يحب محبته للتوابين كل
كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين امنوا بالله وبرسوله وبما جاءهم منه
وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على ما يعمهما لانافتهما على ساير الاعمال
لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من ات ولا هم يحزنون على فايت يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا واتركوا بقايا ما شرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم

فان دليله امتثال ما امرتم به روي انه كان لثقيف مال على قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان
لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به وقرا حمزة وعاصم
في رواية ابن عباس فآذنوا اي فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب
للتعظيم وذلك يقتضي ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفيء الى امر الله كالباغي ولا يقتضي كفره روي انها
لما نزلت قال ثقيف لا يدان لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤوس اموالكم
لا تظلمون باخذ الزيادة ولا تظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم
رأس مالهم وهو سديد على ما قلناه اذ المصر على التحليل مرتد وماله فيء وان كان ذو عسرة وان وقع
غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اي وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن
نظرة وهي الانظار وقرئ فناظرة على الخبر اي فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرة على طريق النسب
وعلى الامر اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرا نافع بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة
وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء
وقرا عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تاخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل
المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره يوما الا كتب له بكل يوم صدقة ان كنتم
تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت
فتاهبوا لمصيركم اليه وقرا ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير
او سوء وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل
احدى وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اذا داين بعضكم
بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدين ان لا يتوهم من التداين المجازاة ويعلم
تنوعه الى المؤجل والحال فانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع ضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم بالايام والاشهر
لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس ان المراد به
السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية
لا يزيد ولا ينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به
معدلا بالشرع ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتابة ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتبة
الوثائق والايات ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها لقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب
تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تاكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع
منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملل من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه
والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اي المملي او الكاتب ولا يبخس ولا ينقص منه شيئا اي من الحق
او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا او ضعيفا صبيا او شيخا
مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه بخرس او جهل باللغة فليملل وليه
بالعدل اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيلا او مترجم ان كان غير

مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم او الوكيل واستشهدوا
شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط
اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تسمع شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم
يكونا رجلين فان لم يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد او فالمستشهد رجل وامراتان
وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء
لعلمكم بعدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى علة اعتبار العدد اي لاجل ان احداهما
ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكر ولكن لما كان الضلال سببا له نزل
منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وفيه
اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرا حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب
فتذكر من الاذكار ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة والتحمل وسموا شهداء تنزيلا لما يشارف منزلة
الواقع وما مزيدة ولا تسأموا ان تكتبوه ولا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب
وقيل كني بالسامة عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لا يقول المؤمن كسلت صغيرا
او كبيرا قليلا كان الحق او كثيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون
ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون
على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذو قسط وقويم وانما صحت الواو
في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى الا ترتابوا واقرب في ان لا تشكوا في جنس الدين وقدره واجله
والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا
تكتبوها استثناء عن الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم
تعاطيهم اياها يدا بيد اي الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا باس ان لا تكتبوه لبعده عن التنازع والنسيان ونصب
عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقول بني اسد هل تعلمون
للابا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انه الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة و
اشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التي في هذه الاية للاستحباب
عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناءين
ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير في الكتبة
والشهادة او النهي عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب
جعله والشهيد مؤنة مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم
خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله في مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة
لمصالحكم والله بكل شيء عليم كرر لفظة الله في الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل في التعظيم من الكناية وان كنتم على سفر
اي مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهان او فعليكم رهان
او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر في الارتهان كما ظنه مجاهد والضحاك ولانه عليه السلام

وهن درعه في المدينة من يهودي بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل الاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب في السفر الذي هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين واستغنى بامانته عن الارتهان فليود الذي اؤتمن امانته اي دينه سماه امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان به وقرئ الذي ايتمن بقلب الهمزة ياء والذي اتمن بادغام الياء في التاء وهو خطا لان المنقلب عن الهمزة في حكمها فلا يدغم وليتق الله ربه في الخيانة وانكار الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديون والشهادة شهادتهم على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اي ياثم قلبه او قلبه ياثم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان تصرفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم في نفسه واخذ اشرف اجزائه وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب العقوبة والعذاب عليه يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح في نفي وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم ويعقوب على الاستيناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء جعلهما بدلا البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء في اللام لحن اذ الراء لا يدغم الا في مثله والله على كل شيء قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه شهادة وتنصيص من الله على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم في امره غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذي ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين او يجعل مبتدا فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدا ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم عن نظر واستدلال وقرا حمزة والكسائي كتابه يعني القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع في وحدان الجنس والجمع في مجموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب لا نفرق بين احد من رسله اي يقولون لا نفرق وقرا يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله وكل اتوه داخرين واحد في معنى الجمع لوقوعه في سياق النفي كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفي الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مداها فيها بحيث تتسع فيه طريقتها وتتيسر عليها كقوله يريد الله بكم اليسر وهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الخير بالكسب والشر بالاكتساب لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس

وتجذ

وتجذب اليه فكانت اجدّ في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطاء من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدي الى الهلاك وان كان خطاء فتعاطي الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبئا ثقيلا يأصر صاحبه اي يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمّل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذي حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنو اسرائيل من قتل النفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلوة في اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكوة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التي لا تفي بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثاني واعف عنا وامح عنا ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء او المراد به عامة الكفرة روي انه عليه السلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له فعلت وعنه عليه السلام انزل الله ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قراهما بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرا الايتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغي ان يقال السورة التي يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التي يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة سورة ال عمران مدنية وايها مائتان بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم في المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها في حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج لان الميم في حكم الوقف كقولهم واحد اثنان لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور في باب الوقف ولذلك لم يحرك في لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرا ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحي القيوم روي انه عليه السلام قال اسم الله الاعظم في ثلاث سور في البقرة الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي ال عمران الله لا اله الا هو الحي القيوم وفي طه وعنت الوجوه للحي القيوم نزل عليك الكتاب القران نجوما بالحق بالعدل او بالصدق في اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو في موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ والانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب من قبل من قبل تنزيل القران هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل او الزبور او الفرقان وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما في كونه وحيا منزلا ويتميز

بانه معجز يفرق بين الحق والباطل او المعجزات إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ من كتبه المنزلة وغيرها
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بسبب كفرهم وَاللَّهُ عَزِيزٌ غالب لا يمنع من التعذيب ذُو انْتِقَامٍ لا يقدر
على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جي به بعد تقرير
التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة في اثبات النبوة تعظيما للامر وزجرا عن الاعراض عنه إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى
عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ اي شي كائن في العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء
والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف
فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ اي من الصور
المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله في خلق الجنين وتصويره وقرئ
تصوركم لنفسه وعبادته لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ اشارة الى كمال قدرته وتناهي حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد
نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين اية تقريرا
لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ اي القران مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ
أحكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ اصله يرد اليها غيرها والقياس امهات فافرد
على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة اية واحدة وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ محتملات لا يتضح مقصودها
لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها
وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج معانيها
والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات واما قوله الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ فمعناه انها حفظت من
فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا في صحة المعنى وجزالة
اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان
القياس ان يعرف ولا يعرف لانه في معنى المعرف وعن اخر فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ عدول عن الحق
كالمبتدعة فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فيتعلقون بظاهره او بتاويل باطل ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ طلب
ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه
ويحتمل ان يكون الداعي الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثاني
يلايم الجاهل وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما يستاثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يَقُولُونَ
آمَنَّا بِهِ استيناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدا كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
اي كل من المتشابه والمحكم من عنده وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ مدح للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله وهو تجرد العقل عن غواشي الحس
واتصال الاية بما قبلها من حيث انها في تصور الروح بالعلم وتربيته وما قبلها في تصوير الجسد وتسويته

اوانها

او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم
لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو اباه بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن
غيرها وبانه صورة في الجسم والمصور لا يكون اب المصور رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا من مقال الراسخين
وقيل استيناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترضيه قال عليه السلام
قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبتلينا
ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحق والايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف
واذ في موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً تزلفنا اليك
ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ لكل سؤال
وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شي
رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لحساب يوم ولجزائه لَا رَيْبَ فِيهِ في وقوع اليوم وما فيه
من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالاخرة فانها المقصد والمال
إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل
به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم التوبة وفاقا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عام في الكفرة
وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركو العرب لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ
مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اي من رحمته او من طاعته على معنى البدلية او من عذابه وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ
حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ متصل بما قبله اي لن تغني عنهم كما لم تغن عن
اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استيناف مرفوع المحل وتقديره داب هؤلاء كداب في الكفر والعذاب
وهو مصدر داب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ عطف على ال فرعون
وقيل استيناف كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ حال باضمار قد او استيناف بتفسير
حالهم او خبر ان ابتدات بالذين من قبلهم وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ تهويل للمواخذة وزيادة
تخويف للكفرة قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ اي قل لمشركي
مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه السلام جمعهم بعد بدر في سوق بني قينقاع فحذرهم
ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت
انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية
على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرا حمزة والكسائي بالياء فيهما على ان الامر بان يحكي لهم ما اخبره به
من وعيدهم بلفظه وَبِئْسَ الْمِهَادُ تمام ما يقال لهم او استيناف وتقديره بئس المهاد جهنم او ما مهدوه
لانفسهم قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ الخطاب لقريش او اليهود وقيل للمؤمنين فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا يوم بدر
فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ يرى المشركون المؤمنين مثلي عدد
المشركين وكانت قريبا الف او مثلي عدد المسلمين وكانوا ثلثمايه وبضعة عشر وذلك كان بعدما قللهم
في اعينهم حتى اجترؤا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله للمؤمنين
او يرى المؤمنون المشركين مثلي المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذي وعدهم الله

في قوله ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و ترونهم قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول
اي يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفيه بالجر على البدل من فئتين والنصب على الاختصاص او الحال من
فاعل التقتا **رأي العين** رؤية ظاهرة معاينة **والله يؤيد بنصره من يشاء** نصره كما ايد اهل بدر
إن في ذلك اي التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكي السلاح وكون الواقعة
ايضا تحتملها ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول **لعبرة لأولي الأبصار** لعظة لاولي البصائر وقيل
لمن ابصرهم **زين للناس حب الشهوات** اي المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء على انهم انهمكوا
على محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعي
ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى او لانه
من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائي بين المباح والمحرم
**من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والأنعام والحرث** بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور
واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة ماخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة
من السومة وهي العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم
ذلك متاع الحياة الدنيا اشارة الى ما ذكر **والله عنده حسن المآب** اي المرجع وهو تحريض على استبدال
ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المجازية الفانية **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم**
يريد به تقرير ان ثواب الله خير من مستلذات الدنيا **للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها** استيناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير وترتفع جنات على هو جنات
ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير **وأزواج مطهرة** مما يستقذر من النساء **ورضوان من الله**
قرا عاصم بضم الراء وهما لغتان **والله بصير بالعباد** باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او بأحوال
الذين اتقوا ولذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الاية على نعمه فادناها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان
الله وقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها **الذين يقولون ربنا إننا آمنا
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار** صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع
وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها
الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار حصر
لمقامات السالك على احسن الترتيب فان معاملته مع الله اما توسل واما طلب والتوسل اما بالنفس
وهو منعها من الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولي وهو الصدق
واما فعلي وهو القنوت الذي هو ملازمة الطاعة واما بالمال وهو الانفاق في سبيل الخير واما الطلب
بالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسط الواو بينها للدلالة على استقلال
كل واحدة منها وكمالهم فيها او لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيه اقرب الى الاجابة لان العبادة
حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمجتهدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم يستغفرون
ويدعون **شهد الله أنه لا إله إلا هو** بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات

الناطقة بها **والملائكة** بالاقرار **وأولوا العلم** بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك في البيان
والكشف بشهادة الشاهد **قائما بالقسط** مقيما للعدل في قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله
وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او
من هو والعامل معنى الجملة اي تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او الصفة للمنفي وفيه ضعف للفصل
وهو مندرج في المشهود به اذا جعلته صفة او حالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط على البدل من هو
او الخبر لمحذوف **لا إله إلا هو** كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليبني عليه قوله **العزيز الحكيم** فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على
العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة لفاعل شهد وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله
ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي الجنة وهي دليل على فضل علم اصول الدين
وشرف اهله **إن الدين عند الله الإسلام** جملة مستانفة مؤكدة للاولى اي لا دين مرضي عند الله سوى
الاسلام وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بالايمان او بما يتضمنه وبدل
الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالفتح على وقوع الفعل على الثاني واعتراض ما بينهما او
اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما **وما اختلف الذين أوتوا الكتاب** من اليهود
والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة في دين الاسلام فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه
اخرون مطلقا او في التوحيد فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده
وقيل هم النصارى اختلفوا في امر عيسى **إلا من بعد ما جاءهم العلم** اي من بعد ما علموا حقيقة الامر
وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج **بغيا بينهم** حسدا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء في الامر
ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب وعيد لمن كفر منهم **فإن حاجوك** في الدين
او جادلوك فيه بعد ما اقمت الحجج **فقل أسلمت وجهي لله** اي جعلت نفسي وجملتي له لا اشرك فيها
غيره وهو الدين القويم الذي قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه عن النفس
لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس **ومن اتبعن** عطف على التاء وحسن للفصل او
مفعول معه **وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين** الذين لا كتاب لهم كمشركي العرب **أأسلمتم**
كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة
فإن أسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال **وإن تولوا فإنما
عليك البلاغ** اي فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت **والله بصير بالعباد** وعد ووعيد
**إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون
بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم** هم اهل الكتاب الذين في عصره قتل اولهم
الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبي والمؤمنين ولكن الله عصمهم وقد سبق مثله
في سورة البقرة وقرا حمزة والكسائي ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه من ادخال الفاء في خبر ان
كليت ولعل ولذلك قيل الخبر **أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة** كقولك
زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما **وما لهم من ناصرين** يدفع عنهم

العذاب **ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** اي التورية او جنس الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكيرا لنصيب يحتمل التعظيم والتحقير **يدعون إلي كتاب الله ليحكم بينهم** الداعي محمد صلوات الله وسلامه عليه وكتاب الله القران او التورية لما روي انه عليه السلام دخل مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد علي اي دين انت فقال علي دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الي التورية فانها بيننا وبينكم فابيا فنزلت وقيل نزلت في الرجم وقري ليحكم علي البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل علي ان الادلة السمعية حجة في الاصول **ثم يتولي فريق منهم** استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب **وهم معرضون** وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصيصه بالصفة **ذلك** اشارة الي التولي والاعراض **بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات** بسبب تسهيلهم امر العقاب علي انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ **وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون** من ان النار لن تمسهم الا اياما قلايل او ان اباءهم الانبيا يشفعون لهم او انه تعالي وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** استعظام لما يحيق بهم في الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما روي ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالي علي رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الي النار **ووفيت كل نفس ما كسبت** جزاء ما كسبت وفيه دليل علي ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد في النار لان توفية عمله لا يكون في النار ولا قبل دخولها فاذا هي بعد الخلاص منها **وهم لا يظلمون** الضمير لكل نفس علي المعني لانه في معني كل انسان **قل اللهم** الميم عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصايص هذا الاسم لدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وبالقسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته **مالك الملك** يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية **تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء** وتصرف الملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الي قوم **وتعز من تشاء وتذل من تشاء** في الدنيا والاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان **بيدك الخير إنك علي كل شيء قدير** ذكر الخير وحده لان المقتضي بالذات والشر مقتضي بالعرض اذ لا يوجد شر ما لم يتضمن خيرا كثيرا او لمراعاة الادب في الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روي انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الي رسول الله صلي الله عليه وسلم يخبره فجاء فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعا واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة علي كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون نبيكم يعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه علي ان الشر ايضا بيده بقوله انك علي كل شيء قدير **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج**

الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان ان قدرته علي معاقبة الليل والنهار والموت والحياة وسعة فضله دلالة علي ان من قدر علي ذلك قدر علي معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول في مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء** نهوا عن موالاتهم لقرابة وصداقة جاهلية ونحوهما حتي لا يكون حبهم وبغضهم الا في الله او عن الاستعانة بهم في الغزو وساير الامور الدينية **من دون المؤمنين** اشارة الي انهم الاحقاء بالموالاة وان في موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة **ومن يفعل ذلك** اي اتخاذهم اولياء **فليس من الله في شيء** من ولايته في شيء يصح ان يسمي ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب **إلا أن تتقوا منهم تقاة** الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدي بمن لانه في معني تحذروا وتخافوا وقرا يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا في الاوقات كلها الا وقت المخافة فان اظهار الموالاة حينئذ جايز كما قال عيسي عليه السلام كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه وإلي الله المصير** فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهي المنهي في القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذور منه عقاب يصدر منه فلا تؤبه دونه بما يحذر من الكفرة **قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله** اي انه يعلم ضمايركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها **ويعلم ما في السموات وما في الأرض** فيعلم سركم وعلانيتكم **والله علي كل شيء قدير** فيقدر علي عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والاية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه وكانه قال ويحذركم الله نفسه لانها متصفة بعلم ذاتي يحيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا علي عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر علي العقاب بها **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا** يوم منصوب بتود اي تتمني كل نفس يوم تجد صحايف اعمالها او جزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير في عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور علي ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقري ودت وعلي هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل علي الخبر اوقع معني لانه حكاية كاينة واوفق للقراءة المشهورة **ويحذركم الله نفسه** كرره للتوكيد والتذكير **والله رؤوف بالعباد** اشارة الي انه تعالي انما نهاهم وحذرهم رافة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجي رحمته ويخشي عذابه **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني** المحبة ميل النفس الي الشيء لكمال ادركه فيه بحيث يحملها علي ما يقربه اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا لله وان كلما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والي الله لم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص علي مطاوعته **يحببكم الله ويغفر لكم**

ذنوبكم جواب للامر اي يرحم عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم
في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة علي طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بالطاعة
واتباع نبيه روي انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح
حبا لله وقيل في اقوام زعموا علي عهده عليه السلام انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل
قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضي والمضارعة بمعني فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين
لا يرضي عنهم ولا يثني عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة علي ان التولي كفر وان هذه الحيثية ينفي
محبة الله وان محبته مخصوصه بالمؤمنين ان الله اصطفي آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران
علي العالمين بالرسالة والخصايص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا علي ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب
طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل علي فضلهم علي الملائكة
وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلي الله عليه وسلم وآل عمران موسي وهرون ابني
عمران بن يصهر بن فاهت بن لاوي بن يعقوب او عيسي وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اليعازر بن ابي يوذ بن
زربابيل بن سالتيان بن يوحنا بن اوشيا بن امون بن منسكرحار فابن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام
بن ساقط بن اشرامن بن راجعتم بن سليمان بن داود بن انسا بن عوبد بن سلمون بن باعوز بن نحسون بن عمياداب بن
رام بن حصرون بن فارض بن يهودا بن يعقوب وكان بين العمرانين الف وثمانماية سنة ذرية بعضها
من بعض حال او بدل من الآلين او منهما او من نوح اي انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل
من بعض في الدين والذرية الولد يقع علي الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها يا ثم
قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفي من كان مستقيم القول
والعمل او سميع بقول امراة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرات عمران رب اني نذرت لك ما في
بطني فينتصب باذ وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسي وكانت لعمران بن
يصهر بنت اسمها مريم اكبر من هرون فظن انه المراد وحنة ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن
ماثان وتزوج بنته ايشاع وكان يحيي وعيسي ابني خالة من الاب روي انها كانت عاقرا عجوزا فبينا هي
في ظل شجرة اذ رات طايرا يطعم فرخه فحنت الي الولد وتمنته وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا
ان اتصدق به علي بيت المقدس ويكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا
عندهم في الغلمان فلعلها بنت الامر علي التقدير او طلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشيء
او مخلصا للعبادة ونصبه علي الحال فتقبل مني ما نذرته انك انت السميع العليم بقولي ونيتي
فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثي الضمير لما في بطنها وتانيثه لانه كان انثي وجاز
انتصاب انثي حالا عنه لانه تانيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او علي تاويل مؤنث كالنفس
والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الي ربها لانها كانت ترجو ان تلد ذكرا ولذلك نذرت تحريره والله
اعلم بما وضعت اي بالشيء الذي وضعته وهو استيناف من الله تعالي تعظيما لموضوعها وتجهيلا
لها بشانها وقرا ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت علي انه من كلامها تسلية لنفسها اي ولعل
لله فيه سرا والانثي كانت خيرا وقرئ وضعت علي خطاب الله تعالي لها وليس الذكر كالانثي

بيان لقوله

بيان لقوله والله اعلم اي وليس الذكر الذي طلبت كالانثي التي وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون
من قولها بمعني وليس الذكر والانثي سيان فيما نذرت فيكون اللام للجنس واني سميتها مريم عطف
علي ما قبلها من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها ويصلحها حتي
يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم في لغتهم بمعني العابدة وفيه دليل علي ان الاسم والمسمي والتسمية
امور متغايرة واني اعيذها بك اجيرها بحفظك وذريتها من الشيطان الرجيم
المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة وعن النبي صلي الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان
يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث
يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله تعالي عصمهما ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها ربها فرضي
بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن بوجه حسن تقبل به النذاير وهو اقامتها مقام الذكر
او تسلمها عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روي ان حنة لما ولدتها لفتها في خرقة
وحملتها الي المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت
بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان كانت رؤس بني اسرائيل وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندي
خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا الي نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت
اقلامهم فتكفلها ويجوز ان يكون مصدرا علي تقدير مضاف اي بذي قبول حسن وان يكون تقبل بمعني
استقبل كتعجب وتعجل اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
مجاز عن تربيتها بما يصلحها في جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفا حمزة والكسائي وعاصم وقصروا
زكريا غير عاصم في رواية ابن عباس علي ان الفاعل هو الله وزكريا مفعول اي جعله كافلا لها وضامنا لمصالحها
وخففها الباقون ومدوا زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اي الغرفة التي بني لها او المسجد
او اشرف مواضعه ومقدمها سمي به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس
وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روي انه كان لا يدخل عليها غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب
فكان يجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا
الرزق الاتي في غير اوانه والابواب معلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة
زكريا يدفعه اشتباه الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسي ولم
ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او بغير استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامهما وان يكون من كلام الله روي ان فاطمة
عليها السلام اهدت لرسول الله صلي الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها وقال هلمي
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها اني لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع
عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته وبقي الطعام كما هو واوسعت علي جيرانها هنالك دعا زكريا ربه
في ذلك المكان او الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راي كرامة مريم ومنزلتها من الله قال
رب هب لي من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما راي الفواكه في غير

اوانما انتبه علي جواز ولادة العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لي من لدنك لانه لم يكن علي الوجوه المعتادة
وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعا مجيبه فنادته الملايكة اي من جنسهم كقولهم زيد يركب
الخيل فان المنادي كان جبريل وحده وقرا حمزه والكسائي فناداه بالامالة والتذكير وهو قايم يصلي في المحراب
اي قايما في الصلاة ويصلي صفة قايم اوخبر اوحال اخر اوحال عن الضمير في قايم ان الله يبشرك
بيحيي اي بان الله وقرا نافع وابن عامر بالكسر علي ارادة القول اولان النداء نوع منه وقرا حمزه والكسائي
يبشرك بيحيي اسم اعجمي عربي يمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اي بعيسي سمي
بذلك لانه وجد بامره تعالي دون اب فشابه البدعيات التي هي عالم الامر اوبكتاب الله سمي كلمة كما كلمة
الحق لكلمة اوقصيدة وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فايقا للناس كلهم في انه ما هم بمعصية وحصورا
مبالغا في حصر النفس عن الشهوات والملاهي روي انه مر في صباه بصبيان فدعوه للعب فقال ما للعب
خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا منهم اوكاينا من عداد من لم يات كبيرة ولا صغيرة قال رب
اني يكون لي غلام استبعادا من حيث العادة واستعظاما وتعجبا اواستفهاما عن كيفية حدوثه
وقد بلغني الكبر ادركني كبر السن واثر في وكان له تسع وتسعون سنه ولامراته ثمان وتسعون
وامراتي عاقر لا تلد من العقر وهو القطع لانها ذات عقر من الولادة قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل ما يشاء من العجايب مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ وعجوز عاقر اوكما انت عليه وزوجك من الكبر
والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد وكذلك الله مبتدا وخبر اي الله علي مثل هذه الصفة ويفعل ما يشاء
بيان له اوكذلك خبر محذوف اي الامر كذلك والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لي اية علامة
اعرف بها الحبل لاستقبله بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك ان لا تكلم الناس
ثلثة ايام ان لا تقدر علي تكليم الناس ثلاثة ايام وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة
لذكر الله وشكره قضاء لحق النعمة وكانه قال ايتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب ما اشتق
من السوال الا رمزا اشارة بنحو يد اوراس واصله التحريك ومنه الراموز للبحر والاستثناء منقطع
وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل علي الضمير وقري رمزا بالجزم جمع رمز ورمزا كرسل جمع رموز علي انه حال منه ومن الناس
بمعني مترامزين كقوله مالمص مروس برحف روانق المنيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا
في ايام الحبسة وهو موكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل علي انه لا يفيد التكرار وسبح
بالعشي من الزوال الي الغروب او الي ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الي الضحي وقري بفتح
الهمزة جمع بكر كسحر واسحار واذ قالت الملايكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
علي نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كان معجزة زكريا او
ارهاصا لنبوة عيسي فان الاجماع علي انه تعالي لم يستنبي امراة لقوله وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل
الهموها والاصطفاء الاول تقبلها من امها ولم تقبل قبلها انثي وتفريغها للعبادة واغناوها برزق
الجنة عن الكسب وتطهيرها عما يستقذر من النساء والثاني هدايتها وارسال الملايكة اليها
وتخصيصها بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبريتها مما قرفته اليهود بانطاق الطفل وجعلها
وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين امرت بالصلوة في الجماعة

بذكر اركانها مبالغة في المحافظة عليها وقدم السجود علي الركوع اما لكونه كذلك في شريعتهم اوالتنبيه
علي ان الواو لا توجب الترتيب اوليقترن اركعي بالراكعين للايذان بان من ليس في صلاتهم ركوع
ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت ادامة الطاعة لقوله امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقايما
وبالسجود الصلاة لقوله وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك اي ما ذكرنا من القصص من الغيوب التي لا تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم
اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التي كانوا يكتبون بها التورية تبركا
والمراد تقرير لكونه وحيا علي سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقايع المشاهدة والسماع وعدم
السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقي ان يكون الاتهام باحتمال العيان لا يظن فيه عاقل ايهم
يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اي يلقونها ليعلموا اويقولوا ايهم يكفل
وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا في كفالتها اذ قالت الملايكة بدل من اذ قالت الاولي
وما بينهما اعتراض اومن اذ يختصمون علي ان وقوع الاختصام والبشارة في زمان متسع لقولك لقيته
في سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ابن مريم المسيح لقبه وهو
من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسي معرب ايشوع
واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة اوبما طهره من الذنوب اومسح الارض ولم يقم في موضع اومسحه جبريل
وهو من العيس وهو بياض تعلوه حمرة تكلف لا طايل تحته وابن مريم صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها
ولا ينافي تعداد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويميز عن غيره
هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمي والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسي خبر مبتدا محذوف وابن
مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها علي انه يولد من غير اب اذ الولد ينسب الي الاباء ولا ينسب
الي الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها
موصوفة وتذكيرها للمعني والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله
وقيل اشارة الي علو درجته في الجنة او رفعه الي السما وصحبته للملايكة ويكلم الناس في المهد
وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد
للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا
الي انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب
اني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب واستبعاد عادي اواستفهام عن انه يكون بتزوج
اوغيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القايل جبريل او الله وجبريل حكي لها قوله تعالي اذا
قضي امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الي انه تعالي كما يقدر ان يخلق الاشيا مدرجا
باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل كلام مبتدا ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج
اوعطف علي يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة اوجنس الكتب المنزلة وخص الكتابان بالذكر لفضلهما
ورسولا الي بني اسرائيل اني قد جيتكم باية من ربكم منصوب بمضمر علي ارادة القول تقديره

ويقول ارسلت رسولاً باني قد جيتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق وكانه قال وناطقا
باني قد جيتكم وتخصيص بني اسرائيل بخصوص بعثته اوللرد على من زعم انه مبعوث الي غيرهم اني
اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل انّي قد جيتكم او جرّ بدل اية او رفع على نبي
اي اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيا مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك
المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طيارا باذن الله نبه به على الحياء من الله لا منه وابرئ
الاكمه والابرص الذى ولد اعمى والممسوح العين وروي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى
من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما يداوي الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله
دفعا لوهم اللاهوتية فان الاحيا ليس من جنس الافعال البشرية وانبئكم بما تاكلون وما
تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم
ان كنتم مومنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين
ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل
عليه قد جيتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله قد جيتكم باية او معطوف
على معنى مصدقا كقولهم جيتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في
شريعة موسي كالشحوم والعروق والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان
ناسخا لشرايع موسى ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القران بعضه ببعض عليه
بتناقض وتكاذيب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجيتكم باية من ربكم
فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي
جيتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة
بين النبي والساحر او جيتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه
تكرير لقوله قد جيتكم باية اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب
عليه بالفا قوله فاتقوا الله اي لما جيتكم بالمعجزات القاهره والايات الباهره فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال
القوة النظرية بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد قال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العمليه فانه
بملازمة الطاعة التي هو الاتيان بالاوامر والانتها عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين الجمع بين الامرين وهو
الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى
منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجا الى الله او
ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم
الى الله في نصري وقيل الى هنا بمعنى او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو
البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم
وصفا سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى من اليهود وقيل قصارون يحورون
الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دينه امنا بالله واشهد بانا مسلمون

اشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول
فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك ومع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم
او امة محمد عليه السلام فانهم يشهد واعلى الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان
وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسي والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل
والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا تسند الى الله الا سبيل المقابلة والازدواج
والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم في ايصال الضر من حيث لا يحتسب اذ قال الله يا عيسى
اني متوفيك ظرف لمكر الله او خير الماكرين او المضمر وتح ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي
اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضا من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما
او مميتك عن الشهوات العايقة عن العروج الي عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء
واليه ذهبت النصاري ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملايكتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة
يعلونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصاري والى الان
لم تسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسي ومن تبعه وكفر
وغلب المخاطب على الغايبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين
كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فنوفيهم اجورهم تفضيل للحكم وتفصيل له والله لا يحب الظالمين
تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبا عيسي وغيره وهو مبتدا خبره نتلوه عليك
وقوله من الايات حال من الها ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة
وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع
عن تطرق الخلل اليه يريد به القران وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم اي شانه
الغريب كشان ادم خلقه من تراب خلق ادم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد
الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي خلقه بشرا لقوله ثم انشاه خلقا اخر وقدر تكوينه
من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضيه الحق من ربك
خبر محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدا ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله فلا تكن من الممترين
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى
فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالراي
والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كلا
منا ومنكم نفسه واعز اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان
الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اي نتباهل اي بلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح
اللعنة واصله الترك من قولهم بهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين

عطف فيه بيان روي انه لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم
ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا
فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين
اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى
اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فاذعنوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وبذلوا له الجزية الفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا
لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو
دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته **إِنَّ هَٰذَا** اي ما قص من نباء عيسى ومريم **لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**
بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد ان ما ذكره في شان عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبره واللام دخل
لانه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدا **وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ**
صرح فيه بمن الزايدة للاستغراق تاكيدا للرد على النصارى في تثليثهم **وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** لا احد
سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية **فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ**
وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولي عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدي
الى فساد النفس بل والى فساد العالم **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ** يعم اهل الكتاب وقيل يريد وفد نجران او يهود المدينة
تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها **أَلَّا نَعْبُدَ**
إِلَّا اللَّهَ اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها **وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا** ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه
اهلا لان يعبد **وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ** ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع
الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا وقد روي انه لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم
قال نعم قال هو ذاك **فَإِنْ تَوَلَّوْا** عن التوحيد **فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** اي لزمتكم الحجة فاعترفوا
بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر ما راعي
في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاوره من الاطوار
المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل والزم بان دعاهم الى ما وافق عليه
عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عندهم وعلم ان الايات والنذر لا تغني عنهم اعرض وقال
اشهدوا بانا مسلمون **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ**
تنازعت اليهود والنصارى في ابرهيم حديث نزول التورية على موسى والانجيل على عيسى وكان ابرهيم قبل موسى بالف سنة
وعيسى بالفين فكيف يكون عليها **أَفَلَا تَعْقِلُونَ** فتدعون المحال **هَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ**
فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التي غفلوا عنها وانتم مبتدا وهؤلاء خبره
وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اي انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم وجدتموه في التورية

او الانجيل

او الانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر في كتابكم من دين ابرهيم وقيل هؤلاء بمعنى
الذين وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب عن حماقتهم فقلبت الهمزة هاء **وَاللَّهُ يَعْلَمُ**
وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما حاججتم فيه **وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** وانتم جاهلون به **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا**
نَصْرَانِيًّا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان **وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا** مائلا عن العقايد الزايغة **مُسْلِمًا**
منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام **وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**
تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابرهيم **إِنَّ أَوْلَى**
النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ اي اخصهم به واقربهم منه من الولي وهو القرب **لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ** من امته **وَهَٰذَا**
النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا لموافقتهم له في اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا
على الهاء في اتبعوه وبالجر عطفا على ابرهيم **وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ** ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم
وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ نزلت في اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا
الى اليهودية ولو بمعنى ان **وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ** وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم
اذ يضاعف به عذابهم او ما يضلون الا امثالهم **وَمَا يَشْعُرُونَ** وهو ورد واختصاص ضرره بهم
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم **وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ** انها ايات الله او بالقران وانتم تشهدون نعته في الكتابين
او تعلمون بالمعجزات انه الحق **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ** بالتحريف وابراز الباطل
في صورته او بالتقصير في التمييز بينهما وقرئ تلبّسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق
مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور **وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ** نبوة محمد ونعته **وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ** عالمون بما تكتمونه
وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ اي اظهروا
الايمان بالقران اول النهار **وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم
ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطايفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت
القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة اخره لعلهم
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنى عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام اول النهار
ويقولوا اخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذي ورد في التورية لعل اصحابه يشكون فيه
وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم ولا تظهروا ايمانكم وجه النهار
الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم **قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ** يهدي من يشاء الى الايمان ويثبت عليه
أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ متعلق بمحذوف اي دبرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد والمعنى ان الحسد حملكم
على ذلك او بلا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين
لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على ان
كيدهم لا يجدي بطايل او خبر ان على ان هدى الله بدل من الهدى وقرا ابن كثير ان يؤتى على الاستفهام للتقريع
يؤيده الوجه الاول اي الان يؤتى احد ما دبرتم وقرئ ان على انها النافية فيكون من كلام الطايفة اي ولا
تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم لا يؤتى احد مثل ما اوتيتم **أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ** عطف على ان يؤتى على الوجهين

الاولين وعلي الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معني الجمع اذ المراد به
غير اتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من
يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن اهل الكتاب من
ان تامنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشي الفا ومايتي اوقيه ذهبا فاداه اليه
ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازورا استودعه قرشي اخر دينارا فجحده وقيل
المامونون علي الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخاينون في القليل اليهود اذ الغالب عليهم الخيانة
الا ما دمت عليه قايما الا مدة دوامك قايما علي راسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة
ذلك الاشارة الي ترك الاداء المدلول عليه بقوله بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين
سبيل اي ليس علينا في شان من ليسوا اهل الكتاب ولم يكونوا علي ديننا عتاب وذم ويقولون علي الله
الكذب بادعايهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل
لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم
وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الي البر والفاجر بلي اثبات لما نفوه اي بلي عليهم فيهم سبيل من اوفي
بعهده واتقي فان الله يحب المتقين استيناف مقرر للجملة التي سدت بلي مسدها والضمير المجرور
لمن او لله وعموم المتقين بان الراجع من الجزاء الي من واشعر بان التقوي ملاك الامر وهو يعم الوفا وغيره من
اداء الواجبات واجتناب المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا عليه
من الايمان بالرسول والوفا بالامانات وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا
قليلا متاع الدنيا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم او بشيء اصلا وان الملائكة
يسايلونهم يوم القيامة او لا ينتفعون بكلمات الله واياته والظاهر انه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا
ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط علي غيره واستهان به اعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه
كما ان من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر نحوه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم علي ما فعلوه قيل
انها نزلت في احبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرهما واخذوا علي ذلك
رشوة وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين
اشعث بن قيس ويهودي في بير او ارض وتوجه الحلف علي اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب
ومالك وحيي يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراته فيميلونها عن المنزل الي المحرف او يعطفونها
بشبه الكتاب وقري يلون علي قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقا حركتها علي الساكن قبلها
لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقري ليحسبوه بالياء
والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله ما هو من الكتاب
وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اي ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضي
ان لا يكون فعل العبد فعل الله ويقولون علي الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب
علي الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس

كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب ورد علي عبدة عيسي وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد النجراني قالا
يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نامر بعبادة غير الله فما بذلك
بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا علي بعض افلا نسجد لك
قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن
يقول كونوا ربانيين والرباني منسوب الي الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم
والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب
كونكم دارسين له فان فايدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب
تعلمون بمعني عالمين وقري تدرسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعني درس كاكرم وكرم ويجوز
ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعني علي تقدير وبما تدرسونه علي الناس ولا يامركم ان تتخذوا
الملايكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا علي ثم يقول ويكون لا مزيدة
لتاكيد معني النفي في قوله ما كان لبشر ان يستنبيه الله ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملايكة
والنبيين اربابا او غير مزيدة علي معني انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفايه اربابا بل ينهي عنه
وهو ادني من العبادة ورفعه الباقون علي الاستيناف ويحتمل الحال ايامركم بالكفر انكار والضمير
فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل علي ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون لان
يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه علي ظاهره واذا كان هذا حكم الانبيا كان الامم
به اولي وقيل معناه انه تعالي اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة
الميثاق الي النبيين اضافته الي الفاعل والمعني واذ اخذ الله الميثاق الذي واثقه الانبيا علي اممهم وقيل
المراد اولاد النبيين علي حذف المضاف وهم بنو اسرايل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولي
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطية للقسم لان اخذ الميثاق بمعني
الاستحلاف وما يحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرا حمزة لما
بالكسر علي ان ما مصدرية اي لاجل ايتايي اياكم بعض الكتاب ثم مجي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصوله والمعني اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول
مصدق له وقري لما بمعني حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم علي ان اصله لمن ما بالادغام فحذف الميمات
الثلاث استثقالا قال ااقررتم واخذتم علي ذلكم اصري اي عهدي سمي به لانه يوصر اي يشد وقري
بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به قالوا اقررنا قال فاشهدوا
اي فليشهد بعضكم علي بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملايكة وانا معكم من الشاهدين
وانا ايضا علي اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولي بعد ذلك بعد
الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير
دين الله يبغون عطف علي الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره ايتولون
فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابي عمرو وعاصم

في رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقلتم **وله اسلم من في السموات والارض طوعا**
وكرها اي طائعين بالنظر واتباع الحجة واكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل
وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
ان يمتنعوا عما قضي عليهم **واليه ترجعون** وقرئ بالياء على ان الضمير لمن **قل امنا بالله وما انزل**
علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى
وعيسى والنبيون من ربهم الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه
بالايمان والقران كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع
قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهي الى
الرسل [يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه عليه السلام على المنزل على سائر الانبياء صح] لانه المعرف فله والعيان عليه **لا نفرق بين احد منهم** بالتصديق والتكذيب **ونحن له**
مسلمون منقادون مخلصون في عبادته **ومن يبتغ غير الاسلام دينا** اي غير التوحيد
والانقياد لحكم الله **فلن يقبل منه وهو في الاخرة من الخاسرين** الواقعين في الخسران والمعنى
ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران بابطال الفطرة السليمة التي
فطر الناس عليها واستدل بها على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول
كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين للاعمال ايضا **كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم**
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد
ما وضح له منهمك في الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار له وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد
وشهدوا عطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فاصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو
على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان **والله لا يهدي القوم الظالمين**
الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم
وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى ميؤوسون عن
الرحمة راسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه
ولكن لا يعرف الحق بعينه **خالدين فيها** في اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد
واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا في الصلاح **فان الله غفور** يقبل توبته
رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من
توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فرجع الى المدينة فتاب **ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا**
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقران او كفروا بمحمد
بعدما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق
او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه وننافقه باظهاره
لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون او لا يتوبون الا اذا اشرفوا على الهلاك فكني عن عدم توبتهم بعدم قبولها او لان

توبتهم

توبتهم لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه **واولئك هم الضالون**
الثابتون على الضلال **ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء**
الارض ذهبا تغليظا في شانهم وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة لما كون الموت على الكفر سببا
لامتناع قبول التوبة ادخل الفاء هنا للاشعار به وملء الشيء ما يملاه وذهبا نصب على التمييز وقرئ
بالرفع على البدل من ملء او الخبر لمحذوف **ولو افتدى به** محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم ملء
الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو
ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد **اولئك**
لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما **وما لهم من ناصرين**
في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق **لن تنالوا البر** اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير او لن تنالوا
بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة **حتى تنفقوا مما تحبون** اي من المال او ما يعمه وغيره من بذل
الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال
يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رايح واني ارى ان تجعلها
في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها وقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسامة فقال زيد انما اردت ان اتصدق به فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان
من للتبعيض ويحتمل التبيين **وما تنفقوا من شيء** اي من شيء محبوب او من غيره ومن لبيان ما **فان الله به**
عليم فيجازيكم بحسبه **كل الطعام** اي المطعومات والمراد اكلها **كان حلا لبني اسرائيل** حلالا لهم وهو
مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لا هن حل لهم **الا ما حرم**
اسرائيل يعقوب **على نفسه** كلحوم الابل والبانها قيل كان به عرق النسا فنذر ان شفي لم ياكل احب الطعام
اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع
ان يقول ذلك باذن الله فهو كتحريمه ابتداء **من قبل ان تنزل التورية** اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم
عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول موافقة ابرهيم بتحليله لحوم الابل والبانها **قل فاتوا بالتورية**
فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم
يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته **فمن**
افترى على الله الكذب بتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم
من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة **فاولئك هم الظالمون** الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون
الحق بعدما وضح **قل صدق الله** تعريض بكذبهم اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون **فاتبعوا**
ملة ابرهيم حنيفا اي ملة الاسلام التي هي في الاصل ملة ابرهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية
التي تضطركم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية والزمتكم تحريم طيبات احلها ابرهيم ومن تبعه

وماكان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب في التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتجنب
عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اي وضع للعبادة وجعل
متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البنا للفاعل للذي ببكة للبيت الذي ببكة
وهو لغة في مكة كالنبيط والنميط وامر راتب ودائم ولازم ولازب وقيل هي موضع المسجد ومكة البلد من
بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه
قبل ادم بيت يقال له الضراح ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل هو اول بيت بناه ادم فانطمس
في الطوفان ثم بناه ابرهيم وقيل كان في موضعه قبل ادم بيت يقال له الضراح تطوف به الملائكة فلما اهبط امر ان
يحجه ويطوف حوله ورفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات وهو لا يلائم الظاهر الآية
وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه او اعتمره واعتكف دونه وطاف حوله
حال من المستكن في الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة كما قال فيه
ايات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضواري السباع لا تخالط الصيود
في الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى
مقام ابرهيم مبتدا محذوف خبره اي منها مقام ابرهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان
على ان المراد بالايات اثر القدم في الصخرة الصما وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار
وابقاه دون سائر الانبيا وحفظه مع كثرة اعدائه الفسقة ويؤيده انه قرئ اية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر
انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيها قدماه ومن دخله كان امنا
جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه في معنى امن من دخله اي ومنها امن من دخله او فيه
ايات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله اقتصر بذكرهما من الايات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام
حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما في الدارين بقاء
الاثر مدا الدهر والامن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات باحدى الحرمين بعث يوم القيمة امنا
وعند ابي حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص وغيرهما لم يتعرض له ولكن يلجا الى الخروج ولله على
الناس حج البيت قصده بالزيارة على الوجه المخصوص وقرا حمزة والكسائي وعاصم في رواية حفص حج بالكسر
وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعي انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد
اجرة من ينوب عنه وقال مالك انها بالبدن فيجب على من قدر على المشي والكسب في الطريق وقال ابو حنيفة انها بمجموع الامرين
والضمير في اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشيء فهو سبيل ومن كفر فان الله غني عن العالمين وضع كفر موضع
من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وقد اكد امر الحج في هذه الاية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه في الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد
انه حق واجب لله تعالى في رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتنبيه وتكرير وتسمية
ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغنا فانه في هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين

٣٠ ع

بدل عنه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغنا عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف
شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روي انه لما
نزل صدر الاية جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به
ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اي باياته
السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل
على ان كفرهم اقبح وانهم وان زعموا انهم يؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال ان الله شهيد
مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله
من امن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة في التقريع ونفي العذر لهم واشعارا بان كل واحد منهم من الامرين مستقبح
في نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المامور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون
المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من التعادي والتحارب ليعودوا
لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اي باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا
على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا يفتنون
المؤمنين ويحرشون بينهم حتى اتوا الاوس ونحوهما او بان يحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء
انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال وانتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا
وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر في الاية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد
ولما كان في هذه الاية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت في نفر
من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي فغاظه تالفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود
ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر في ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا
وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
وقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا
انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم بنفسه بعد ما امر الرسول ان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا
بانهم هم الاحق بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله
انكار وتعجب لكفرهم في حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر ومن يعتصم بالله
ومن يتمسك بدينه او يلتجي اليه في مجامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالواجب والاجتناب
عن المحارم كقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا
يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة عليها وفي هذا الامر تاكيد
للنهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال

اوغيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والى القيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا
بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعارة له الحبل من حيث
ان التمسك به سبب النجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي وللوثوق به والاعتماد
عليه والاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف
بينكم كاهل الكتاب او ولا تتفرقوا تفرقكم الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او ولا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل
الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التآلف وزوال
الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا
متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت
الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفاها الله بالاسلام والف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وكنتم
على شفا حفرة من النار مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار
فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او النار او للشفا وتانيثه لتانيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة
فان شفا البير وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك
مثل ذلك التبيين يبين الله لكم آياته دلايله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض
لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للمتصدي له شروط لا يشترك فيها
جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم
ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه راسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما فيه فرض كفاية او للتبيين
بمعنى وكونوا امة يامرون كقوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء
الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله
واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلاة والسلام سئل عن خير الناس فقال
آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم والامر بالمعروف يكون واجبا ومندوبا على حسب
ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله وجميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه
يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود
والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات
الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون
الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وكقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطا
فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور
بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه
وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة
القول اي فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان
بالنظر في الدلايل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم
واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها ان المؤمن
وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم
لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستيناف
للتاكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها
عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا
يحق عليه شيء فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شيء فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات
وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى
ولم يدل على انقطاع طرا كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح او فيما بين الامم المتقدمين
اخرجت للناس اظهرت لهم تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استيناف بين به كونهم
خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما يجب ان يؤمن به لان الايمان به انما يحق ويعتد
به اذا حصل الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا
بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها
تقتضي كونهم آمرين بكل معروف ناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم
على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغي لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه
منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة
والتي بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد
وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم
او يدفع باسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدبرة عليهم ثم اخبر
بانه يكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخي فيكون عدم النصر مقيدا
بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التي وافقها الواقع اذ كان ذلك حال قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر
ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا
بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اي ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال
الا معتصمين او متلبسين بذمة الله او كتابه الذي اتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل
المؤمنين وباؤوا بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهي محيطة بهم
احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء مساكين ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب
الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
بسبب كفرهم بالآيات وقتلهم الانبياء ذلك اي الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب
عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغاير يفضي الى الكباير والاستمرار عليها يؤدي
الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة في الدنيا واستيجاب الغضب في الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم

وهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء في المساوي والضمير
لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استيناف لبيان نفي الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة
من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله وهم يسجدون يتلون القران
في تهجدهم وعبر عنه بالتلاوة في ساعات الليل مع السجود ليكون ابلغ وابين في المدح وقيل المراد صلاة العشا
لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روي انه عليه السلام اخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال
اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات صفات اخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت
في اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين بالله مشركون بالله ملحدون في صفاته واصفون اليوم الاخر
بخلاف صفته مداهنون في الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اي الموصوفون
بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وما تفعلوا من خير فلن تكفروه فلن
يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمي ذلك كفرا كما سمي توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه
معنى الحرمان وقرا حفص وحمزة والكسائي فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم
واشعار بان التقوى مبدا الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن
تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغنى فيكون مصدرا واولئك
اصحاب النار هم ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون مثل ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة
او المنافقون رياء وخوفا في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة
كالصرصر فهو في الاصل مصدر نعت به او نعت وصف به البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث
قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه
ما انفقوا في ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما في الدنيا والاخرة وهو
من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك
ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اي ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم
ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما
استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشان لانه لا يحذف الا في الشعر
كقوله ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي
يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار
والناس دثار من دونكم لا يالونكم خبالا لا يقصرون لكم في الفساد والالو التقصير واصله
ان يعدى بالحرف وعدي الى المفعولين كقولهم لا الوك نصحا على تضمين معنى المنع والنقص ودوا ما عنتم
تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اي في كلامهم
لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار
قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المومنين ومعاداة الكافرين ان كنتم
تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستانفات على التعليل ويجوز ان يكون الثلاث الاول صفة

لبطانة

لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اي انتم اولاء المخاطبون في موالاة الكفار وتحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر انتم كقولك انت زيد
تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب باولاء بفعل يفسره ما بعده ويكون الجملة
خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال
انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم
في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ
من اجله تاسفا وتحسرا لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ
وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في
صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اي وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما يخفونه
من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم
فان من ضمايرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان
لتناهي عداوتهم اي تحسد وا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار
للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم
لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب
بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرا ابن كثير ونافع
وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
اي محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اي بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت
اي واذكر اذ غدوت من اهلك من حجرة عائشة تبوئ المومنين تنزلهم او تسوي وتهيئ لهم ويؤيده
القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع
كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روي ان
المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصحابه وقد دعا عبد الله بن ابي ولم يدعه قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر
محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم
الى الخروج فقال عليه السلام رايت في منامي بقرا مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته
هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال
رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما راوا ذلك
ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج
بعد صلوة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى
صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من وراءنا اذ همت طائفتان متعلق
بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر

أن تفشلا ان تجبنا وتضعفا روي انه عليه السلام خرج في زهاء الف رجل ووعدلهم النصر ان صبروا
فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابي في ثلث الناس وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري وقال
انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال ابن ابي لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله والله وليهما اي عاصمهما من اتباع تلك الخطرة
ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما يفشلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اي فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا
على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ما بين مكة والمدينة
كان لرجل يسمى بدرا وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال
وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله في الثبات لعلكم تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره ولعلكم ينعم الله
عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت
على ان قوله لهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك
وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا
بالف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة الاف ثم صاروا خمسة وقرا ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او التدريج
بلى ايجاب لما بعد لن اي بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال
ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اي المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو في الاصل مصدر فارت
القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحالة التي لا ريث فيها ولا تراخي والمعنى ان ياتوكم في الحال يمددكم
ربكم بخمسة الاف من الملائكة في حال اتيانهم بلا تراخ وتأخر مسومين معلمين من التسويم الذي هو
اظهار سيماء الشيء لقوله عليه السلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى
الاسامة وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم الا بشرى
لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله
لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة في نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعدهم به بشارة لهم وربطا على
قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحث على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذي لا يغالب
في قضيته الحكيم الذي ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا
من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض
واسر اخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت
شدة غيظ او وهن يقع في القلب واو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعي الامال
ليس لك من الامر شيء اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله
مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما
انت منذر مأمور بانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شيء باضمار ان اي ليس لك من امرهم او من
التوبة او من تعذيبهم شيء او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اي ليس لك
من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روي ان عتبة بن ابي وقاص شجه يوم احد

كسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل
هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون فقد استحقوا التعذيب بظلمهم
ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فله الامر كله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا
تبادروا الى الدعاء عليهم يا ايها الذين امنوا لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة لا تزيدوا زيادات
مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه زيادة اخرى حتى يستغرق
بالشيء الطفيف مال المديون وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم
عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم
وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكفار وبالعرض للعصاة واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة
ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة
من ربكم الى ما تستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة
عرضها السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين
هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة مادحة
للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حال الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان
لا يخلو عن مسرة او مضرة اي لا يخلون في حال بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ
اي الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت القربة اذا ملأتها وسددت راسها وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه ايمانا وامنا والعافين
عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي
قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته
هؤلاء والعهد فيكون اشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا
انفسهم بان اذنبوا اي ذنب وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم
بالعزم والتوبة ومن يغفر الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار والوعد بقبول التوبة ولم يصروا
على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين كقوله عليه السلام ما اصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به
وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة
للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا تدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم ان لا يدخلها غيرهم

وتنكير جنات على الاول ليدل على ان ما لهم ادون ما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الاية المتقدمة وكفاك
فارقا بين القبيلين انه فصل ايتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل انه هولاء بقوله **ونعم اجر العاملين** لان المتدارك لتقصيره كالعامل
لتحصيل بعض ما فوت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزاء
بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات **قد خلت
من قبلكم سنن** وقايع سنها الله في الامم المكذبة كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل
وقيل امم قال الماعز الناس من فضل كفضلكم ولا ارى مثله في سالف السنن **فسيروا في الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين** ليعتبروا بما ترون من اثار هلاكهم **هذا بيان للناس وهدى
وموعظة للمتقين** اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو
زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والعاملين وقوله قد خلت اعتراض للبعث
على الايمان والتوبة وقيل الى القران **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا
عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** وحالكم انكم اعلى منهم شانا فانكم على الحق وقتالكم لله
وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم
او انتم الاعلون في العاقبة فتكون بشارة لهم بالنصر والغلبة **ان كنتم مومنين** متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح
ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون **ان يمسسكم قرح فقد مس القوم
قرح مثله** قرا حمزة والكسائي وابن عباس عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف
وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا
ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المثلين كان يوم احد فان المسلمين
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول **وتلك الايام نداولها بين الناس** نصرفها بينهم نديل لهولاء تارة ولهولاء
اخرى كقوله فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر والمداولة المناورة يقال داولت الشي بينهم فتداولوه والايام
يحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة **وليعلم الله الذين امنوا**
عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وانما نصب
المومن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين
على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثال ذلك ونقايضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم
ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو العلم بالشي موجودا **ويتخذ منكم
شهداء** ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم الثبات
والصبر على الشدايد **والله لا يحب الظالمين** الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض
فيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمومنين
وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت الدولة عليهم **ويمحق الكافرين**
ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشي قليلا قليلا **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** بل احسبتم ومعناه
الانكار **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** ولما تجاهدوا والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل

وقرى يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون **ويعلم الصابرين** نصب باضمار ان على ان الواو
للجمع وقرى بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون
الموت** اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا
ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد
على الخروج **من قبل ان تلقوه** من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته **فقد رايتموه وانتم
تنظرون** اي فقد رايتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وتوبيخ لهم على انهم تمنوا
الموت وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار **وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل** فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل **افان مات او
قتل انقلبتم على اعقابكم** انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت
او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة للانكار اي تجعلون
خلو الرسل قبله سببا لانقلابكم على اعقابكم بعد وفاته روي انه لما رمى عبد الله بن قمية الحارثي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وكان صاحب الراية
حتى قتله ابن قمية وهو يرى انه قتل النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان
محمدا قد قتل فانكفا الناس وجعل الرسول يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى
كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان فقال ناس
من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم وقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم
اني اعتذر اليك مما يقولون وابرا منه وشد سيفه فقاتل حتى قتل فنزلت **ومن ينقلب على عقبيه
فلن يضر الله شيا** بارتداده بل يضر نفسه **وسيجزي الله الشاكرين** على نعمة الاسلام بالثبات
عليه كانس واضرابه **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** الا بمشية الله تعالى او باذنه لملك
الموت في قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى في علمه تعالى وقضايه لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول
بالحفظ وتاخير الاجل **كتابا** مصدر موكد اذ المعنى كتب الموت كتابا **مؤجلا** صفة له اي موقتا لا يتقدم
ولا يتاخر **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض بمن شغلتهم الغنايم يوم احد فان المسلمين حملوا
على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما راى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز
المشركون **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها** اي من ثوابها **وسنجزي الشاكرين** الذين
شكروا النعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد **وكاين** اصله اي دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى
كم والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس وقرا ابن كثير وكاين ككاعن ووجهه انه قلب
قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملي في لعمري فصار كيان ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى
الفا كما ابدلت من طائي **من نبي** بيان له **قاتل معه ربيون كثير** ربانيون علماء اتقياء او عابدون
لربهم وقيل جماعة والربي منسوب الى الربة وهي الجماعة للمبالغة وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب

قتل واسناده الي ربيون حال عنه او الضمير للنبي ومعه ربيون حال عنه ويويد الاول انه قري بالتشديد
وقري ربيون بالفتح علي الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله فما تفتروا ولم ينكسر جدهم لما اصابهم من قتل النبي او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او
في الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه
ليفعل به ما يريد والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان يكون لمن يخضع
له وهذا تعريض لما اصابهم عند الارجاف بقتله صلي الله عليه وسلم والله يحب الصابرين فينصرهم
ويعظم قدرهم وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا
وثبت اقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين اي وما كان قولهم مع ثباتهم وقوتهم في الدين
وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الي انفسهم هضما لها واضافة لما
اصابهم الي سوء اعمالهم والاستغفار عنها ثم طلب التثبت في مواطن الحرب والنصر علي العدو ليكون عن
خضوع وطهارة فيكون اقرب الي الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان ان قالوا اعرف لدلالته علي جهة النسبة
وزمان الحدث فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين فاتاهم الله بسبب
الاستغفار واللجا الي الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر في الدنيا والجنة والنعيم في الاخرة وخص ثوابها بالحسن
اشعارا بفضله والمعتد به عند الله يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي
اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت في المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الي دينكم واخوانكم
ولو كان محمد نبيا لما قتل وقيل ان تستكينوا الي ابي سفين واشياعه وتستامنوهم يردوكم الي دينهم وقيل عام
في مطاوعة الكفار والنزول علي حكمهم فانه يستجر الي موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقري بالنصب علي تقدير
بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقي في قلوب الذين
كفروا الرعب يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتي تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادي ابو سفين
يا محمد موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا
ان يعودوا عليهم ليستاصلوهم فالقي الله الرعب في قلوبهم وقرا ابن عامر والكسائي ويعقوب بالضم علي الاصل في كل
القران بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم ما لم ينزل به سلطانا اي الهة ليس علي اشراكها حجة ولم ينزل به
عليهم سلطانا وهو كقوله ولا تري الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة
لحدة اللسان وماواهم النار وبئس مثوي الظالمين اي مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل
ولقد صدقكم الله وعده اي وعده بالنصر بشرط التقوي والصبر وكان كذلك حتي خالف الرماة
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسيف حتي انهزموا والمسلمون علي اثارهم
اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتي اذا فشلتم جبنتم وضعف رايكم او ملتم الي الغنيمة
فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم في الامر يعني اختلاف الرماة حتي انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا
وقال الاخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم في نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعني
بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو
امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز الي الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة وهم الثابتون محافظة علي

امر الرسول

امر رسول الله ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتي حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم علي المصائب ويمتحن ثباتكم
علي الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم علي المخالفة والله ذو فضل علي المومنين
يتفضل عليهم بالعفو او في الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم
او ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد في الارض يقال اصعدنا من مكة الي المدينة ولا تلوون
علي احد لا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا رسول الله
من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخري فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم
ولا ما اصابكم عطف علي صرفكم والمعني فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح
وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلي الله عليه وسلم بعصيانكم
له لتتمرنوا علي الصبر في الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد علي نفع فائت ولا ضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعني لتاسفوا علي
ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلي ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير في فاثابكم للرسول اي فاساكم
في الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم علي عصيانكم تسلية لكم لئلا تحزنوا علي ما فاتكم من النصر
ولا علي ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم
امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتي اخذكم النعاس وعن ابي طلحة غشينا النعاس في المصاف حتي
كان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه والامنة الامن نصب علي المفعول ونعاسا بدل منها
او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعني ذوي امنة او علي انه جمع امن
كبار وبررة وقري امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن يغشي طائفة منكم اي النعاس وقرا حمزة
والكسائي بالتاء ردا علي الامنة والطائفة المومنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
اوقعتهم في الهموم او ما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية
صفة اخري لطائفة او حال او استيناف علي وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب علي المصدر اي يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدل له وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها
يقولون اي لرسول الله وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شيء هل لنا مما امر الله ووعد من النصر
والظفر نصيب قط وقيل اخبر ابن ابي بقتل بني الخزرج فقال ذلك والمعني انا منعنا تدبير انفسنا وتصريفها
باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شيء او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شيء قل ان الامر كله لله
اي الغلبة الحقيقية لله ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو
اعتراض وقرا ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع علي الابتداء يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون
اي يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اي في انفسهم واذا
خلا بعضهم الي بعض وهو بدل من يخفون او استيناف علي وجه البيان له لو كان لنا من الامر شيء كما وعد
محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان راي ابي وغيره ما قتلنا
ههنا ما غلبنا ولما قتل من قتل منا في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال
الي مضاجعهم اي لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب في اللوح المحفوظ الي مصارعهم ولم تنفع الاقامة
بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبرها في سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلي الله ما في صدوركم

ليمتحن ما في صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اي وفعل ذلك ليبتلي او
عطف على محذوف اي لبرز لنفاذ القضا او لمصالح جمة وللابتلا او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما في قلوبكم
وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد
ووعيد وتنبيه على انه غني عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمرين المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا
منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعني ان الذين انهزموا يوم
احد انما كان السبب في انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة
او الحياة فمنعوا التاييد وقوة القلب لمخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب
ذنوب تقدمت لهم فان المعاصي يجر بعضها بعضا وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم وكرهوا القتل قبل اخلاص
التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفى عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل
بعقوبة المذنب كي يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين وقالوا
لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوانهم اتفاقهم في النسب والمذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها
وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جا على حكاية الحال الماضية او كانوا غزا
جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين
به ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا
ولا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي
ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت
المقيم والقاعد والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء
على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرا نافع وحمزة والكسائي
بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء
والمعنى ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة
والرحمة بالموت خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم يموتوا وقرا حفص بالياء ولئن متم او قتلتم على اي وجه
اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى
غيره لا محالة تحشرون فيوفي جزاكم ويعظم ثوابكم وقرا حمزة ونافع والكسائي متم فبما رحمة من الله لنت
لهم اي فبرحمة وما مزيدة للتاكيد والتنبيه والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه
على جاشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا سيء الخلق جافيا غليظ القلب
قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر
لهم فيما لله وشاورهم في الامر اي امر الحرب فان الكلام فيه او فيما يصح ان يشاور فيه استظهارا برايهم
وتطييبا لانفسهم وتمهيدا لسنة المشاورة للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شي بعد المشاورة
فتوكل على الله في امضا امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا عزمت لك على شي وعينته
لك فتوكل على الله ولا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم

احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم
وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل وتحريض على ما يستحقون به النصر وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وامنوا به وما كان لنبي
ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي الخيانة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل
اغلالا اذا اخذه في خفية والمراد منه اما براءة الرسول عما اتهم به اذ روي ان قطيفة حمرا فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا نخشى
ان يقول الله من اخذ شيئا فهو له ولا تقسم الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول على ما روي انه بعث طلايع فغنم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلايع فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين
غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرا نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البنا للمفعول والمعنى
وما صح له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة يات بالذي غله
يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزا ما كسبت
وكان اللايق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب ولكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه
فانه اذا كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب
مطيعهم ولا يزاد عذاب عاصيهم افمن اتبع رضوان الله بالطاعة كمن باء رجع بسخط من الله
بسبب المعاصي وماواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة
الاولى ولا كذلك المرجع هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت في الثواب والعقاب
او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة
لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر محذوف مثل منه او بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه السلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم يتلو عليهم
اياته القران بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحي ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد والاعمال
ويعلمهم الكتاب والحكمة اي القران والسنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان كانوا من قبل بعثة الرسول في ضلال ظاهر اولما اصابتكم
مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة للجملة على ما سبق
من قصة احد او على محذوف مثل افعلتم كذا وقلتم ولما ظرفية المضاف الى اصابتكم اي حين اصابتكم مصيبة وهي
قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا
الله النصر قل هو من عند انفسكم اي مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد كان
مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن علي رضي الله عنه باختياركم الفدا يوم بدر ان الله
على كل شي قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمع المسلمين وجمع المشركين يريد به احد فباذن الله فهو كاين بقضايه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها
من لوازمه وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلا

وكفرهولاء **وقيل لهم** عطف على نافقوا داخلة في الصلة او كلام مبتدا **تعالوا قاتلوا في سبيل الله او** تقسيم الامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للاخرة او للدفع عن الانفس والاموال وقيل معناه قاتلوا الكفرة اوادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع العدو او يكسر منه **قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم** لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم وانما قالوه دغلا واستهزاء **هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان** لانخزالهم وكلامهم هذا فانه اول امارات ظهرت منهم مودة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة القول للافواه تاكيد وتصوير **والله اعلم بما يكتمون** من النفاق وما يخلو به بعضهم الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بامارات **الذين قالوا** رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم **لاخوانهم** اي لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم **وقعدوا** حال مقدر بقد اي قالوا قاعدين عن القتال **لو اطاعونا** في القعود **ما قتلوا** كما لم نقتل وقرا هشام ما قتلوا بتشديد التا **قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** اي ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن فان اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله** نزلت في شهداء احد وقيل في شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرا هشام بالياء وبالتاء ايضا كالباقين على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدا جائز الحذف عند القرينة وقرا ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين **امواتا بل احياء** اي بل هم احياء وقرئ بالنصب على بل احسبهم احياء **عند ربهم** ذوو زلفى منه **يرزقون** من الجنة وهو تاكيد لكونهم احياء **فرحين بما اتاهم الله من فضله** وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة **ويستبشرون** يبشرون بالبشارة **بالذين لم يلحقوا بهم** اي باخوانهم المؤمنين الذين لم يقاتلوا فيلحقوا بهم **من خلفهم** اي الذين من خلفهم زمانا او رتبة **الا خوف عليهم ولا هم يحزنون** من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الاخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا او قتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والاية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الاية وما روي عن ابن عباس انه عليه السلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه او احياء بالذكر او بالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن تمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين

بالفلاح

بالفلاح **يستبشرون** كرره للتاكيد وليتعلق به ما هو بيان لقوله الا خوف عليهم ويجوز ان يكون الاول لحال اخوانهم وهذا لحال انفسهم **بنعمة من الله** ثوابا لاعمالهم **وفضل** زيادة عليه لقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم **وان الله لا يضيع اجر المؤمنين** من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرا الكسائي بالكسر على انه استيناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة **الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح** صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتدا خبره **للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم** بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان ابا سفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج وطلبه وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت **الذين قال لهم الناس** يعني الركب الذين استقبلهم من عبد القيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وما له الا فرس واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه **ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم** يعني ان ابا سفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله فلما كان من القابل خرج في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان يثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا الله **فزادهم ايمانا** الضمير المستكن للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد وينقص ويعضده قول ابن عمر قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم يجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج **وقالوا حسبنا الله** محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك **ونعم الوكيل** على الموكول اليه هو **فانقلبوا** فرجعوا من بدر **بنعمة من الله** عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه **وفضل** ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا **لم يمسسهم سوء** من جراحة وكيد عدو **واتبعوا رضوان الله** الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجراتهم وخروجهم **والله ذو فضل عظيم** قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراة على العدو

بالحفظ عن كل ما يسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة منه وفضل وفيه تحسير
للمتخلف وتخطئة رايه حيث حرم نفسه ما فازوا به انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط
نعيما او ابا سفين والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته وما بعده خبر ويجوز ان يكون
الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان يعني ابليس يخوف اولياءه القاعدين
عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفين واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثاني
على الاول والى الاولياء على الثاني وخافون في مخالفة امري فجاهدوا مع رسولي ان كنتم مومنين
فان الايمان يقتضي ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه سريعا
حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك
ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيئا اي لن يضروا اولياء الله بمسارعتهم في الكفر
وانما يضرون بها انفسهم وشيئا يحتمل المفعول والمصدر وقرا نافع يحزنك بضم اليا وكسر الزاي حيث
وقع ما خلا قوله في الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح اليا وضم الزاي فيه والباقون كذلك في الكل يريد الله
الا يجعل لهم حظا في الاخرة نصيبا من الثواب في الاخرة وهو يدل على تمادي طغيانهم وموتهم على الكفر
وفي ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان
مسارعتهم لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ في الاخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب
ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم تكرير للتاكيد او تعميم للكفر
بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا
لانفسهم خطاب للرسول او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملي لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول
واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثاني
على تقدير مضاف مثل ولا يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا يحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء
خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل في الخط ولكنها وقعت متصلة في الامام فاتبع وقرا ابن
كثير وابو عمرو وعاصم والكسائي ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما في حيزه مفعول وفتح سيبويه
في جميع القران ابن عامر وعاصم وحمزة والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشانهم من املى لفرسه
اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة
واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح وكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن
الذين كفروا ان املاءنا لهم لازدياد الاثم بل للتوبة والدخول في الايمان وانما نملي لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا
لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز ان يكون حالا من الواو
اي ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز
الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين في عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف
مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحي الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التي لا يصبر عليها
ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس في سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل
به على عقائدكم وقرا حمزة والكسائي حتى يميز هنا وفي الانفال بضم اليا وفتح الميم وكسر اليا وتشديدها والباقون

بفتح

بفتح اليا وكسر الميم وسكون اليا وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من
رسله من يشاء وما كان الله ليؤتي احدكم علم الغيب فيطلع على ما في القلوب من كفر وايمان ولكنه
يجتبي لرسالته من يشاء فيوحي اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله
ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموه وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون
الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحي اليهم روي ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن
منا ومن يكفر فنزلت وعن السدي انه عليه الصلاة والسلام قال عرضت علي امتي واعلمت من يؤمن بي
ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان
تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراآت فيه ما سبق ومن قرا بالتا قدر
مضافا ليطابق مفعوله اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرا بالياء ان جعل الفاعل ضمير
الرسول او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اي ولا يحسبن
البخلاء بخلهم هو خيرا لهم بل هو اي البخل شر لهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيمة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وعنه عليه السلام ما من
رجل لا يؤدي زكوة ماله الا جعل الله له شجاعا في عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات
والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه في سبيله او انه يرث منهم
ما يمسكونه ولا ينفقونه في سبيله بهلاكهم ويبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما تعملون من المنع
والاعطاء خبير فيجازيكم وقرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي بالتاء على الالتفات وهو ابلغ في الوعيد
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذي
يقرض الله قرضا حسنا روي انه عليه السلام كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم
الى الاسلام واقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازورا ان الله
فقير حين سال القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعد لهم العقاب عليه
سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي سنكتبه في صحائف الكتبة او سنحفظه في
علمنا لا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله او استهزاء بالقران والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء
وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوه وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا
القول وقرا حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب
الحريق اي وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات في الوعيد والذوق ادراك
المطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره هنا لان العذاب مرتب على قولهم
الناشي من البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف
من فقدانه ولذلك اكثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل
الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدي عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام

للعبيد عطف على ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفي الظلم يستلزم العدل المقتضي اثابة
المحسن ومعاقبة المسيء الذين قالوا هم كعب بن الاشرف وملك وحيي وفنحاص و وهب بن يهودا
ان الله عهد الينا امرنا في التورية واوصانا ان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان
تاكله النار بان لا نومن لرسول حتى ياتينا بهذه المعجزة الخاصة التي كانت لانبياء بني اسرائيل
وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار سماوية فتاكله اي تحيله الى طبعها بالاحراق
وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات
شرع في ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين
تكذيب والزام رسلا جاوهم قبلي كزكريا ويحيى بمعجزات اخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان
الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يومنوا بمن جاء به في معجزات
اخر واجترؤا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر
والكتاب المنير تسلية للرسول من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم
من زبرت الشيء اذا حسنته والكتاب في عرف القران ما يتضمن الشرايع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة
متعاطفين في عامة القران وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرا ابن عامر وبالزبر وهشام
بالكتاب باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد
للمصدق والمكذب وقري ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
وانما توفون اجوركم تعطون جزاء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم
من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويويده قوله عليه السلام القبر روضة من
رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة في الاصل تكرير الزح وهو
الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة وقيل المراد بالفوز الظفر بالبغية وعن النبي صلى الله عليه وسلم
من احب ان يتزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس
ما يحب ان يوتى اليه وما الحيوة الدنيا اي لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع
الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهي له متاع بلاغ
والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اي والله لتختبرن في اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبه
من الافات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب
ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء
الرسول والطعن في الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر
والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله
فان ذلك يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التي يجب العزم عليها او مما
عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم في الاصل ثبات الراي على الشيء نحو امضائه واذ اخذ الله اي اذكر
وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه
حكاية لمخاطبتهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عباس بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذي

نابذ عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اي الميثاق وراء ظهورهم
فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله
نصب عينيه والقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها
فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار
وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا ولا تحسبن
الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمومنين والمفعول الاول الذين يفرحون
والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتمان الحق
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة بمنجاة من العذاب اي
فايزين بالنجاة منه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لا يحسبن بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني
على ان الذين فاعل ومفعولي يحسبن محذوف فان يدل عليهما مفعولا اتوا وكانه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا
فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا يحسبنهم تاكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول
ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روي انه عليه السلام سال اليهود عن شيء مما في التورية فاخبروه بخلاف ما كان فيه
واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة
في التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت في المنافقين فانهم يفرحون بنفاقهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذي
لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير فيقدر
على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب لدلايل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوي العقول
المجلوة الخالصة عن شوايب الحس والوهم كما سبق في سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة
في هذه الاية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون في ذات الشيء
كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
اي يذكرونه دايما على الحالات كلها قايمين وقاعدين ومضطجعين وعنه صلى الله عليه وسلم من احب ان
يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه السلام
لعمران بن حصين صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء وهو حجة للشافعي في ان المريض
يصلي مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه ويتفكرون في خلق السموات والارض
استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه السلام لا عبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود
من الخلق وعنه عليه السلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع راسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد
ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله
ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اي يتفكرون قائلين ذلك وهذه اشارة الى المتفكر فيه او للخلق
على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضايعا من غير حكمة

بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدا لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحيوة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما تقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته غاية الاخزاء ونظيره قولهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم سبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصر نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشانه والمراد به الرسول وقيل القران والنداء والدعاء ونحوهما تعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان امنوا بربكم فامنا اي بان امنوا فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مختصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك اي ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سال ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين بسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيمة بان تعصمنا عما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المومن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شانها وفي الاثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم اي طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اي باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد والاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى اخره تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك والاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرا حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحونها ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اي اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب

للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته او تثبيته على ما كان عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة المسبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المومنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدا محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من طعام وشراب وصلة قال ابو السعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيها الظرف وقيل انه مصدر موكد والتقدير انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى واسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعده في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التامل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله في الصبر على شدائد الحروب واعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للعدو وانفسكم على الطاعة قال عليه السلام من الرباط انتظار الصلوة بعد الصلوة وعنه رباط يوم وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوه بالتبري عما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او اتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاث المرتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلوة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي ادم

وخلق منها زوجها عطف على خلقكم من شخص واحد وخلق منها امكم حوي من ضلع من اضلاعه وبحذف
تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقدير انفسهم واحده وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والروح المخلوقة منها بنين وبنات كثيره
واكتفي بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكون اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب
الامر بالتقوي على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشي والنعمة الباهرة
التي توجب طاعة موليها اولان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهله منزله وبني جنسه على ما دلت
عليه الايات التي بعدها وقرى وخالق وباث على حذف مبتدا وتقديره وهو خالق وباث واتقوا الله الذي
تساءلون اي يسال بعضهم بعضا فيقول اسئلك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية في السين
وقرا عاصم وحمزة والكسائي بطرحها والارحام بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرو
او على الله اي اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرا حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف
لانه كبعض الكلمة وقري بالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما يتقي او يتساءل به
وقد نبه سبحانه ان قرن الارحام باسمه على صلتها بمكان منه وعنه عليه السلام الرحم متعلقة بالعرش
تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا حافظا مطلعا
وآتوا اليتامى اموالهم اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذي مات ابوه من اليتم وهو الانفراد
ومنه الدرة اليتيمة اما على انه جرى مجرى الاسما كفارس وصاحب جمع على يتايم ثم قلب فقيل يتامى او على
انه جمع على يتمي كاسري لانه من باب الافات ثم جمع يتمي على يتامى كاسري واسارى والاشتقاق يقتضي وقوعه
على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ ووروده في الاية اما على البلغ على الاصل والاتساع او
لقرب عهدهم بالصغر لقرب ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم
الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا ولغير البالغ والحكم مقيد وكانه قال واتوهم اذا بلغوا ويؤيد
الاول ما روي ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت
فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم او الامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب
الذي هو حفظها وقيل ولا تاخذوا الرفيع من اموالهم وتضعوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس
بتبديل ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ولا تاكلوها مضمومة الى اموالكم اي ولا تنفقوها
ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف
انه الضمير للاكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما وقري حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا
كقال قولا وقالا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء
اي ان خفتم ان لا تعدلوا في يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل
يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم
ان لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم
الوفا بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغي ان يتحرج الذنوب كلها على ما روي انه تعالى لما عظم امر اليتامى

تخرجوا

تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من
ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنا فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا في امر اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا
ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة واجرائهن مجرى غير العقلا لنقصان عقلهن ونظيره
او ما ملكت ايمانهم وقرى تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اي ان خفتم ان تجوروا مثنى وثلاث
ورباع معدولة عن اعداد مكررة هي ثنتين ثنتين وثلاث ثلاث واربع اربع غير منصرفة للعدل
والصفة فانها صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرار العدل فانها معدولة باعتبار
الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناه الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء
من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة
ثلاثة فلو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز
الاختلاف في العدد وان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد ايضا فواحدة فاختاروا فانكحوا
واحدة وذروا الجمع وقري بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فلتكفكم واحدة او فالمقنع
واحدة او ما ملكت ايمانكم سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السراري لخفة مؤنتهن
وعدم وجوب القسم بينهن ذلك اي التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا
اقرب ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام
المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة
المؤنة على الكناية ويؤيده قراءة ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج
وان اريد الاولاد فلان التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج بجواز العزل فيهن كتزوج الواحدة
بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقري بفتح الصاد وسكون الدال
على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل
كظلمة في ظلمة نحلة عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض
ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الاية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر
لانها في معنى الايتا او الحال عن الواو او الصدقات اي اتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى
نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فيكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان
به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم
كانوا ياخذون مهور موليتهم فان طبن لكم عن شيء الضمير للصداق حملا على المعنى او جرى
مجرى اسم الاشارة كقوله رؤبة في قوله كانه في الجلد توليع البهق اردت كان ذلك وقيل للايتا ونفسا
تمييز لبيان الجنس ولذلك وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة
طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه نعتا لهن على تبعيض الموهوب
فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ
اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل
الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يقبل احدهم من زوجته

شياء مما صار اليها فنزلت **ولا تؤتوا السفهاء اموالكم** نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين
لا رشد لهم فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملايم للايات
المتقدمة والمتاخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر
الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق
لقوله **التي جعل الله لكم قياما** اي تقومون بها وتتعيشون وعلى الاول تاول بانها التي
من جنس ما جعل الله لكم قياما سمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما
وهو ما يقام به **وارزقوهم فيها واكسوهم** واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا
فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه **وقولوا لهم قولا معروفا** عدة جميلة تطيب بها نفوسهم
والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه **وابتلوا اليتامى** اختبروهم
قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه
مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه **حتى اذا بلغوا النكاح** حتى اذا
بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه السلام اذا استكمل
المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثمانية عشر عند ابي حنيفة وبلوغ
النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده **فان انستم منهم رشدا** فان ابصرتم منهم
رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم **فادفعوا اليهم اموالهم** من غير تاخير عن حد البلوغ ونظم
الاية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء وكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه
لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع المال اليه وان لم يؤنس
الرشد **ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا** مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم
ومبادرتكم كبرهم **ومن كان غنيا فليستعفف** من اكلها **ومن كان فقيرا فلياكل
بالمعروف** بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان
الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه السلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما اآكل من ماله
قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تاكلوها
يدل على انه نهي للاولياء ان ياخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى **فاذا دفعتم اليهم
اموالهم فاشهدوا عليهم** بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد من الخصومة ووجوب
الضمان فظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب
مالك خلافا لابي حنيفة **وكفى بالله حسيبا** محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا
ما حد لكم **للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما
ترك الوالدان والاقربون** يريد بهم المتوارثين بالقرابة **مما قل منه او كثر** بدل
مما ترك باعادة العامل **نصيبا مفروضا** نصب على المصدرية مؤكد كقوله فريضة من الله

اوحال

او حال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا وعلى الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه
دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه وروي ان اوس بن الصامت الانصاري خلف
زوجته ام كجة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة
الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة
فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر
ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا يفرقا من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين
حتى بين فنزلت يوصيكم فاعطى ام كجة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابني العم وهو دليل على جواز تاخير
البيان عن الخطاب **واذا حضر القسمة اولوا القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه** فاعطوهم شيئا من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم وهو امر ندب
للبالغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة **وقولوا
لهم قولا معروفا** وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم **وليخش الذين لو تركوا
من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** امر للاوصياء بان يخشوا الله ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا
بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم بعد وفاتهم او للحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا
على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضربهم بصرف المال عنهم او للورثة
بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم
بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية
ولو بما في حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا
ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث
على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد للمخالف بحال اولاده **فليتقوا الله وليقولوا
قولا سديدا** امرهم بالتقوى التي هي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدا والمنتهى
اذ لا ينفع الاول دون الثاني ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولوا لاولادهم في الشفقة وحسن الادب
او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضر
القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا في الوصية ما لا يؤدي الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم **انما ياكلون في بطونهم** ملء
بطونهم **نارا** ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابي برزة انه قال عليه السلام يبعث الله قوما من قبورهم
تتاجج افواههم نارا فقيل من هم قال الم تر ان الله يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم
نارا **وسيصلون سعيرا** سيدخلون نارا واي نار وقرا ابن عامر وابن عباس عن عاصم بضم الياء مخففا
وقرئ به مشددا يقال صلي النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته القيته فيها
والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا الهبتها **يوصيكم الله** يامركم ويعهد اليكم **في
اولادكم** في شان ميراثهم وهو اجمال تفصيل **للذكر مثل حظ الانثيين** اي يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع
الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه

على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية وقد اشتركا في الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به
فان كن نساء اي ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل
المولودات **فوق اثنتين** خبر ثان او صفة للنساء اي نساء زائدات على اثنتين **فلهن ثلثا**
ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى **وان كانت واحدة فلها النصف** اي وان كانت
المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة
لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل
حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان يقتضي ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد
النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة
لما استحقت الثلث مع اخيها فالحري ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين امس رحما من الاختين
وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك **ولابويه** ولابوي الميت **لكل واحد منهما**
بدل منه بتكرير العامل وفائدته التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيد
السدس مما ترك ان كان له للميت **ولد** ذكر او انثى غير ان الاب يأخذ السدس مع الانثى
بالفريضة وما بقي من ذوي الفروض ايضا بالعصوبة **فان لم يكن له** للميت **ولد وورثه**
ابواه فحسب **فلامه الثلث** مما ترك وان لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط
وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وكأنه قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغي ان يكون لها حيث
معهما احد الزوجين ثلث ما بقي من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضي الى تفضيل
الانثى على الذكر المساوي لها في الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع **فان كان له اخوة فلامه السدس**
فاطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب وعن ابن عباس
انهم يأخذون السدس الذي حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث
سواء كان من الاخوة او الاخوات الخلص وقال ابن عباس لا تحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائي فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التي قبلها **من بعد وصية**
يوصي بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اي هذه الانصباء للورثة من بعد ما
كان من وصية او دين وانما قال باو التي للاباحة دون الواو للدلالة على انهما متساويان في الوجوب متقدمان
على القسمة مجموعين ومفردين وقدم الوصية على الدين وهي متأخرة في الحكم لانها مشتبهة بالميراث
شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح
الصاد **اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا** اي لا تعلمون من انفع
لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم في عاجلكم واجلكم فتحروا فيهم ما وصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل
بعض وحرمانه روي ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الاخر في الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع
بشفاعته او من مورثيكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر
عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او تنفيذ الوصية **فريضة من الله** مصدر مؤكد او مصدر
يوصيكم الله لانه في معنى يأمركم ويفرض عليكم **ان الله كان عليما** بالمصالح والتدبير **حكيما**

فيما قضى وقدر **ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن**
ولد فلكم الربع مما تركن اي ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم **من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما**
تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية
توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما للمرأة كما في النسب وهكذا القياس
في كل رجل وامرأة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن **وان كان رجل** اي الميت **يورث** اي يورث منه من ورثه
صفة رجل **كلالة** خبر كان او يورث خبر وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف ولدا ولا والدا او
له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من
ليس بوالد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعاني الثلاثة وعلى الاول
خبر او حال وعلى الثاني مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهو في الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى
فآليت لا ارثي لها من كلالة ولا من حفى حتى تلاقي محمدا فاستعيرت لقرابة ليست بالعصبة لانها كالة
بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذي كلالة كقولك فلان من قرابتي **او امرأة**
عطف على رجل **وله** اي وللرجل فاكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه **اخ**
او اخت اي من الام ويدل عليه قراءة ابي وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر في اخر
السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وانما قدرها هنا فرض الام
فناسب ان يكون لاولادها **فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء**
في الثلث سوى بين الذكر والانثى في القسمة لخصص فيه بالاجماع **من بعد وصية يوصى بها**
او دين غير مضار اي غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية
دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور في هذه القراءة والمدلول
عليه بقوله يوصي على البناء للمفعول في قراءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم **وصية**
من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده ان قرئ غير مضار وصية
بالاضافة اي لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد
بالاسراف في الوصية والاقرار الكاذب **والله عليم** بالمضار وغيره **حليم** لا يعاجل بعقوبته
تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في امر اليتامى والوصايا والمواريث **حدود الله** شرائعه
التي هي كالحدود المحدودة لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري**
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير في يدخله وجمع خالدين
للفظ والمعنى وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر
صائدا به غدا وكذلك خالدا وليسا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير
من هما له **واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم** اي يفعلنها يقال اتى الفاحشة الزانية فيها

وشناعتها فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال
المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن في البيوت فاسكوهن في البيوت واجعلوهن
سجنا عليهن حتي يتوفاهن الموت يستوفي ارواحهن الموت او يتوفاهن ملايكة الموت
قيل كان ذلك عقوبتهن في اوايل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن
بعد ان يجلدن كيلا يجري عليهن ما جري بسبب الخروج والتعريض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله
الزانية والزاني او يجعل الله لهن سبيلا لتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغني عن السفاح
واللذان ياتيانها منكم يعني الزاني والزانية وقرا ابن كثير واللذانّ بتشديد النون وتمكين مد الالف
والباقون بالتخفيف من غير تمكين فاذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعيير والجلد فان تابا واصلحا
فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذا او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما
علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الاية سابقة علي الاولي نزولا وكان عقوبة الزناة الاذي
ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولي في السحاقات وهذه في اللواطين والزانية والزاني في الزناة انما التوبة
علي الله اي قبول التوبة كالمحتوم علي الله بمقتضي وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون
السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصي الله
فهو جاهل حتي ينزع من جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اي قبل حضور الموت كقوله تعالي
حتي اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه السلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان
امد الحيوة قريب لقوله تعالي قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب في قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم
الرجوع ومن للتبعيض اي يتوبون في اي جزء من الزمان القريب الذي هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت
او يزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفا وعد به وكتب علي نفسه بقوله انما التوبة علي الله
وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم في التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التايب وليست التوبة
للذين يعملون السيات حتي اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين
يموتون وهم كفار مسوفين من سوف التوبة الي حضور الموت من الفسقة والكفار ومن نات
علي الكفر في نفي التوبة للمبالغة في عدم الاعتداد بها في تلك الحالة وكانه قال وتوبة هولاء وعدم توبة
هولاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيات المنافقون
لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تاكيد لعدم
قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متي شاء والاعتداد التهيئة من العتاد وهو
العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولي تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان
ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القي ثوبه علي امراته وقال انا احق بها ثم ان
شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها ليفتدي بها ورثت
من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تاخذوهن علي سبيل الارث فتزوجوهن كارهات لذلك
او مكروهات عليه وقرا حمزة والكسايي كرها بالضم في مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح
ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن عطف علي ان ترثوا ولا لتاكيد

النفي اي ولا تمنعوهن من التزويج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب
مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة حتي يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل تم الكلام
بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالنشوز
وعدم العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم الظرف او المفعول له تقديره لا تعضلوهن
للافتداء الا وقت ان ياتين بفاحشة او لا تعضلوهن لعلة الا ان ياتين بفاحشة وقرا ابن كثير وابو بكر
بفاحشة مبينة في الاحزاب والطلاق بفتح اليا والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف
بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسي ان تكرهوا شيا ويجعل الله
فيه خيرا كثيرا اي فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح للدين وادني الي الخير
وعسي في الاصل علة الجزا فاقيم مقامه والمعني ان تكرهوهن فاصبروا عليهن فعسي ان تكرهوا شيا وهو
خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امراة وتزوج اخري واتيتم احداهن
اي احدي الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تاخذوا منه شيا
اي من القنطار اتاخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اي اتاخذونه باهتين واثمين
ويحتمل النصب علي العلة كما في قولك قعدت عن الحرب جبنا لان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم الماثم قيل
كان الرجل منهم اذا اراد جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتي يلجيها الي الافتدا منه بما اعطاها ليصرفه
الي تزويج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل
الباطل ولذلك فسر هاهنا بالظلم وكيف تاخذونه وقد افضي بعضكم الي بعض
انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم
ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شانهن بقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله
واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها اباؤكم
وانما ذكر ما دون من لانه اراد به الصفة وقيل ما مصدرية علي ارادة المفعول من المصدر من النساء
بيان لما نكح علي الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعني اللازم للنهي وكانه قيل تستحقون
العقاب بنكاح ما نكح اباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب
فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب والمعني ولا تنكحوا حلايل ابايكم الا ما قد سلف ان امكنكم
ان تنكحوه وقيل الاستثناء منقطع ومعناه ولكن ما قد سلف فانه لا مواخذة عليه لا انه مقرر انه
كان فاحشة ومقتا علة للنهي اي ان نكاحهن كان فاحشة عند الله فما رخص فيه لامة من الامم
ممقوتا عند ذوي المروات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وسا سبيلا سبيل من يراه
او يفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم
وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن
ولانه المتبادر الي الفهم كتحريم الاكل في قوله تعالي حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح و
امهاتكم يعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها

وان سلفت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد
من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات
الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى **وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة**
نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب
باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذى در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم
من النسب واستثنى اخت ابن الرجل وام اخيه من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما فى النسب بالمصاهرة
دون النسب **وامهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى**
دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن
عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المراة من آخر سمى به لانه يربه كما يرب ولده
فى غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما واللاتى بصلتها صفة لها مقيدة للفظ
والحكم بالاجماع قضية للنظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية
وان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين
عند جمهور الادباء الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى على معنى ان امهات
النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امراة فطلقها
قبل ان يدخل بها انه لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه
روى عن على تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة للنسائين لان عاملهما مختلف وفائدة
قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده
قوى الشبه بينها وبين اولادكم وصارت احقاء بان تجروها مجرى هم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء
وقد روى عن على جعله شرطا والامهات والربائب يتناولات القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم
معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤيد ما ليس بزنا كالوطى بشبهة او ملك يمين وعند ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه
كالدخول **فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** تصريح بعد اشعار دفعا للالتباس **وحلائل**
ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج **الذين من اصلابكم** احترازا عن المتبنى لا عن
ابناء الولد ولا عن الابن الرضاعى **وان تجمعوا بين الاختين** فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان
الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان
وعلى رضى الله عنهما حرمتهما آية وحللتهما آية يعنيان هذه الاية وقوله الا ما ملكت ايمانكم فرجح على التحريم وعثمان
التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك وقوله عليه السلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام
الا ما قد سلف استثناء عن لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله **ان الله كان**
غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج وقرا الكسائى
بكسر الصاد فى جميع القران غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن **الا ما ملكت ايمانكم** يريد
ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى
سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية

فاستحللناهن

فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلالا لمن يبنى بها لم تطلق
وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابى واطلاق الاية والحديث حجة عليه
كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرى كتب الله بالجمع والرفع
اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على الفعل المضمر الذى نصب
كتاب الله وقرا حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت **ما وراء ذلكم**
ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع
بين المراة وعمتها وخالتها **ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين** مفعول
له والمعنى احل لكم ما وراء ذلكم ارادة ان تبتغوا اموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين
غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا وكانه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين
او بدل مما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لابد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان
العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنا من السفح وهو صب المنى فانه الغرض
منه **فما استمتعتم به منهن** فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد
عليهن **فآتوهن اجورهن** مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع **فريضة** حال من الاجور بمعنى
مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد **ولا جناح عليكم فيما**
تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة
او من مقام او من فراق وقيل نزلت الاية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت كما روى انه
عليه السلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله
حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى به اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمراة
وتمتيعها بما يعطى وجوزها ابن عباس ثم رجع عنه رضى الله عنه **ان الله كان عليما** بالمصالح **حكيما**
فيما شرع من الاحكام **ومن لم يستطع منكم طولا** غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة **ان**
ينكح المحصنات المؤمنات فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم
ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المؤمنات يعنى الحرائر لقوله **فمن ما ملكت**
ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الاية حجة للشافعى فى تحريم نكاح الامة
على من ملك ما يجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واول ابو حنيفة طول المحصنات
بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطى وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه فى قوله
المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله على التقييد وجوز نكاح الامة لمن قدر على الحرة الكتابية
دون المؤمنة حذرا من مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور فى نكاح الامة رق الولد وما فيه من المهانة
ونقصان حق الزوج **والله اعلم بايمانكم** فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسرائر وبتفاضل
ما بينكم فى الايمان فرب امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لا فضل النسب
والمراد تانيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف عنه ويؤيده **بعضكم من بعض** انتم
وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام **فانكحوهن باذن اهلهن** يريد اربابهن

واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به الحنفية وآتوهن
أجورهن اي ادوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف به المضاف
للعلم بان المهر للسيد لانه عوض حقه فيجب ان يؤدي اليه وقال مالك المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف
بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفايف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات
أخدان اخلاء في السر فاذا أحصن بالتزويج وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بفتح الهمزة والباقون
بضم الهمزة وكسر الصاد فان أتين بفاحشة زنا فعليهن نصف ما على المحصنات يعني
الحراير من العذاب من الحد لقوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حد العبد
نصف حد الحر وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اي نكاح الاما لمن خشي العنت منكم
لمن خاف الوقوع في الزنا وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم
من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحد وهذا شرط اخر لنكاح الاما وان تصبروا خير
لكم اي وصبركم عن نكاح الاما متعففين خير لكم قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاما هلاكه
والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما يفيد كم به من الحلال
والحرام او ما خفا عنكم من مصالحكم ولييبين مفعول يريد واللام زيدت لتاكيد معنى الاستقبال
اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل
المفعول محذوف وليبين مفعول له اي يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم
مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم
الى ما يمنعكم عن المعاصي ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها
والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتاكيد والمقابلة ويريد الذين يتبعون
الشهوات يعني الفجرة فان اتباع الشهوات الايتمار لها واما المتعاطي لما سوغه الشرع منها دون
غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلون الاخوات من الاب وبنات الاخ
والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
باضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم
فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة
وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النساء هن خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا
ما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه
الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اي ولكن
كون تجارة عن تراض غير منهي عنه او قصد واكون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اي تجارة
صادرة عن تراضي المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التي يحل بها تناول مال الغير لانها
اغلب وارفق لذوي المروات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المقصود بالنهي المنع عن صرف المال

فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرا الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار
الاسم اي الا ان يكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند
او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روي ان عمرو بن العاص تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر
عليه النبي صلى الله عليه وسلم وبارتكاب ما يؤدي الى قتلها او باقتراف ما يذللها ويرديها فانه
القتل الحقيقي للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع في التوصية
بين حفظ النفس والمال الذي هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس
وتستوفي فضائلها رافة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اي امر
ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بني اسرائيل بقتل الانفس
ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل وما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا
في التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدي على الغير وبالظلم ظلم النفس
بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون
من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله او لذلك من حيث انه سبب الصلي
وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
كبائر الذنوب التي نهاكم الله ورسوله عنها وقرا ابن كثير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم
نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب عليه حد او صرح بالوعيد
فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التي حرم الله
وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس الكبائر الى سبعمائة
اقرب منها الى سبع وقيل اراد به هنا انواع الشرك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر
الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران ودعت نفسه اليهما
بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت
باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه في كثير وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرا
نافع هنا وفي الحج بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على
بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضي للمنع كونه ذريعة الى التحاسد
والتعادي معربة عن عدم الرضى بما قسم الله وانه اشبه بحصول الشركة من غير طلب وهو مذموم
لان تمنى مثل ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمني ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمني ما قدر له
بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن
بيان لذلك اي لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل
بالعمل لا بالحسد والتمني كما قال عليه السلام ليس الايمان بالتمني وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة
بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب
له واسالوا الله من فضله اي لا تتمنوا ما للناس واسالوا الله من فضله ما يقربه ويسوقه اليكم

وندخلكم مدخلا كريما

وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا الله من فضله وسلهم فسل الدين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين
واو او فا بغير همز وحمزة في الوقف علي اصله والباقون بالهمز **ان الله كان بكل شي عليما** فهو يعلم ما يستحقه
كل انسان فيفضل عليه عن علم وتبيان روي ان ام سلمة قالت يا رسول الله تغزوا الرجال ولا نغزوا وانما لنا نصف
الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت **ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون** اي ولكل تركة
جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل اي ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك علي ان
من صلة موالي لانه في معني الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استيناف مفسر للموالي وفيه
خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان
والاقربون علي ان جعلنا موالي صفة كل والراجع اليه محذوف وعلي هذا فالجملة من مبتدا وخبر **والذين**
عاقدت ايمانكم موالي الموالاة فان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولي ببعض وعن ابي حنيفة لو اسلم رجل علي يد رجل وتعاقدا علي ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث
او الازواج علي ان العقد عقد النكاح وهو مبتدا ضمن معني الشرط وخبره **فاتوهم نصيبهم** او منصوب
بمضمر تفسيره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف علي الوالدان وقوله فاتوهم جملة مسببة عن
الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالي وقرا الكوفيون عقدت بمعني عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير
المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخري **ان الله كان علي كل شي شهيدا** تهديد
علي منع نصيبهم **الرجال قوامون علي النساء** يقومون عليهن قيام الولاة علي الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقال **بما فضل الله بعضهم علي بعض** بسبب تفضيله الرجال
علي النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة
والولاية واقامة الشعاير والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة
السهم في الميراث والاستبداد بالفراق **وبما انفقوا من اموالهم** في نكاحهن كالمهر والنفقة روي
ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امراته حبيبة بنت زيد ابن ابي زهير فلطمها فانطلق
بها ابوها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فشكي فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت
فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير **فالصالحات قانتات** مطيعات لله قايمات
بحقوق الازواج **حافظات للغيب** لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج ما يجب حفظه
في النفس والمال وعنه عليه السلام خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا
غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلي الاية وقيل لاسرارهم **بما حفظ الله** بحفظ الله اياهن بالامر
علي حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر
والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقري بما حفظ الله بالنصب علي ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية
لم تكن لحفظ فاعل والمعني بالامر الذي حفظ حق الله او طاعته وهو التعفف والشفقة علي الرجال **واللاتي**
تخافون نشوزهن عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز **فعظوهن**
واهجروهن في المضاجع في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحاف او لا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع
وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن **واضربوهن** يعني ضربا غير مبرح ولا شاين والامور الثلاثة مرتبة

ينبغي

ينبغي ان تدرج فيها **فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** بالتوبيخ والايذا والمعني
فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التايب من الذنب كمن لا ذنب له **ان الله**
كان عليا كبيرا فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم علي من تحت ايديكم او انه علي علو شانه يتجاوز عن سيآتكم
ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه يتعالي ويتكبر ان يظلم احدا او ينقص حقه **وان**
خفتم شقاق بينهما خلافا بين المراة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة
الشقاق الي الظرف اما لاجرائه مجري المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقولهم نهارك صايم **فابعثوا**
حكما من اهله وحكما من اهلها فابعثوا ايها الحكام متي اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح
ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله واخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وهذا علي وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل
به علي جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين
وقال مالك لهما ان يخالعا ان وجدا الصلاح فيه **ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما** الضمير الاول للحكمين
والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما
للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه علي ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله
مبتغاه **ان الله كان عليما خبيرا** بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا صنما او غيره او شيا من الاشراك جليا او خفيا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا **وبذي القربي** وبصاحب القرابة **واليتامي والمساكين**
والجار ذي القربي الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقري بالنصب
علي الاختصاص تعظيما لحقه **والجار الجنب** البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه السلام الجيران ثلاثة
فجار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب **والصاحب بالجنب** الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف
وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المراة **وابن السبيل** المسافر او الضيف **وما**
ملكت ايمانكم العبيد والاما **ان الله لا يحب من كان مختالا** متكبرا يانف عن اقاربه
وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم **فخورا** يتفاخر عليهم **الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل**
بدل من قوله من كان او نصب علي الذم او رفع عليه اي هم الذين او مبتدا خبره محذوف تقديره الذين يبخلون
بما منحوا به ويامرون الناس بالبخل به وقرا حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهي لغة
ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الغني والعلم احقا بكل ملامة **واعتدنا للكافرين**
عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا
لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار تنصيحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشي عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلي الله عليه وسلم
والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف علي الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم
والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا علي ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سوا في القبح واستجلاب

الذم او مبتدا خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان **فلا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر**
ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون **ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا**
تنبيه علي ان الشيطان قرينهم فحملهم علي ذلك وزينه في قلوبهم لقوله تعالي ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين
والمراد ابليس واخوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار **وما
ذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله** اي وما الذي عليهم او اي تبعة
تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم علي الجهل لمكان المنفعة والاعتقاد في الشي علي خلاف ما هو
عليه وتحريض علي الكفر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الي العلم بما فيه من الفوايد الجليلة والعوايد الجميلة
وتنبيه علي ان المدعو الي امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان
ههنا واخره في الاية الاخري لان التقيد بذكره الي التخصيص ههنا والتعليل ثمه **وكان الله بهم عليما**
وعيد لهم **ان الله لا يظلم مثقال ذرة** لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شي كالذرة وهي النملة
الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهبا والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الي انه وان صغر قدره عظم جزاؤه
وان تك حسنة وان تك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتانيث الخبر او لاضافة المثقال اليه وحذف
النون من غير قياس تشبيها بحرف العلة وقرا ابن كثير ونافع حسنةٌ بالرفع علي كان التامة **يضاعفها**
يضاعف ثوابها وكلاهما بمعنى **ويؤت من لدنه** ويعط صاحبها من عنده علي سبيل التفضل زايدا علي
ما وعد في مقابلة العمل **اجرا عظيما** عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه **فكيف اذا جينا
من كل امة بشهيد** فكيف حال هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جينا من كل امة بشهيد يعني نبيهم
الشهيد علي فساد عقايدهم ويشهد علي قبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدا والخبر من هول الامر وتعظيم
الشان **وجينا بك** يا محمد **علي هولاء شهيدا** تشهد علي صدق هولاء الشهدا لعلمك بعقايدهم
واستجماع شرعك بمجامع قواعدهم وقيل هولاء اشارة الي الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الي المومنين لقوله
لتكونوا شهداء علي الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول
لو تسوي بهم الارض** بيان لحالهم في اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر الكفرة والعصاة
في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوي بهم الارض كالموتي او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء **ولا
يكتمون الله حديثا** ولا يقدرون علي كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان
تسوي بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي
انهم اذا قالوا ختم الله علي افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوي بهم الارض
وقرا نافع وابن عامر تسوي علي اصله تتسوي فادغم التا في السين وحمزة والكساي تسوي علي حذف التاء الثانية
يقال سويته فتسوي **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكاري حتي تعلموا ما
تقولون** اي لا تقوموا اليها وانتم سكاري من نحو نوم او خمر حتي تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلوتكم
روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع مادبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا حتي
ثملوا وجاءت وقت صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة
مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلوة وانما المراد النهي عن الافراط في الشرب

والسكر

والسكر من السكر وهو السد وقري سكاري بالفتح وسكري علي انه جمع كهلكي او مفرد بمعنى وانتم قوم سكري
وسكري كحبلي علي انها صفة الجماعة **ولا جنبا** عطف علي قوله وانتم سكاري اذ الجملة في موضع النصب علي الحال
والجنب الذي اصابه الجنابة يستوي فيه المذكر والمونث والواحد والجمع لانه يجري مجرى المصدر **الا عابري
سبيل** متعلق بقوله ولا جنبا استثناء من اعم الاحوال اي لا تقربوا الصلوة جنبا في عامة الاحوال
الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم او صفة لقوله جنبا اي جنبا
غير عابري سبيل وفيه دليل علي ان التيمم لا يرفع الحدث ومن فسر الصلوة بمواضعها فسر عابري سبيل بالمجتازين
فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء
او الطريق **حتي تغتسلوا** غاية النهي عن القربان حال الجنابة وفي الاية تنبيه علي ان المصلي ينبغي ان
يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكي نفسه عما يجب تطهيرها عنه **وان كنتم مرضي** مرضا يخاف
معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه **او علي سفر**
لا تجدونه فيه **او جاء احد منكم من الغايط** فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل
الغايط الموضع المطمئن من الارض **او لامستم النساء** او ماسستم بشرتهن ببشرتكم
وبه استدل الشافعي علي ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرا حمزة والكساي هنا وفي المايدة
او لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة **فلم تجدوا ماء** فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه
كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحال المقتضية في غالب الامر مرض
او سفر والجنب لما سبق ذكره اقتصر علي بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسبابه مما يحدث بالذات
او بالعرض واستغني عن تفصيل احواله بتفصيل حال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا
مرضي او علي سفر او محدثين جيتم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء **فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي فتعمدوا شيا من وجه الارض طاهرا ولذلك
قالت الحنفية لو ضرب المتيمم يده علي حجر صلد ومسح به اجزاه وقال اصحابنا لا بد من ان يعلق باليد شي
من التراب لقوله في المايدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف
اذ لا يفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الي المنكب وما روي انه عليه السلام تيمم ومسح يديه
الي مرفقيه والقياس علي الوضوء دليل علي ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق **ان الله كان عفوا
غفورا** فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم **الم تر الي الذين اوتوا الكتاب** من رؤية البصر
اي الم تنظر اليهم او القلب وعدي بالي لتضمن معني الانتها **نصيبا من الكتاب** حظا يسيرا من
علم التورية لان المراد احبار اليهود **يشترون الضلالة** يختارونها علي الهدي او يستبدلونها به
بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكارهم نبوة محمد صلي الله عليه وسلم وقيل ياخذون الرشي ويحرفون التورية
ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون **السبيل** سبيل الحق **والله اعلم** منكم **باعدائكم**
وقد اخبركم بعداوة هولاء وبما يريدون بكم فاحذروهم **وكفي بالله وليا** يلي امركم **وكفي بالله
نصيرا** يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والبا تزاد في فاعل كفي لتوكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال
الاضافي **من الذين هادوا** بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان

لا عدائكم او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا او يحفظكم منهم او خبر محذوف وصفته **يحرفون**
الكلم عن مواضعه اي ومن الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اي يميلونها عن مواضعها التي وضعها
الله فيها بازالتها واثبات غيرها فيها او يؤولونها على ما يشتهون فيميلونها عما انزل الله فيه
وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة **ويقولون سمعنا** قولك **وعصينا**
امرك **واسمع غير مسمع** اي مدعوا عليك بلا سمعت بصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه
او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع
غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا **وراعنا** انظرنا نكلمك او نفهم كلامك
ليا بالسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المتشابه لما يتسابون به
موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون
من السب والتحقير نفاقا **وطعنا في الدين** استهزاء به وسخرية **ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع**
وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه **لكان خيرا لهم واقوم** لكان قولهم ذلك خيرا لهم واعدل
وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه **ولكن لعنهم الله بكفرهم**
ولكن خذلهم وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم **فلا يؤمنون الا قليلا** اي ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو
الايمان ببعض الايات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم تصيبه او الا قليلا
منهم امنوا او سيؤمنون **يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم**
من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها
على هيئة ادبارها يعني الاقفاء او ننكسها الى ورائها في الدنيا او في الاخرة واصل الطمس ازالة الاعلام المائلة
وقد يطلق بمعنى الطلس في ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها
فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت وهي اذرعات الشام
يعني اجلاء بني النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤسا او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمي
الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها عن الهداية الى الضلالة **او نلعنهم**
كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت او نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم
على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه
ان اريد به الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصور في الدنيا ومن حمل
الوعيد على تغيير الصورة في الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد امن منهم
طائفة **وكان امر الله** بايقاع شيء او وعيده او ما حكم به وقضاه **مفعولا** نافذا او كائنا فيقع لا محالة
ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا **ان الله لا يغفر ان يشرك به** لان البت بالحكم على خلود عذابه او لان
ذنبه لا ينمحي عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره **ويغفر ما دون ذلك** اي ما دون الشرك
صغيرا كان او كبيرا **لمن يشاء** تفضلا عليه واحسانا والمعتزلة علقوه بالفعلين على معنى ان الله
لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دونه لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل
اذ ليس عموم ايات الوعيد بالمحافظة اولى ونقض لمذهبهم فان تعلق الامر بالمشيئة ينافي وجوب الفعل منه

قبل التوبة

قبل التوبة والصفح بعدها فالاية كما هي حجة عليهم فهي حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه
خالد في النار **ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما** ارتكب ما يستحقر دونه الاثام وهو اشارة
الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاف
الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعني اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود
جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا
كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفي معناهم من زكى نفسه واثنى عليها
بل الله يزكي من يشاء تنبيه على ان تزكيته هو المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوي
على الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفي ما يستقبح
فعلا او قولا **ولا يظلمون** بالذم والعقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق **فتيلا** ادنى ظلم واصغره وهو
الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في الحقارة **انظر كيف يفترون على الله الكذب**
في زعمهم انهم ابناء الله وازكياء **وكفى به** بزعمهم هذا او بالافتراء **اثما مبينا** لا يخفى كونه مأثما من بين اثامهم
الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في يهود
كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد وقيل في حيي بن اخطب وكعب بن
الاشرف في جمع من اليهود وخرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت في الاصل
اسم صنم فاستعمل في كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت
يطلق لكل باطل من معبود او غيره **ويقولون للذين كفروا** لاجلهم وفيهم **هؤلاء** اشارة اليهم **اهدى**
من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا **اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن**
تجد له نصيرا يمنع العذاب او شفاعة او غيرها **ام لهم نصيب من الملك** ام منقطعة ومعنى الهمزة
انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم **فاذا لا يؤتون**
الناس نقيرا اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا من الناس ما يوازي نقيرا وهو النقرة في ظهر
النواة وهذا هو الاغراق في بيان شحهم فانهم يبخلون بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا اذلاء متفاقرين
ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية او على انهم لا يؤتون الناس شيئا واذا
اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب
ام يحسدون الناس بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس
جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم
على البخل وهما شر الرذائل وكان بينهما تلازما وتجاذبا **على ما اتاهم الله من فضله** يعني النبوة والكتاب
والنصر والاعزاز وجعل النبي الموعود منهم **فقد اتينا ال ابراهيم** الذين هم اسلاف محمد وابناء
عمه **الكتاب والحكمة** النبوة **واتيناهم ملكا عظيما** فلا يبعد ان يؤتيه الله مثل ما اتاهم
فمنهم من اليهود **من امن به** بمحمد او بما ذكر من حديث ال ابراهيم **ومنهم من صد عنه** اعرض عنه
ولم يؤمن به وقيل معناه فمن ال ابراهيم من امن به ومنهم من كفر ولم يكن في ذلك توهين امره فكذا لا يوهن

كفر هؤلاء امرك **وكفى بجهنم سعيرا** نارا مسعورة يعذبون بها اي ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم **ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا** كالبيان والتقرير لذلك **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحتراق ليعود احساسه للعذاب كما قال **ليذوقوا العذاب** اي ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق له مكانه جلد اخر والعذاب في الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور **ان الله كان عزيزا** لا يمتنع عليه ما يريده **حكيما** يعاقب على وفق حكمته **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا** قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض **لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا** فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم **ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها** خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح في عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما غلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فامره الله تعالى ان يرده اليه فامر عليا ان يرد ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحي بان السدانة في اولاده **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** اي وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم **ان الله نعما يعظكم به** اي نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات **ان الله كان سميعا بصيرا** باقوالكم واحكامكم وما تفعلون في الامانات **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** يريد بهم امراء المسلمين في عهد الرسول وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم **فان تنازعتم** انتم واولو الامر منكم **في شيء** من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات **فردوه** فراجعوا فيه **الى الله** الى كتابه **والرسول** بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكرو القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف فيه الى الكتاب والسنة دون القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبتة بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** فان الايمان يوجب ذلك **ذلك** اي الرد **خير لكم واحسن تاويلا** عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم بلا رد **الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت** عن ابن عباس ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم

ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودي فلم يرض المنافق وقال نتحاكم الى عمر فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب عنق المنافق وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت فقال جبرئيل عليه السلام ان عمر فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله سمي بذلك لفرط طغيانه واشبهه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال **وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع لقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول** وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير **رايت المنافقين يصدون عنك صدودا** وهو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والصد في المعاني **فكيف** يكون حالهم **اذا اصابتهم مصيبة** كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى **بما قدمت ايديهم** من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك **ثم جاؤوك** حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض **يحلفون بالله** حال **ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه **اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب **فاعرض عنهم** اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم **وعظهم** بلسانك وكفهم عما هم عليه **وقل لهم في انفسهم** اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع **قولا بليغا** يبلغ منهم ويؤثر فيهم امره بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به **وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله** بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا يستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** بالنفاق او التحاكم الى الطاغوت **جاؤوك** تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به **فاستغفروا الله** بالتوبة والاخلاص **واستغفر لهم الرسول** واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب **لوجدوا الله توابا رحيما** لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه **فلا وربك** اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله **لا يؤمنون** لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد **حتى يحكموك فيما شجر بينهم** فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه **ثم لا يجدوا**

في أنفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا اليك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنوا اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معني امرنا او اخرجوا من دياركم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرا ابن عامر ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون علي اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو ولا تنسوا الفضل وقرا عاصم وحمزة بكسرهما علي الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجري الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا اناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه علي قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرا ابن عامر بالنصب علي الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول ومطاوعته طوعا ورغبة لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا اي في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك او تثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه علي التمييز والاية ايضا نزلت في شان المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة خاصمه زبير في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الي جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الي الجدر واستوف حقك ثم ارسله الي جارك واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسوال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو تثبتوا لاتيناهم لان اذا جواب وجزا ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جنات الفردوس ويفتح لهم ابواب الغيب قال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها بمرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس علي ان لا يتاخروا عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الي اوج العرفان حتي اطلعوا علي الاشياء واخبروا عنها علي ما هي عليه ثم الشهداء الذين ادي بهم الحرص علي الطاعة والجد في اظهار الحق حتي بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهولاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء او لا فكمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معني التعجب ورفيقا نصب علي التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق اولانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فساله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتي القاك ثم ذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين

وان ادخلت

وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك لا اراك ابدا فنزلت ذلك اشارة الي ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هولاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل من الله صفته خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معني الاشارة وكفي بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الي الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من تثبيت علي فلان اذا اثنيت اذا ذكرت محاسنه ويجمع ايضا علي ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن تقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الي الخيرات كلها كيف ما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم المومنين والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطا بمعني ابطا وهو لازم او يبطئوا غيرهم كما بطا ابن ابي ناسا يوم احد من بطا منقولا من بطو كثقل واللام الاولي للابتدا دخلت اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم وجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها علي فرط تحسرهم وقري بضم اللام اعادة للضمير علي معني من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه علي ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال عن الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن يبطه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولي وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة الا بما يتعلق بها لفظا ومعني وكان مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وهو محذوف وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم وورش عن يعقوب تكن بالتاء لتانيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه علي الاتساع فافوز نصب علي جواب التمني وقري بالرفع علي تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف علي كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطا هولاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها ويختارونها علي الاخرة وهم المبطئون والمعني حثهم علي ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما وعد له الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها علي ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتي يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الي القتل بل الي اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدا وخبر لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معني الفعل والمستضعفين عطف علي اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وفي تخليصهم عن الاسر وصونهم عن العدو او علي السبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه علي الاختصاص فان سبيل الله تعالي يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة

مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى تشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد
به العبيد والاماء وهو جمع وليد **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل**
لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج
الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر بفتح مكة على نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل
عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند
اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه **الذين امنوا**
يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت**
فيما يبلغ بهم الى الشيطان **فقاتلوا اولياء الشيطان** لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء
الشيطان ثم شجعهم بقوله **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله
للكافرين ضعيف لا قوة له فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه **الم تر الى الذين قيل لهم**
كفوا ايديكم اي عن القتال **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** واشتغلوا بما امرتم به **فلما كتب**
عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله
ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجاة جواب لما وفريق مبتدأ منهم صفته يخشون خبره كخشية الله من اضافة
المصدر الى المفعول وقع موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه
او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده
لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان تجعل الخشية ذات
خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال
حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم **قل متاع الدنيا قليل** سريع
التقضي **والاخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا** فلا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه
ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من اجالكم المقدرة وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم
الغيبة **اينما تكونوا يدرككم الموت** وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها
او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون **ولو كنتم في بروج مشيدة** في قصور او حصون مرتفعة
والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المراة اذا ظهرت وقرئ مشيدة وصفا لها بوصف فاعلها
كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من**
عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما يقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية
يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الاية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم
بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشومك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت
اسعارها **قل كل من عند الله** اي يبسط ويقبض حسب ارادته **فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون**
حديثا يوعظون به فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لها او حادثا

من صروف

من صروف الزمان فيتفكروا فيه فيعلموا ان القابض والباسط هو الله **ما اصابك** يا انسان **من**
حسنة من نعمة **فمن الله** اي تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف
يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا **وما اصابك**
من سيئة من بلية **فمن نفسك** لانها السبب فيها لاجتلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى قل كل من
عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت
عائشة رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع
نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والايتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة **وارسلناك للناس رسولا**
حال قصد بها التاكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله وما ارسلناك
الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام **وكفى بالله شهيدا** على رسالتك
بنصب المعجزات **من يطع الرسول فقد اطاع الله** لانه في الحقيقة مبلغ والامر هو الله تعالى روي انه
عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك
وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى **ومن تولى** عن طاعته **فما ارسلناك**
عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال
من الكاف **ويقولون** اذا امرتهم بامر **طاعة** اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر
ورفعها للدلالة على الثبات **فاذا برزوا من عندك** خرجوا **بيت طائفة منهم غير الذي تقول**
زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور
تدبر بالليل او من بيت الشعر او من البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرا ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام
لقربهما في المخرج **والله يكتب ما يبيتون** يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على
اسرارهم **فاعرض عنهم** قلل المبالاة بهم وتجاف عنهم **وتوكل على الله** في الامور كلها سيما في شانهم **وكفى**
بالله وكيلا يكفيك مضرتهم وينتقم لك منهم **افلا يتدبرون القران** يتاملون في معانيه ويتبصرون
ما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء **ولو كان من عند غير الله** اي ولو كان من كلام البشر
كما يزعم الكفار **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا
وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون
بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل
ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح
واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف **اذاعوا به** افشوه كان
يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول
بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة
او لتضمن الاذاعة معنى التحدث **ولو ردوه** اي ولو ردوا ذلك الخبر **الى الرسول والى اولي الامر منهم**
الى رايه والى راي كبار اصحابه البصراء بالامور او الامراء **لعلمه** لعلمه على اي وجه يذكر **الذين**
يستنبطونه منهم يستخرجون تدبيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين

فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم حتى سمعوه منهم وتعرفوا انه هل
يذاع يعلم ذلك من هولاء الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط
اخراج النبط وهو الماء يخرج من البير اول ما يحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله
عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن
نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك
لا الجنود روي انه عليه السلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج وما معه
الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك
لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شانهم الا التحريض عسى الله
ان يكف باس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله
اشد باسا من قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة
حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا وجلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله ومنها الدعا لمسلم
قال عليه السلام من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب
منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن
له كفل منها من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات
على الشيء اذا اقتدر قال وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا اي شديدا حافظا واشتقاقه
من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على
انه في السلام ويدل ذلك على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد
وبركاته وهو النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال
وعليك السلام ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته
وقال اخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الاية
فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع
وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية
وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القران وفي الحمام وقضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر
حياك الله على الاخبار عن الحيوة ثم استعمل للحكم والدعا بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلبت في السلامة وقيل المراد بالتحية
العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي ان الله كان على كل شيء حسيبا
يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدا وخبر او الله مبتدا والخبر ليجمعنكم الى
يوم القيمة اي الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة
ولا اله الا هو اعتراض والقيام والقيامة كالطلب والطلابة وهو قيام الناس من القبور او للحساب لا ريب فيه
في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر

صدقا

صدقا منه فانه لا يتطرق الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فئتين
فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اي فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا منهم استاذنوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينه فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة حتى لحقوا بالمشركين
فاختلف المسلمون في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة
والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين حال عاملها لكم كقولك ما لك قايما وفي
المنافقين حال من فئتين والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار
واصل الركس رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى هدى ودوا لو تكفرون كما كفروا تمنوا
ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم في الضلال وهو عطف على تكفرون ولو نصب
على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا
وتحققوا ايمانهم بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا عن الايمان
الظاهر بالهجرة او عن اظهار الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم كساير الكفرة ولا تتخذوا
منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم راسا ولا تقبلوا منهم ولاية ونصرة الا الذين يصلون الى
قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون
الى قوم عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه عليه السلام وادع
وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على انه لا يعينه ولا يعين عليه من لجا اليه فله من الجوار مثل ما له
وقيل بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اي الذين جاؤكم كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثناء
عن المامور باخذهم وقتلهم من ترك المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول او كف عن قتال الفريقين او على
صفة قوم فكانه قال الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال لكم قوم استثناء عن المامور
باخذهم وتركهم من ترك المحاربين وعليكم الاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف على انه صفة بعد
صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد ويدل عليه ان قرئ حصرة
صدورهم وحصرات او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف موصوف اي جاؤكم قوم حصرت صدورهم وهم بنو مدلج
جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم اي عن ان او لان او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى
قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم
فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم
سبيلا فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا
قومهم هم اسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار اتوا المدينة واظهروا الاسلام ليامنوا المسلمين فلما
رجعوا كفروا كلما ردوا الى الفتنة دعوا الى الكفر والى قتال المسلمين اركسوا فيها عادوا اليها
وقلبوا فيها اقبح قلب فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم وينبذوا اليكم العهد ويكفوا ايديهم
عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فان مجرد الكفر لا يوجب نفي

التعريض وَأُولَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا حجة واضحة في التعريض بهم بالقتل والسبي
لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم او تسلطا ظاهرا حيث اذن لكم في قتلهم وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وما صح له وليس
من شانه أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا بغير حق إِلَّا خَطَأً فانه على عرضته ونصبه على الحال او المفعول له اي لا يقتله
في شيء من الاحوال الا حال الخطا او لا يقتله لعلة الا للخطا او على انه صفة مصدر محذوف اي الا قتلا خطاء
وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطاء فجزاوه ما يذكر والخطا ما لا يضامه القصد
الى الفعل او الشخص او ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل
باسلامه او يكون فعل غير المكلف وقرى خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والاية نزلت في عياش بن ابي ربيعة
اخي ابي جهل من الام لقي حارث بن زيد بن ابي انيسه في طريق وكان قد اسلم ولم يشعر به عياش فقتله وَمَنْ قَتَلَ
مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر كالعتق للكريم من الشيء
ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه سمي به لان الكرم في الاحرار والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالراس
مُؤْمِنَةٍ محكوما باسلامها وان كانت صغيرة وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ مؤداة الى ورثته يقتسمونها
كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفين الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرني ان اورث امراة
اسيم الضبابي من عقل زوجها وهي على العاقلة فان لم يكن فعلى بيت المال فان لم يكن ففي ماله إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا
يتصدقوا عليه وهو متعلق بعليه او بمسلمة اي يجب الدية عليه او يسلمها الى اهله الا حال تصدقهم
عليه او زمانه فهو في محل النصب على الحال من القاتل او الاهل او الظرف فَإِنْ كَانَ مِنْ عَدُوٍّ لَكُمْ (قوم)
وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ اي كان المومن المقتول من قوم كفار محاربين او في تضاعيفهم ولم يعلم
ايمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لاهله اذ لا وراثة بينه وبينهم لانهم محاربون وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وان كان من
قوم كفرة معاهدين او اهل الذمة فحكمه حكم المسلمين في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما اذا كان
المقتول معاهدا او كان له وارث مسلم فَمَنْ لَمْ يَجِدْ رقبة بان لم يملكها او ما لا يتوصل به اليها فَصِيَامُ
شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فعليه او فالواجب عليه صيام شهرين تَوْبَةً نصب على المفعول له اي شرع
ذلك توبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته او على المصدر اي وتاب عليكم توبة او حال بحذف مضاف
اي فعليه صيام شهرين ذا توبة مِنَ اللَّهِ صفتها وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بحاله حَكِيمًا فيما امر في
شانه وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ
وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس لا تقبل توبة قاتل المومن عمدا ولعله
اراد به التشديد اذ روي عنه خلافه والجمهور على انه مخصوص بمن لم يتب لقوله واني لغفار لمن تاب ونحوه
وهو عندنا اما مخصوص بالمستحل له كما ذكره عكرمه وغيره ويؤيده انه نزل في مقيس بن صبابه وجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدفعوا اليه ديته
فدفعوا اليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع الى مكة مرتدا والمراد بالخلود المكث الطويل فان الدلايل متظاهرة
على ان عصاة المسلمين لا يدوم عذابهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
سافرتم وذهبتم للغزو فَتَبَيَّنُوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا

في الموضعين

في الموضعين هنا وفي الحجرات من التثبيت وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لمن حياكم بتحية الاسلام
وقرا نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الف اي الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضا لَسْتَ
مُؤْمِنًا وانما فعلت ذلك متعوذا وقرا القاري حفص بن القعقاع مومنا بالفتح اي مبذولا لك الامان
تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تطلبون ماله الذي هو حطام سريع النفاد وهو حال من الفاعل
في تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ تغنيكم عن
قتل امثالهم لماله كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ اي اول ما دخلتم في الاسلام تفوهتم بكلمتي الشهادة فحصنت
بها دماؤكم واموالكم من غير ان يعلم مواطاة قلوبكم السنتكم فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بالاشتهار بالايمان
والاستقامة في الدين فَتَبَيَّنُوا وافعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم
ظنا بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفا فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرء مسلم وتكريره تاكيد
لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ذكر من حالهم إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا عالما به وبالغرض منه فلا
تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه روي ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقي
مرداس ثقة باسلامه فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال
لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت في المقداد مر
برجل في غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان
المكره وان المجتهد قد يخطي وان خطاه مغتفر لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ عن الحرب مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
في موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذي فيه غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد
به قوم باعيانهم او بدل منه وقرا نافع وابن عامر والكسائي بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ صفة للمومنين
او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولي الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه الوحي فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المومنين غير اولي الضرر وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ اي لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت
ليرغب القاعد في الجهاد رفعا لرتبته وانفه عن انحطاط منزلته فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً جملة موضحة لما نفي الاستوا فيه والقاعدون على التقييد
السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اي بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع
المرة منه او الحال بمعنى ذوي درجة وَكُلًّا من القاعدين والمجاهدين وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى المثوبة
الحسنى وهي الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت في زيادة العمل المقتضي لمزيد الثواب
وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول
الثاني له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما دَرَجَاتٍ مِنْهُ
وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً كل واحد منها بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته
اسواطا واجرا على الحال عنها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل
المجاهدين وبالغ فيه اجمالا وتفصيلا تعظيما للجهاد وترغيبا فيه وقيل الاول ما خولهم في الدنيا من الغنيمة والظفر

وجميل الذكر والثاني ما جعل لهم في الاخرة وسلم المراد بالدرجة الاولى ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم
في الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثاني هم الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون
الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى
الجهاد الاكبر وكان الله غفورا لما عسى يفرط منهم رحيما بما وعدهم ان الذين توفيهم الملائكة
يحتمل الماضي والمضارع وقرئ توفيتهم وتوفتهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها
اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة
فانها نزلت في ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اي الملائكة توبيخا لهم فيم كنتم
اي في اي شي كنتم من امور دينكم قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم
وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اي الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك
ماويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى
الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد والخبر قالوا والعائد محذوف اي قالوا لهم وهو جملة
معطوفة على الجملة قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم او جهنم وفي الاية دليل على وجوب
الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من الارض الى
ارض وان كانت شبرا من الارض استوجب له الجنة وكان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الا المستضعفين
من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة
اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة في الامر والاشعار بانهم
على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا
بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ
لا توقيت فيه او حال عنه او عن المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما يتوقف
عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد
الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اي يفارقهم على رغم انوفهم
وهو ايضا من الرغام وسعة في الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر محذوف اي ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله
والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان
والمعنى ثبت اجره عند الله ثبوت الامر الواجب والاية نزلت في جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير
متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه
لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم في الارض سافرتم فليس عليكم
جناح ان تقصروا من الصلوة بتنصيف ركعاتها ونفي الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه

ويؤيده انه

ويؤيده انه عليه السلام اتم في السفر وان عايشة اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله
قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عايشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضي الله عنه صلاة
السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم ولقول عايشة اول ما فرضت الصلوة ركعتين فاقرت في السفر
وزيدت في الحضر وظاهرهما يخالف الاية فان صحا فالاول يؤول بانه كالتام في الصحة والاجزاء والثاني لا ينفي جواز
الزيادة فلا حاجة الى تأويل الاية بانهم الفوا الاربع فكانت مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتي السفر نقصان فسمي
الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفي الجناح فيه لتطيب نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة
عند ابي حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اي شيئا من الصلاة عند سيبويه
ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب في ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر
في قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا
في حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض
بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول
لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون
حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم
الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر
الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا اي المصلين فليكونوا اي غير المصلين من ورائكم
يحرسونكم يعني النبي ومن يصلي معه فغلب المخاطبون على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلي مرتين بكل طائفة مرة كما فعل
صلى الله عليه وسلم ببطن نخل وان اريد به ان يصلي بكل ركعة ان كانت الصلوة ركعتين فكيفيته ان
يصلي الامام بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتاتي الاخرى
فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلي بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتاتي الاخرى فتصلي
معه ركعة ويتم صلاته ثم تعود الى وجه العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تعود
وتاتي الاخرى وتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر الة
يتحصن بها الغازي فجمع بينه وبين الاسلحة في وجوب الاخذ ونظيره قوله والذين تبوءوا الدار والايمان
ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة في صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا
باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
رخصة لهم في وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب
دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليكم العدو ان الله اعد
للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحزم لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر

بالجزم ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا في الامور على مراسيم التيقظ والتدبر
فيتكلوا على الله تعالى **فاذا قضيتم الصلوة** اديتم وفرغتم منها **فاذكروا الله قياما وقعودا**
وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر في جميع الاحوال واذا اردتم اداء الصلوة واشتد الخوف فصلوها
كيف امكن قياما مسابقين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين **فاذا اطماننتم** سكنت
قلوبكم من الخوف **فاقيموا الصلوة** فعدلوا واحفظوا اركانها وشرايطها واتوا بها تامة **ان
الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا** فرضا محدود الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها
في شيء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسابقة والاضطراب
في المعركة وتعليل الامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلي المحارب حتى يطمئن **ولا تهنوا**
ولا تضعفوا **في ابتغاء القوم** في طلب الكفار بالقتال **ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما
تالمون وترجون من الله ما لا يرجون** الزام لهم وتقريع على التواني بان ضرر القتال دائر بين
الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم
فينبغي ان يكونوا ارغب منهم في الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون
ويكون قوله فانهم يالمون علة للنهي عن الوهن لاجله والاية نزلت في بدر الصغرى **وكان الله عليما**
باعمالكم وضمائركم **حكيما** فيما يامر وينهي **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس**
نزلت في طعمة بن ابيرق من بني ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق
فيه وخباها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم يوجد وحلف ما اخذها وما له بها
علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس
من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا ان لم يفعل ذلك افتضح وبرئ اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل **بما اراك الله**
بما عرفك واوحى به اليك وليس من الروية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل **ولا تكن للخائنين**
اي لاجلهم والذب عنهم **خصيما** للبراء **واستغفر الله** مما هممت به **ان الله كان غفورا
رحيما** لمن يستغفره **ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم** يخونونها فان وبال خيانتهم يعود
عليها او جعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلما عليها والضمير لطعمة وامثاله او له ولقومه فانهم
شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه **ان الله لا يحب من كان خوانا** مبالغا في الخيانة
مصرا عليها **اثيما** منهمكا فيه روي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بها ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله **يستخفون من الناس** يستترون منهم حياء وخوفا **ولا
يستخفون من الله** وهو احق ان يستحيى ويخاف منه **وهو معهم** لا يخفى عليه سرهم
فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه **اذ يبيتون** يدبرون ويزورون **ما لا يرضى من
القول** من رمي البريء والحلف الكاذب وشهادة الزور **وكان الله بما يعملون محيطا** لا يفوت
عنه شيء **ها انتم هولاء** مبتدا وخبر **جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا** جملة مبينة لوقوع اولى خبرا
او صلة عند من يجعله موصولا **فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة ام من يكون عليهم وكيلا**

محاسبا

محاميا يحميهم من عذاب الله **ومن يعمل سوءا** قبيحا يسوء به غيره **او يظلم نفسه** بما يختص به ولا يتعداه
وقيل المراد بالسوء ما دون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة **ثم يستغفر الله** بالتوبة
يجد الله غفورا لذنوبه **رحيما** متفضلا عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار
ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اساتم فلها **وكان الله عليما
حكيما** فهو عالم بفعله حكيم في مجازاته **ومن يكسب خطيئة** صغيرة او ما لا عمد فيه **او اثما** كبيرة او ما كان عن
عمد **ثم يرم به بريئا** كما رمى طعمة زيدا ووحد الضمير لمكان او **فقد احتمل بهتانا واثما مبينا** بسبب
رمي البريء وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترف احدهما دون مقترف الاخر **ولولا
فضل الله عليك ورحمته** باعلام ما هم عليه بالوحي **لهمت طائفة منهم** من بني ظفر **ان
يضلوك** عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تاثيره فيه
وما يضلون الا انفسهم فانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم **وما يضرونك من شيء** فان الله عصمك
وما خطر ببالك كان اعتمادا منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شيء في موضع النصب على المصدر اي شيئا
وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام
وكان فضل الله عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة **لا خير في كثير من نجواهم** من متناجيهم
لقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله **الا من امر بصدقة او معروف** على حذف مضاف اي الا نجوى
من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
وفسر هاهنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به **او اصلاح بين الناس** او اصلاح
ذات بين **ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نوتيه اجرا عظيما** بنى الكلام على الامر ورتب
الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الامر في جملة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم وان العمدة والغرض هو الفعل
واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله لان الاعمال بالنيات وان من فعل
خيرا رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجرا ووصف الاجر بالعظم على حقارة ما فات في جنبه من اغراض الدنيا وقرا
حمزة وابو عمرو يوتيه بالياء **ومن يشاقق الرسول** يخالفه من الشقاق فان كلا من المخالفين في شق غير شق الاخر
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات **ويتبع غير سبيل المومنين**
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل **نوله ما تولى** نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره
ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه **وساءت مصيرا** جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة
الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما
او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان
المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك
اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه في مرصاد الافهام الى مبادي الاحكام **ان الله لا يغفر
ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** كرره للتاكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصي جراءة وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب فما ترى

حاً عند الله فنزلت **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا** عن الحق فان الشرك
اعظم انواع الضلاله وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر في الاية الاولي فقد افترى لانها متصلة
بقصة اهل الكتاب ومنشا شركهم كان نوع افترا وهو دعوى التبني على الله **إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
إِلَّا إِنَاثًا** يعني اللات والعزي ومناة ونحوها كان لكل حي صنم يعبدونه ويسمونه انثي بني فلان وذلك
اما لتانيث اسمائها كما قال وما ذكر فان تسمي فانثي شديد الازم ليس له ضروس فانه عني القراد وهو ما كان صغيرا
يسمي قراد فاذا كبر سمي حلمه او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله
تعالي ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون
فاعلا غير منفعل ليكون دليلا علي تناهي جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملئكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع
انثي كرباب وربي وقرئ انثي علي التوحيد وانثا علي انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو
جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما علي قلب الواو لضمتها همزة **وَإِنْ يَدْعُونَ** وان يعبدون بعبادتها **إِلَّا
شَيْطَانًا مَرِيدًا** لانه الذي امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته في ذلك عبادة له والمارد والمراد
الذي لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسه ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مردا اللتي تناثر ورقها
لَعَنَهُ اللّٰهُ صفة ثانية للشيطان **وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** عطف
عليه اي شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال علي فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه
اولا علي ان الشرك ضلال في الغاية علي سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا
وذلك ينافي الالوهية غاية المنافاه فان الآله ينبغي ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة
الشيطان وهي افظع الضلال لثلاثه اوجه الاول انه مريد منهمك في الضلال لا يعلق بشي من الخير والهدي
فيكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدي والثاني انه ملعون لضلاله ولا تستجلب مطاوعته سوي الضلال
واللعن والثالث انه في غاية العداوة والسعي في اهلاكهم وموالاة من هذا شانه غاية الضلالة فضلا
عن عبادته والمفروض المقطوع اي نصيبا قدر لي وفرض من قولهم فرض له في العطا **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ** عن الحق
وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ الاماني الباطلة لطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ**
يشقونها لتحريم ما احل الله وهي عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحاير والسوايب واشارة الي تحريم كل ما احل ونقص
كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة **وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّٰهِ** عن وجهه صورة او صفة ويندرج
فيه ما قيل من فقء عين الحامي وخصي العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس
والقمر وتغيير فطرة الله تعالي التي هي الاسلام واستعمال الجوارح والقوي فيما لا يعود علي النفس كمالا ولا يوجب لها
من الله زلفي وعموم اللفظ يمنع مطلقا لكن الفقها رخصوا في خصاء البهايم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما
ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا **وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللّٰهِ** بايثاره ما يدعو
اليه علي ما امر الله به ومجاوزته عن طاعة الله الي طاعته **فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا** اذ ضيع راس
ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار **يَعِدُهُمْ** لا ينجز **وَيُمَنِّيهِمْ** ما لا ينالون **وَمَا يَعِدُهُمُ
الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالخواطر الفاسدة او بلسان
اوليائه **أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا** معدلا ومهربا من حاص يحيص

اذا عدل وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلا يعمل ايضا فيما قبله **وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّٰهِ
حَقًّا** اي وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد
والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره ما بعده ووعد الله بقوله سندخلهم
لانه بمعني نعدهم ادخالهم وحقا علي انه حال من المصدر **وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّٰهِ قِيلًا** جملة مؤكدة بليغة
والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه
والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله **لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ** اي ليس
ما وعد الله من الثواب ينال باما نيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانما ينال بالايمان والعمل الصالح وقيل
ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال الكتاب نبينا
قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولي بالله منكم وقال المسلمون نحن اولي منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا
يقضي علي الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب مع المشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اي ليس الامر باماني المشركين
وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولا اماني اهل الكتاب وهو
قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصاري وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك
وقال **مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ** عاجلا او اجلا لما روي انه لما نزلت قال ابو بكر فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال
عليه السلام اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللاوا قال بلي يا رسول الله قال هو ذلك **وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللّٰهِ
وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا** ولا يجد لنفسه اذا جاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب **وَمَنْ
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ** بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها **مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ**
في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات اي كاينة من ذكر او انثي ومن للابتدا **وَهُوَ
مُؤْمِنٌ** حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب تنبيها علي انه لا اعتداد به دونه فيه **فَأُولَٰئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا** ينقص شي من الثواب واذا لم ينقص ثواب المطيع فبالحري ان
لا يزاد عقاب العاصي لان المجازي هو ارحم الراحمين ولذلك اقتصر علي ذكره عقيب الثواب وقرا ابن كثير
وابو عمرو ويدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء **وَمَنْ
أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّٰهِ** اخلص نفسه لله لا تبلغه القوة البشرية **وَهُوَ مُحْسِنٌ**
ات بالحسنات تارك السيئات **وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ** الموافقة لدين الاسلام المتفق علي صحتها **حَنِيفًا**
مائلا عن سائر الاديان وهو حال من المتبع او من الملة او ابرهيم **وَاتَّخَذَ اللّٰهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا** اصطفاه وخصصه
بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمر تفخيما له وتنصيصا علي انه الممدوح و
من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الاخر او من
الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يتوافقان في الطريقة او من الخلة بمعني الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال
والجملة استيناف جيء للترغيب في اتباع ملته والايذان بانه نهاية في الحسن وغاية كمال البشر روي ان ابرهيم
عليه السلام بعث الي خليل له بمصر في ازمة اصابة الناس يمتار منه فقال الخليل لو كان ابرهيم يريد لنفسه
لفعلت ولكنه يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينه فملوا منها الغراير حياء من الناس

فلما اخبروه ساءه الخبر نغلبه عيناه فنام وقامت سارة الي غرارة منها فاخرجت جواري واختبزت فاستيقظ
ابرهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين هذا لكم فقالت من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز
وجل فسماه الله خليلا **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء
وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته علي اهل السموات والارض وكمال قدرته علي مجازاتهم علي الاعمال
وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم علي خيرها وشرها **وَيَسْتَفْتُونَكَ**
فِي ٱلنِّسَآءِ في ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك
تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من شهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه السلام
كذلك امرت **قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ** يبين لكم حكمه فيهن والافتا تبيين المبهم **وَمَا يُتْلَىٰ**
عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ عطف علي اسم الله او ضميره المستكن في يفتيكم وساغ الفصل فيكون الافتا مسند
الي الله ونحوه والي ما في القران من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغناني زيد وعطاؤه
او استيناف معترض لتعظيم المتلو عليه علي ان ما يتلي عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ
ويجوز ان ينصب علي معني ونحوه الله ونحوه ويبين لكم ما يتلي عليكم في الكتاب ولا يجوز عطفه علي المجرور في فيهن
لاختلاله لفظا ومعنى **فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ** صلة يتلي ان عطف الموصول علي ما قبله اي يتلي عليكم في شانهن
والا فمن فيهن او صلة اخري ليفتيكم علي معني الله يفتيكم فيهن بسبب يتامي النساء كما تقول كلمتك اليوم
في زيد وهذه الاضافة بمعني من لانها اضافة الشي الي جنسه وقري يتامي علي انها ايامي فقلبت همزته يا **ٱلَّٰتِي**
لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ اي فرض لهن من الميراث **وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ** في ان تنكحوهن او عن
ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات وياكلون مالهن والا كانوا يعضلوهن
طمعا في ميراثهن والواو في نكاحها جريان العقد في صغرها **وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ** عطف علي
يتامي النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما يورثون النساء **وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ** ايضا
عطف عليه اي ويفتيكم او وما يتلي في ان تقوموا هذا اذا جعلت في يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه
نصبهما عطف علي موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اي ويامركم ان تقوموا وهو خطاب
للايمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة في شانهم **وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ**
كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا وعد لمن اثر الخير في ذلك **وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا** توقعت منه لما ظهر لها من المخايل
وامراة فاعل فعل تفسيره الظاهر **نُشُوزًا** تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا عن حقوقها
أَوْ إِعْرَاضًا بان يقل مجالستها ومحادثتها **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا** ان يتصالحا
بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيا تستميله به وقرا الكوفيون يصلحا من اصلح بين المتنازعين
وعلي هذا جاز ان ينتصب صلحا علي المفعول به وبينهما ظرفا وحالا منه او علي المصدر كما في القراءة الاولي
والمفعول بينهما او محذوف وقري يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح **وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ** من الفرقة وسوء العشرة
او من الخصومة ولا يجوز ان يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض
وكذا قوله **وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ** ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني
لتمهيد العذر في المماكسة ومعني احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المراة تسمح

بالاعراض

بالاعراض عنها او التقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها او يقوم بحقها علي ما ينبغي اذا كرهها او احب
غيرها **وَإِن تُحْسِنُوا۟** في العشرة **وَتَتَّقُوا۟** النشوز والاعراض ونقص الحق **فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا**
تَعْمَلُونَ من الاحسان والخصومة **خَبِيرًا** عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه واقام كونه عالما
باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة للسبب مقام المسبب **وَلَن**
تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني
فيما تملك ولا املك **وَلَوْ حَرَصْتُمْ** فانما لا يدرك كله لا يترك كله **فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ** التي ليست
ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة
واحد شقيه مايل **وَإِن تُصْلِحُوا۟** ما كنتم تفسدون من امورهن **وَتَتَّقُوا۟** فيما يستقبل **فَإِنَّ ٱللَّهَ**
كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا يغفر لكم ما مضى من ميلكم **وَإِن يَتَفَرَّقَا** وقرى وان يتفارقا اي وان يفارق
كل منهما صاحبه **يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا** منهما عن الاخر ببدل او سلوا **مِّن سَعَتِهِۦ** غناه وقدرته **وَكَانَ ٱللَّهُ**
وَٰسِعًا حَكِيمًا مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** تنبيه
علي كمال سعته وقدرته **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ** يعني اليهود
والنصاري ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد
الامر بالاخلاص **وَإِيَّاكُمْ** عطف علي الذين **أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة
لان التوصية بمعنى القول **وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ** لان ارادة القول
اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم
وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله **وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا** عن الخلق وعبادتهم **حَمِيدًا**
في ذاته حمد او لم يحمد **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ** ذكره ثالثا للدلالة علي كونه غنيا حميدا فان
جميع المخلوقات تدل بحاجتها علي غناه وانما افاض عليها من الوجود وانواع الخصايص والكمالات علي كونه حميدا
وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا راجع الي قوله يغني الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك
إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ يفنيكم ومفعول يشا محذوف دل عليه الجواب **وَيَأْتِ**
بِـَٔاخَرِينَ ويوجد قوما اخرين مكانكم او خلقا اخرين مكان الانس **وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ** من الاعدام
والايجاد **قَدِيرًا** بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره
وقيل خطاب لمن عادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معني قوله تعالي وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده علي ظهر سلمان وقال انهم قوم
هذا **مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا** كالمجاهدين للغنيمة **فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ**
فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما
فان من جاهد خالصا لله تعالي لم تخطيه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شي او فعند الله ثواب
الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه **وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا**
بَصِيرًا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ**

فلا تميلوا كل الميل

مواظبين على العدل مجتهدين في اقامته شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان
او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان الحق
سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه
او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة او لا تجوروا فيها ميلا
او ترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لما شرعها
وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع الى ما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه
والا لوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق
او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل وقرئ وان
تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا
فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او المنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن
سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه فنزلت
امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا
على الايمان بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل
فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القران والثاني الجنس ومن يكفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد
بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا يعني اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا
العجل ثم امنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلوات الله وسلامه
عليهم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم
ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال
ذلك محذوف تتعلق به اللام مثل ولم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما يدل على ان الاية في المنافقين وهم قد امنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا
بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر مكان انذر تهكما بهم الذين يتخذون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم
الذين ايبتغون عندهم العزة يتعززون بموالاتهم فان العزة لله جميعا لا يتعزز الا
من اعزه وقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة
اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القران وقرئ نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم
ايات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات
جيء بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما
نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم

بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم
او للكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين في القران من الاحبار كانوا منافقين
ويدل عليه ان الله جامع المنافقين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا
ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او الاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى المبني كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون
بكم ينتظرون وقوع امر بكم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع
او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا
لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم
اي قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس
ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان اخذلناهم
بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر
الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم
يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ح او في الدنيا والمراد بالسبيل
الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شراء الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو
ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو
خادعهم سبق الكلام فيه اول البقرة واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين
كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمع كسلان يراءون الناس ليخالوهم مؤمنين والمراءاة
مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه
ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله
او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلوة وقيل الذكر فيها
فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من واو يراءون كقوله
ولا يذكرون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين
بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشيء مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر
الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم تصلصل وقرئ بالدال غير المعجمة بمعنى
اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لا منسوبين الى المؤمنين
ولا الى الكافرين او لا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا
لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا
بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق
او سلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة
التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة اذ ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا

للسلمين واما قوله عليه السلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلي وزعم انه مسلم من اذا
حدث كذب واذا وعد أخلف واذا أوتمن خان ونحوه من باب التشبيه والتغليظ وانما سميت طبقاتها
السبع دركات لانها متداركة متعاقبة بعضها فوق بعض وقرا الكوفيون بسكون الرا وهو لغة كالسطر
والسطر والتحريك اوجه لانه يجمع علي ادراك **ولن تجد لهم نصيرا** يخرجهم منه **الا الذين تابوا**
من النفاق **واصلحوا** ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق **واعتصموا بالله**
وثقوا به وتمسكوا بدينه **واخلصوا دينهم لله** لا يريدون بطاعتهم الا وجهه **فاولئك**
مع المؤمنين ومن عدادهم في الدارين **وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما**
فيساهمونهم فيه **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم** ايتشفي به غيظا
او يدفع ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغني المتعال عن النفع والضرر وانما يعاقب المصر بكفره
لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدي الي مرض فاذا ازال بالايمان والشكر ونقي عنه نفسه تخلص من
تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتي يعرف المنعم
فيؤمن به **وكان الله شاكرا** مثيبا يقبل اليسير ويعطي الجزيل **عليما** بحق شكركم وايمانكم
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء علي الظالم والتظلم
منه روي ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم علي البنا للفاعل
فيكون الاستثناء منقطعا اي ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله **وكان الله سميعا** بكلام المظلوم
عليما بالظالم **ان تبدوا خيرا** طاعة وبرا **او تخفوه** او تفعلوه سرا **او تعفوا عن سوء**
لكم المواخذه عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفاؤه بسبب له ولذلك رتب عليه قوله
فان الله كان عفوا قديرا اي يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته علي الانتقام فانتم اولي بذلك
وهو حث للمظلوم علي العفو بعد ما رخص له في الانتصار حملا علي مكارم الاخلاق **ان الذين**
يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ان يؤمنوا بالله ويكفروا
برسله **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض** نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا من الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق
لا يختلف فان الايمان بالله انما يتم برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك
كافر بالكل في الضلال كما قال تعالي فماذا بعد الحق الا الضلال **اولئك هم الكافرون** هم الكاملون
في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا **حقا** مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعني هم الذين كفروا
كفرا حقا اي يقينا محققا **واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله**
ولم يفرقوا بين احد منهم اضدادهم ومقابلوهم وانما دخل بين علي احد وهو يقتضي متعددا
لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي **اولئك سوف نؤتيهم اجورهم** الموعود لهم وتصديره
بسوف لتوكيد الوعد والدلالة علي انه كائن لا محالة وان تأخر وقرا حفص عن عاصم ويعقوب بالياء
علي تلوين الخطاب **وكان الله غفورا** لما فرط منهم **رحيما** عليهم بتضعيف حسناتهم **يسألك**
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا

بكتاب

بكتاب من السماء جملة كما اتي به موسي وقيل كتابا محررا بخط سماوي علي الواح كما كانت التورية او كتابا نعاينه
حين ينزل او كتابا الينا باعياننا بانك رسول **فقد سألوا موسي اكبر من ذلك** جواب شرط
مقدر اي استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسي اكبر منه وهذا السؤال وان كان من ابائهم
اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعني ان عرقهم راسخ في ذلك وانما اقترحوا عليك
ليس باول جهالاتهم وتخيلاتهم **فقالوا ارنا الله جهرة** عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين
معاينين له **فاخذتهم الصاعقة** نار جاءت من السماء فاهلكتهم **بظلمهم** بسبب ظلمهم وهو
تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفوها ايضا
اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها علي التورية اذ لم تأتهم بعد **فعفونا عن ذلك واتينا**
موسي سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم
ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه **وقلنا لهم ادخلوا الباب**
سجدا علي لسان موسي والطور مظل عليهم **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** علي لسان داود
ويحتمل ان يراد علي لسان موسي وحين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ
به في زمن داود وقرا ورش عن نافع لا تعدّوا وادغمت التاء في الدال **واخذنا منهم ميثاقا غليظا**
علي ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا **فبما نقضهم ميثاقهم** اي فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما
فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتاكيد والبا متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان تتعلق بحرمنا عليهم
فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الي قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون
لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون من صلة وقولهم المعطوف علي المجرور فلا يعمل في جاره **وكفرهم بايات الله**
بالقران او بما في كتابهم **وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف** اوعية للعلوم
اي في اكنة مما تدعونا اليه **بل طبع الله عليها بكفرهم** فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها
التوفيق للتدبر في الايات والتذكر بالمواعظ **فلا يؤمنون الا قليلا** منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا
قليلا لا عبرة به لنقصانه **وبكفرهم** بعيسي وهو معطوف علي بكفرهم لانه من اسباب الطبع او علي
قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه علي مجموع ما قبله ويكون تكرير لفظ الكفر ايذانا
بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسي ثم عيسي ثم محمد عليهم السلام **وقولهم علي مريم بهتانا عظيما** يعني نسبتها
الي الزنا **وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي بن مريم رسول الله** بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونحوه
ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وصفا للذكر
الحسن مكان ذكرهم القبيح **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** روي ان رهطا من
اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود علي قتله فاخبره الله
بانه يرفعه الي السماء فقال لاصحابه ايكم يرضي ان يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام
رجل منهم فالقي الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافقه فخرج ليدل عليه فالقي الله عليه
شبهه فاخذ وصلب وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده فالقي الله عليه شبهه فلما

خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله
بما دل عليه الكلام من جرائتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا لقولهم هذا
على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول
او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى مضمر المقتول دلالة انا قتلنا
على ان ثم مقتولا وان الذين اختلفوا فيه في شان عيسى فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس
فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد اخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء وقال
قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه
يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع اي ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن
اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا
قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقوله كذلك يخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم
يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا بالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه
وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى وان من اهل الكتاب الا
ليؤمنن به قبل موته اي وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت
صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان
عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك ان قرئ الا ليؤمنن
به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان
ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء امن به اهل الملل
جميعا روي انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون
الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم
ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم
القيمة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله
فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا اناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه كان الربوا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم
واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما دون من تاب لكن الراسخون في العلم منهم كعبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون
اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدا
والمقيمين الصلوة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك
والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او على الضمير في يؤمنون او على ما

مبتدا

مبتدا او الخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكوة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم
الاخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرايع لان المقصود بالاية اولئك
سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح انا اوحينا اليك كما
اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا
من السما واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كساير الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر
مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابرهيم اول اولي العزم منهم وعيسى اخرهم والباقين اشراف
الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا قرا حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا
نصب بمضمر دل عليه واوحينا اليك كما ارسلنا فسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من
قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى
مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى
كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون
رسلا موطيا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان
بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر كلياتها واللام متعلقة
بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبرها للناس او على الله والاخر حال ولا يجوز
تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما
فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ما
قبله وكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السما واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قالوا
ما نشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله متلبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتاليفه على نظم يعجز عنه
كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستاهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذي يحتاج اليه الناس في
معاشهم ومعادهم والجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير
لما قبلها والملئكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى
النبوة على وجه يستغني عن النظر والتامل وهو النوع من خواص الملك لا سبيل الى الانسان الى العلم
بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلو اتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت
الملائكة وشهدوا وكفى بالله شهيدا اي وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين
الضلال والاضلال ولان المضل يكون اعرق في الضلال وابعد عن الانقلاع عنه ان الذين
كفروا وظلموا محمدا بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية
تدل على ان الكفار يخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر
لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا يجري حكمه السابق ووعده

بما انزل اليك

المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد في النار وخالدين حال مقدرة **وكان ذلك على الله يسيرا** لا
يصعب عليه ولا يستعظمه **يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم** لما قرر امر
النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة
والوعد بالاجابة والوعيد على الرد **فآمنوا خيرا لكم** اي ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه
وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لا يحذف مع اسمه الا فيما لا بد منه ولانه يؤدي
الى حذف الشرط وجوابه **وان تكفروا فان لله ما في السموات والارض** يعني وان تكفروا فهو غني
عنكم لا يتضرر بكفركم كما لا ينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما في السموات والارض وهو يعم ما اشتملت
عليه وما تركبت منه **وكان الله عليما** باحوالهم **حكيما** فيما دبر لهم **يا اهل الكتاب لا تغلوا
في دينكم** الخطاب للفريقين غلت اليهود في حط عيسى حتى رموه بانه ولد لغير رشدة والنصارى
في رفعه حتى اتخذوه الها وقيل النصارى خاصة فانه اوفق لقوله **ولا تقولوا على الله الا الحق**
يعني تنزيهه عن الصاحبة والولد **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى
مريم** اوصلها اليها وحصلها فيها **وروح منه** وذو روح صدر منه لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل
والمادة له وقيل سمي روحا لانه كان يحيي الاموات او القلوب **فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلاثة** اي الالهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين
من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون
بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة **انتهوا** عن التثليث **خيرا لكم** نصبه كما سبق
انما الله اله واحد اي واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما **سبحانه ان يكون له ولد**
اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء **له ما في السموات
وما في الارض** ملكا وخلقا لا يماثله شيء من ذلك فيتخذه ولدا **وكفى بالله وكيلا** تنبيه على غناه
عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله تعالى قائم بحفظ الاشياء كاف في ذلك مستغن
عمن يخلفه ويعينه **لن يستنكف المسيح** لن يأنف من استنكف الدمع اذا نحيته باصبعك كي
لا يرى اثره عليك **ان يكون عبدا لله** من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما
الذلة والاستنكاف في عبودية غيره روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب
صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار
ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت **ولا الملائكة المقربون** عطف على المسيح اي ولا يستنكف
الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد النصارى
في رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضي ان يكون المعطوف عليه اعلى درجة منه حتى يكون عدم استنكافهم
كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الاية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها
بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار الكثير دون التكثير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس
ولا مرؤوس وان اراد التكثير فغايته تفضيل الملائكة المقربين وهم الكروبيون الذين حول العرش او من اعلى
منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يلزم فضل احد الجنسين على الاخر والنزاع فيه **ومن**

يستنكف

يستنكف عن عبادته ويستكبر فيترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك
عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون باستحقاق **فسيحشرهم
اليه جميعا** فيجازيهم **فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم
من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون
لهم من دون الله وليا ولا نصيرا** تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام
وكانه قال فسيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان
اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة **يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم
نورا مبينا** عني بالبرهان المعجزات وبالنور القران اي جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق
لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القران **فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا
به فسيدخلهم في رحمة منه** ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب
وفضل احسان زائد عليه **ويهديهم اليه** الى الله وقيل الى الموعود **صراطا مستقيما**
هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة **يستفتونك** في الكلالة حذفت لدلالة الجواب
عليها روي ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف
اصنع في مالي فنزلت وهي اخر ما نزل في الاحكام **قل الله يفتيكم في الكلالة** سبق تفسيرها في اوائل السورة
ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر
وليس له ولد صفة له او حال من المستكن في هلك والواو في وله يحتمل العطف والحال والمراد بالاخت
الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد على ظاهره فان الاخت
وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس لكنها لا ترث النصف **وهو يرثها** اي والمرء
يرث اخته ان كان الامر بالعكس **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع مالها والا فالمراد
به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم
به وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت
فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة
الاخبار بالاثنتين التنبيه باعتبار العدد دون الصغر والكبر وغيرهما **وان كانوا اخوة رجالا
ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين** اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر **يبين الله
لكم ان تضلوا** اي يبين الله لكم ضلالكم الذي من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه
او يبين الله لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين **والله
بكل شيء عليم** فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء
فكانما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان
في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم **سورة المائدة مدنية كلها وهي مائة وثلاث وعشرون**
بسم الله الرحمن الرحيم **يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** الوفاء هو القيام بمقتضى
العهد وكذلك الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج

وشدّ واقومه الكربا واصله الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود التي عقدها
الله على عباده والزمها اياهم من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات والمعاملات ونحوها مما يجب
الوفا به او يحسن ان حملنا الامر على المشترك بين الوجوب والندب **أُحِلَّتْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ** تفصيل
للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة
من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق الظبا وبقر الوحش وقيل هي المراد بالبهيمة ونحوها مما يماثل الانعام
في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة الشبه **إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ** الا محرم ما يتلى عليكم
لقوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم تحريمه **غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ** حال من الضمير في لكم وقيل من
واو اوفوا وقيل استثنا وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول **وَأَنْتُمْ حُرُمٌ** حال من الضمير في لكم
وقيل عما استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ** من تحليل وتحريم **يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهو اسم ما اشعر اي جعل شعارا
سمي به اعمال الحج ومواقعه لانها علامات الحج واعلام النسك وقيل دين الله لقوله ومن يعظم شعاير الله اي
دينه وقيل فرايض الله التي حدها لعباده **وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ** بالقتال فيه او بالنسي **وَلَا الْهَدْيَ** ما اهدي
الى الكعبة جمع هدية كجدي في جمع جدية السرج **وَلَا الْقَلَائِدَ** اي ذوات القلايد من الهدي وعطفها
على الهدي للاختصاص فانها اشرف الهدي او القلايد انفسها والنهي عن احلالها مبالغة في النهي عن التعرض
للهدي ونظيره قوله ولا يبدين زينتهن والقلايد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او لحا شجر او غيرها
ليعلم به انه هدي فلا يتعرض له **وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ** قاصدين لزيارته **يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ
رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا** اي يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين فليست صفة له لانه
عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفايدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع
له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روي ان الاية نزلت عام القضية في حجاج
اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح
المدينة وعلى هذا فالاية منسوخة وقيل يبتغون على خطاب المؤمنين **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا** اذن
في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة هنا من الامر دلالة الامر الاتي بعد الحظر على الاباحة
مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القا حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا واحللتم يقال حل المحرم واحل
وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يحملنكم او لا يكسبنكم **شَنَآنُ قَوْمٍ** شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى
المفعول او الفاعل وقرا ابن عامر واسمعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر
للفاعل او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر **أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ** لان صدوكم
عام الحديبية وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم **أَنْ
تَعْتَدُوا** بالانتقام ثاني مفعولي يجرمنكم فانه يتعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرا يجرمنكم بضم اليا
جعله منقولا من المتعدي الى مفعول واحد بالهمزة الى المفعولين **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** اي العفو والاغضا
ومتابعة الامر ومجانبة الهوى **وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** للتشفي والانتقام **وَاتَّقُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** فانتقامه اشد **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ** بيان ما يتلى عليكم

والميتة

والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية **وَالدَّمُ** اي الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل
الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها **وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ** اي رفع الصوت
لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه **وَالْمُنْخَنِقَةُ** التي ماتت بالخنق **وَالْمَوْقُوذَةُ**
المضروبة بنحو خشب وحجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته **وَالْمُتَرَدِّيَةُ** التي تردت من علو او في بير
فماتت **وَالنَّطِيحَةُ** التي نطحتها اخرى فماتت والتا فيها للنقل **وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ** اي وما اكل منه
السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل **إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ** الا ما
ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثنا مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع
لقطع الحلقوم والمري بمحدد **وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** النصب واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة
حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها وتقدير
وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب **وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ** اي وحرم
عليكم الاستقسام بالازلام وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي والثاني والثالث غفل فان خرج الامر مضوا لذلك وان خرج الثاني تجنبوا عنه
وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم
بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصبا المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم
كصرد **ذَلِكُمْ فِسْقٌ** اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال
باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافترا على الله ان اريد بربي وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر
المحرم او الى تناول ما حرم عليهم **الْيَوْمَ** ان اريد به يوما بعينه وانما اراد الحاضر وما يتصل به من الازمنة
الاتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع **يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ دِينِكُمْ** اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبايث وغيرها من ان يغلبوكم عليه
فَلَا تَخْشَوْهُمْ ان يظهروا عليكم **وَاخْشَوْنِ** واخلصوا الخشية لي **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ** بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول
الشرايع وقوانين الاجتهاد **وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم
منار الجاهلية **وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ** اخترته لكم **دِينًا** من بين الاديان وهو الدين عند الله
لا غير **فَمَنِ اضْطُرَّ** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق
وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شي
من هذه المحرمات **فِي مَخْمَصَةٍ** مجاعة **غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ** غير مايل له ومنحرف اليه بان ياكلها
تلذذا او مجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد **فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** لا يؤاخذه باكله
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا
وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسالونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين شايع في امثاله والمسؤل
ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سالوا عما احل لهم **قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ**
ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولا تتنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل

نص ولا قياس على حرمته **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات ان جعل ما موصولة على تقدير
وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على
اهلها من سباع ذوات الاربع والطير **مكلبين** معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه واثر ولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام
سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم **تعلمونهن** حال ثانية
او استيناف **مما علمكم الله** من الحيل وطرق التاديب فان العلم به الهام من الله او مكتسب بالعقل
الذي هو منحة من الله او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وينزجر بزجره وينصرف بدعائه
ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه **فكلوا مما امسكن عليكم** وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه السلام
لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك
في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا **واذكروا اسم الله
عليه** الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته
واتقوا الله في محرماته **ان الله سريع الحساب** فيواخذكم بما جل ودق **اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم** يتناول الذبايح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود
والنصارى واستثنى علي نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق
بهم المجوس في ذلك وان الحق بهم في التقرير على الجزية بقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي
نسايهم ولا اكلي ذبايحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم
لم يجز ذلك **والمحصنات من المومنات** الحراير العفايف وتخصيصهم بعث على ما هو الاولى
والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل
الحربيات **اذا اتيتموهن اجورهن** مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى
وقيل المراد باتيانها التزامها **محصنين** اعفاء في النكاح **غير مسافحين** مجاهرين بالزنا **ولا متخذي
اخدان** مسترين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى **ومن يكفر بالايمان فقد حبط
عمله وهو في الاخرة من الخاسرين** يريد بالايمان شرايع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة اذا اردتم القيام لقوله فاذا قرات القران فاستعذ
بالله عبر من ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر
اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشي والقيام اليه قصد له وظاهر
الاية يوجب الوضوء على كل قايم الى الصلوة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روي انه عليه السلام صلى الخمس
بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد
والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله
عليه السلام المايدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم**
امروا الماء عليه ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك **وايديكم الى المرافق** الجمهور على دخول المرفقين
في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة

الى المرافق ولو كان لذلك لم يبق معنى للتحديد ولا لذكره مزية فاين لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل
الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية لقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام
الى الليل لكن لما لم يتبين الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب دخالها احتياطا **وامسحوا برؤسكم**
الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل وبالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل
على تضمين الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي
اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ربع الراس لانه عليه السلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع
ومالك مسح كله اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى الكعبين** نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي
ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ المسح
لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القران والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر
في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفايدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد
في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخويه ايماء يدل على وجوب الترتيب وقرى
بالرفع على وارجلكم مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** فاغتسلوا **وان كنتم مرضى او على
سفر او جاء احد منكم من الغايط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام
في بيان انواع الطهارة **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة
او الامر بالتيمم تضييقا عليكم **ولكن يريد ليطهركم** لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء
تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف
واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد
ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة **وليتم نعمته عليكم** ليتم بشرعه
ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه
لعلكم تشكرون نعمته والاية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل
والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل
محدود وغير محدود وان التهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل
مرض او سفر وان الموعود عليها تطهير الذنوب واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم**
بالاسلام ليذكركم المنعم ويرغبكم في شكره **وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم
سمعنا واطعنا** يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان
واتقوا الله في انساء نعمته ونقض ميثاقه **ان الله عليم بذات الصدور** اي بخفياتها فيجازيكم
عليها فضلا عن جليات اعمالكم **يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط
ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا** عدي بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة
بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء

و ذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤوسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم صح

وقال مالك واحمد ... مسح الكل فرض ...

وصبية ونقض عهد شفيا مما في قلوبكم **اعدلوا هو اقرب للتقوى** اي العدل اقرب الي التقوى صرح
لهم الامر بالعدل وبين انه بانه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضي الهوي اذا كان
هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين **واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون** فيجازيكم
به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت في المشركين وهذه في اليهود او لمزيد الاهتمام
بالعدل والمبالغة في اطفاء ثائرة الغيظ **وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة**
واجر عظيم انما حذف ثاني مفعولي وعد استغناء بقوله مغفرة فانه استيناف تبينه وقيل الجملة في موضع
المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول **والذين كفروا وكذبوا باياتنا**
اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الاخر وفاء بحق الدعوة وفيه
مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم** روي ان المشركين
راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الي الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا
اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الي العصر فرد الله كيدهم بان انزل الله صلوة الخوف والاية
اشارة الي ذلك وقيل اشارة الي ما روي انه عليه السلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري يحسبهما مشركين فقالوا لهم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك
فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو بن جحاش الي رحي عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره
بذلك فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرقوا الناس عنه فجاء اعرابي
فسل سيفه فقال من يمنعك مني فقال الله فاسقطه جبريل من يده واخذه الرسول وقال من يمنعك مني
فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت **اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم**
بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش وبسط اليه لسانه اذا شتمه **فكف ايديهم عنكم**
منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم **واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** وانه الكافي
لايصال الخير ودفع الشر **ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا**
شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روي
ان بني اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله تعالى بالمسير الي اريحا الشام وكان يسكنها
الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى ان
ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنى من
ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فراوا اجراما عظيمة وباسا شديدا
فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوفنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف
وقال الله اني معكم بالنصرة **لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي وعزرتموهم**
اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير **واقرضتم الله قرضا حسنا** بانفاق
في سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول **لاكفرن عنكم سياتكم** جواب للقسم المدلول عليه
باللام في لئن ساد مسد جواب الشرط **ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر**
بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم **منكم فقد ضل سواء السبيل** ضلالا لا

لا شبهة

لا شبهة فيه ولا عذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة
فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا ومسخناهم وضربنا عليهم الجزية **وجعلنا**
قلوبهم قاسية لا تنفعل عن الايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية
او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه
يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين **يحرفون الكلم عن مواضعه** استيناف
بيان لقسوة قلوبهم فانه لا قسوة اشد من تغيير كلام الله والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول
لعناهم لا من القلوب اذ الضمير له فيه **ونسوا حظا** وتركوا نصيبا وافيا **مما ذكروا به** من التورية
او من اتباع محمد والمعنى انهم حرفوا التورية وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوا
فزلت نسوا اشياء منها عن حفظهم لما روي ان ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلى
هذه الاية **ولا تزال تطلع على خائنة منهم** خيانة او فرقة خائنة او خائن والهاء للمبالغة والمعنى
ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لا تزال ترى ذلك منهم **الا قليلا منهم** لم يخونوا وهم
الذين امنوا منهم وقيل الاستثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية **فاعف عنهم واصفح** ان تابوا
وامنوا وعاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف **ان الله يحب المحسنين**
تعليل الامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو
عن غيره **ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم** اي واخذنا من النصارى ميثاقهم
كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى
ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله **فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا** فالزمنا
من غري بالشيء اذا لصق به **بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة** بين فرق النصارى
نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون**
بالجزاء والعقاب **يا اهل الكتاب** يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس **قد جاءكم رسولنا**
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد واية الرجم في التورية وبشارة عيسى
باحمد في الانجيل **ويعفو عن كثير** لا يخبر به اذا لم يضطر اليه امر ديني او عن كثير منكم فلا يواخذ
بجرمه **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين** يعني القران فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال
والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا عليه السلام **يهدي به الله** وحد الضمير لان المراد
بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم **من اتبع رضوانه** من اتبع رضاه بالايمان منهم **سبل السلام** طرق
السلامة من العذاب او سبيل الله **ويخرجهم من الظلمات الى النور** من انواع الكفر الى الاسلام
باذنه بارادته او بتوفيقه **ويهديهم الى صراط مستقيم** طريق هو اقرب الطرق الى الله ومؤد
اليه لا محالة **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم** هم الذين قالوا بالاتحاد منهم
وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه هو انا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو
المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم **قل فمن يملك من الله شيئا**
فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا **ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض**

جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقديره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق يخلق من غير أصل كما خلق السموات والارض ومن أصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كما خلق حوى او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير ليجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى ويبين لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير فيه ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما السلام كان بينهما الف وسبعمائة نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما السلام كان بينهما ستمائة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم ان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكونون اليه واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم به ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اي وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حين قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى وقيل لما كانوا مملوكين في ايدي القبط وانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة وقيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا كنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا في دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله فتنقلبوا

خاسرين ثواب الدارين ويجوز في تنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا يتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريد وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اي يخافون الله ويتقونه وقيل كان رجلين من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اي من الذين يخافونهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ بالضم اي المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اي من الذين يخوفون من الله بالتذكير ويخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اي باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علماه من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنعه لموسى في قهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اي مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التاكيد والتابيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قاله شكوى بثه وحزنه الى الله لما خالفه قومه وايس منهم ولم يبق معه موافق نبوته غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يبق عليهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخي من يواخيني في الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسي او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير في لا املك او على ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير في نفسي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخلصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون في الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التي كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روي ان موسى عليه السلام سار بعده بمن بقي من بني اسرائيل ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض في التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبي وان الله امرهم بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبني اسرائيل واما يتيهون اي يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها هلكوا في التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روي انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى الليل فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع عليهم بالليل فيضيء لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذي يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم في التيه الا انه كان روحا لهم وزيادة في درجتهما وعقوبة لهم غير كالب ويوشع فلا

تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم
واتل عليهم نبأ ابني آدم قابيل وهابيل اوحى الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهم توأم الآخر فسخط
منه قابيل لان توأمه كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل
بان نزلت نارا واكلت فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وسلم لم يردهما ابني آدم لصلبه وانما هما رجلان
من بني اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بني اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اي تلاوة متلبسة بالحق
او حال من الضمير في اتل او نبأ اي متلبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف
لنبأ او حال منه او بدل على حذف مضاف اي اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب
به الى الله من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى ويعطى وهو في الاصل مصدر ولذلك لم
يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل
صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم
يخلص النية في قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد له على
تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين في جوابه انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى
لا من قبلي فلم تقتلني وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغي ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل
ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل
الا من مؤمن متق لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك
اني اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له
خوفا من الله لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه السلام كن عبد الله المقتول
ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط في جواب لئن بسطت للتبري عن هذا الفعل الشنيع رأسا
والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفي بالباء اني اريد ان تبوء باثمي واثمك
فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة
والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي واثمك ببسط يدك الي ونحوه على
المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وقيل المعنى باثمي اثم قتلي وباثمك الذي لم يتقبل لاجله
قربانك وكلاهما في موضع الحال اي ترجع متلبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته
بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون ذلك لا الي فالمراد بالذات
ان لا يكون له ولا يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصي جائزة فطوعت
له نفسه قتل اخيه فسهلت له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على
انه فاعل بمعنى فعل اي على قتل اخيه كانه دعاه الى الاقدام عليه فطاوعه وله لزيادة الربط كقولك
حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقي مدة عمره محزونا مطرودا
قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل في البصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله
غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه لما قتله تحير في
امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بني آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر

فحفر

فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة والضمير في ليريه لله او للغراب وكيف حال من الضمير في
يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى
قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي احضري فهذا اوانك
والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي لا اهتدي
الى ما اهتدى اليه وقوله فاواري عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى لو عجزت
لواريت وقرئ بالسكون على فانا اواري او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين
على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذ الغراب واسوداد
لونه وتبري ابويه منه اذ روي انه لما قتله اسود جسده فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لا يضحك وعدم الظفر
بما فعله لاجله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل في الاصل
مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل في تعليل الجنايات كقولهم من جراك فعلته اي من ان جررته ثم اتسع
فيه ثم استعمل في كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اي ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك انه
من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس يوجب القصاص او فساد في الارض او بغير فساد فيها كالشرك
وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس
عليه او من حيث ان قتل الواحد والجمع سواء في استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا اي ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ
من بعض اسباب الهلكة فكانما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها
في القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا في المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون اي بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم
من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحات تأكيدا للامر وتجديدا
للعهد كي يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون في الارض بالقتل ولا يبالون به وبهذا اتصلت القصة بما
قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال في الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله
اي يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب السلب والمراد
به هنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض فسادا
اي مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكانه قيل ويفسدون
في الارض فسادا ان يقتلوا اي قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اي يصلبوا
مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف في ان يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن
حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان
اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يتمكنوا من القرار في موضع
ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة بالحبس واو في الآية على هذا التفصيل وقيل انها للتخيير والامام
مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق ذلك لهم خزي في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة

عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص
بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى
الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة
لا تسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الاية في قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرا عنه العقوبة
قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اي ما تتوسلون
به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفي الحديث
الوسيلة منزلة في الجنة وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون
بالوصول الى الله والفوز بكرامته ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا
ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيمة واللام متعلقة بمحذوف
يستدعيه لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو
قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان
والجملة تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه
ولذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ ان
يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا
ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وجملة عند المبرد
والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب
وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما يوجب
القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه السلام القطع في ربع دينار فصاعدا
وللعلماء خلاف في ذلك لاحاديث وردت في ذلك وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدي
الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت
قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور
على انه الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان
على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد
ظلمه اي سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه
ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق
المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي او لكل احد يعذب من يشاء
ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير قدم التعذيب مقدم او لان المراد القطع وهو في الدنيا
يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اي صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا
في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اي من المنافقين
والباء متعلقة بقالوا لا بامنا والواو يحتمل الحال والعطف ومن الذين هادوا عطف على من الذين
قالوا سماعون للكذب خبر محذوف اي هم السماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز

ان يكون مبتدا ومن الذين خبره اي ومن اليهود قوم سماعون واللام في الكذب اما مزيدة للتاكيد او لتضمين
السماع معنى القبول اي قابلون لما يفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اي سماعون كلامك
ليكذبوا عليك فيها سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي لجمع اخر من اليهود لم يحضروا مجلسك
وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء والمعنى على الوجهين اي مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون
منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثاني مكرر للتاكيد اي سماعون
ليكذبوا لقوم اخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اي يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله فيها
اما لفظا باهماله او بغير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده والجملة صفة اخرى
لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او في موضع الرفع خبر لمحذوف اي هم
يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اي ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا
به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اي فاحذروا قبول ما افتاكم به روي ان شريفا
من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بني قريظة ليسئلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم
بالرجم فابوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق
البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل
تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ينزل علينا العذاب فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا في دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان
يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم في الدنيا خزي هوان بالجزية
والخوف من المؤمنين ولهم في الاخرة عذاب عظيم وهو الخلود في النار والضمير للذين هادوا
ان استانف بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتاكيد اكالون
للسحت اي الحرام كالرشى من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاءوك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين
الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضي لم يجب عليه الحكم وهو قول الشافعي والاصح وجوبه
اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم منهم والاية ليست في اهل
الذمة وعند ابي حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك
لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط
بالعدل الذي امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شانهم وكيف يحكمونك
وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص
عليه في الكتاب الذي هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع
وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان

رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدا فضميرها المستكن فيه وتانيثها لكونها نظيرة المونث في كلامهم لفظا
كمومات و دودات ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو
عطف علي يحكمونك داخل في حكم التعجب وما اولئك بالمومنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن ما
يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدي يهدي الي الحق ونور يكشف ما استبهم من
الاحكام يحكم بها النبيون يعني انبيا بني اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا
ما لم ينسخ وبهذه الاية تمسك القائل به الذين اسلموا صفة اجريت علي النبيين مدحا لهم وتنويها
بشان المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين هادوا متعلق
بانزل او بيحكم اي يحكمون بها في تحاكمهم وهو يدل علي ان النبيين انبياء هم والربانيون والاحبار
زهادهم وعلماؤهم السالكون طريقة انبيائهم عطف علي النبيون بما استحفظوا من كتاب الله
بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف والراجع الي ما محذوف ومن للتبيين
وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغير او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فلا
تخشوا الناس واخشون نهي للحكام ان يخشوا غير الله في حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة
كبير ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا باحكامي التي انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم
يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم
بان حكموا بغيره ولذلك وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون لكفرهم بانكاره وظلمهم بالحكم علي خلافه
وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحد من الصفات الثلاث باعتبار حال انضمت الي الامتناع
عن الحكم به ملايمة لها او لطايفة كما قيل هذه في المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون في اليهود والفاسقون
في النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا عليهم فيها في التورية ان النفس بالنفس اي ان النفس تقتل بالنفس والعين
بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن رفعها الكسائي علي انها جمل
معطوفة علي ان وما في حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل كتبنا عليهم النفس بالنفس والعين بالعين
فان الكتبة والقراءة يقعان علي الجمل كالقول او مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين
والانف مجدوعة بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن او علي المرفوع فيها معطوفة
علي المستكن في قوله بالنفس وانما ساغ لانه في الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور حال مبينة للمعنى
والجروح قصاص اي ذات قصاص وقراءة الكسائي ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر علي
انه اجمال للحكم بعد التفصيل فمن تصدق به بالقصاص اي فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له
للمتصدق يكفر الله به ذنوبه وقيل للجاني يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارة له اي فالتصدق كفارته
التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شيء ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك
هم الظالمون وقفينا علي اثارهم اي واتبعناهم علي اثارهم فحذف المفعول له لدلالة الجار والمجرور
عليه والضمير للنبيون بعيسى ابن مريم مفعول ثان عدي اليه الفعل بالبا مصدقا لما بين يديه
من التورية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور في موضع النصب بالحال ومصدقا
لما بين يديه من التورية عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبهما علي المفعول له

لهما

لهما عطفا علي محذوف وتعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه عليه في قراءة
حمزة وعلي الاول اللام متعلقة بمحذوف اي واتيناه ليحكم وقرئ وان ليحكم علي ان موصولة بالامر كقولك
امرتك بان قم وامرنا بان تحكم ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه او عن
الايمان ان كان مستهينا به والاية تدل علي ان الانجيل مشتمل علي الاحكام وان اليهودية منسوخة
ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها علي وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب
العمل باحكام التورية خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اي القران مصدقا لما
بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فاللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا
عليه ورقيبا علي سائر الكتب المحفوظة عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ علي بنية المفعول
اي هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هو الله تعالى او الحافظ في كل عصر فاحكم بينهم بما
انزل الله اي بما انزل اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الي ما
يشتهونه فمن صلة لا تتبع لتضمنه معنى لا تنحرف او حال من فاعله اي لا تتبع اهواءهم مائلا عما
جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهي الطريقة الي الماء شبه بها الدين
لانه طريق الي ما هو سبب الحيوة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في الدين
من نهج الامر اذا وضح واستدل به علي انا غير متعبدين بالشرايع المتقدمة ولو شاء الله لجعلكم
امة واحدة جماعة متفقة علي دين واحد في جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لو شاء محذوف
دل عليه الجواب وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم علي الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما
اتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان
اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام ترغبون عن الحق وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات
فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الي الله مرجعكم جميعا
استيناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما
كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم
بينهم بما انزل الله عطف علي الكتاب اي انزلنا اليك الكتاب والحكم او علي الحق اي انزلناه بالحق وبان
احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك
عن بعض ما انزل الله اليك اي ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال
اي احذرهم فتنتهم او مفعول له اي احذرهم مخافة ان يفتنوك روي ان احبار اليهود قالوا اتنا
ان تبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك
ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا
غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني ذنب التولي عن حكم الله تعالى عبر عنه بذلك
تنبيها علي ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وهو دلالة علي التعظيم كما في التنكير
ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون افحكم
الجاهلية يبغون الذي هو الميل والمداهنة في الحكم والمراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى

وقيل نزلت في بني قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية
من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدا ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه في الصلة في قوله
اهذا الذي بعث الله رسولا واستضعف ذلك في غير الشعر وقرئ الحكم الجاهلية تبغون **ومن احسن من الله**
حكما لقوم يوقنون اي عندهم واللام للبيان كما في قوله هيت لك اي هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم
الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله **يا ايها الذين**
امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب
بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهي اي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم
في الدين واجماعهم على مضادتكم **ومن يتولهم منكم فانه منهم** اي ومن والاهم فانه من جملتهم
وهذا التشديد في وجوب مجانبتهم كما قال عليه السلام لا تتراءى ناراهما اولان الموالي لهم كانوا منافقين
ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم
فترى الذين في قلوبهم مرض يعني ابن ابي واضرابه **يسارعون فيهم** اي في موالاتهم ومعاونتهم
يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة ويعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر بان ينقلب
الامر ويكون الدولة للكفار روي ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي موالي من اليهود
كثير اعدادهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال ابن ابي اني رجل اخاف الدوائر
من ولاية موالي فنزلت **فعسى الله ان ياتي بالفتح** لرسول الله على اعدائه واظهار المسلمين **او امر**
من عنده بقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء والامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم **فيصبحوا**
اي هؤلاء المنافقين **على ما اسروا في انفسهم نادمين** على ما استبطنوه من الكفر والشك في امر الرسول
فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم **ويقول الذين امنوا** بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائي على انه
كلام مبتدا ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول
المؤمنون ح وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان ياتي باعتبار المعنى وكانه قال عسى ان
ياتي الله بالفتح ويقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا في اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه
من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان ياتي بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقول المؤمنون بعضهم لبعض
تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة
كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو في الاصل مصدر ونصبه على الحال
على تقدير واقسموا بالله يجتهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها
معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا **حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين** اما من جملة القول
او من قول الله شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم
يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه قراه نافع على الاصل وابن عامر وهو كذلك
في الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التي اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب
في اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي

تنبا باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمي ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غد
واخبر الرسول في تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر في اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة
تنبا وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض
نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجند المسلمين فقتله الوحشي قاتل حمزة وبنو اسد
قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وفي عهد ابي بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبية
زوج مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطمي وكفى الله امرهم على يده
وفي امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام **فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه**
قيل هم اهل اليمن لما روي انه عليه السلام اشار الى ابي موسى وقال قوم هذا وقيل الذين جاهدوا يوم
القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس والراجع الى
من محذوف تقديره فسوف ياتي الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم
في الدنيا وحسن الثواب في الاخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه **اذلة على**
المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن
معنى العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة
اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال **يجاهدون في**
سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير في اعزة **ولا يخافون لومة لائم** عطف على يجاهدون
بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم
خلاف المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيئا
يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان **ذلك** اشارة الى
ما تقدم من الاوصاف **فضل الله يؤتيه من يشاء** يمنحه ويوفقه له **والله واسع** كثير الفضل
عليم بمن هو اهله **انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا** لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر
عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله
وللمؤمنين على التبع **الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة** صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى
الاسم او بدل منه ويجوز نصبه ورفعه على المدح **وهم راكعون** متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو
حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكوة في حال ركوعهم في الصلوة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه
وانها نزلت في علي عليه السلام حين ساله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة
على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيهم والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل
الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء به لترغيب الناس في مثل فعله فيندر
جوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة **ومن**

يتول الله ورسوله والذين آمنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم
الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء
فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا
لمن توالى غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار
اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء على العلة وتنبيها على ان من هذا شانه
بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم
ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم
ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه
الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المعاصي ان كنتم مؤمنين
لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها
هزوا ولعبا اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا
بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة
بنار واهله نيام فتطاير شررة في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي
الى الجهل بالحق والهزء به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون
منه وكذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهو لغة الا ان آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف
على ان آمنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث اخلصنا الايمان
وانتم خارجون عنه او كان الاصل واعتقاد انكم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا
الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان آمنا لقلة انصافكم
وفسقكم او نصب باضمار فعل دل عليه تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والآية خطاب
ليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن من نؤمن به فقال بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون
فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك
المتقدم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا
موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز عن بشر من لعنه الله وغضب
عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من شر على حذف مضاف اي بشر من اهل ذلك من لعنه
الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر محذوف اي هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من
رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت
وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير

وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبدة الطاغوت على البناء للمفعول ورفع الطاغوت
وعبد الطاغوت بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اي فيهم او بينهم ومن قرا وعابد الطاغوت
واعبد على انه كفاطن وافطن وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من والمراد من الطاغوت العجل
وقيل الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله اولئك اي الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا
ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق
المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود والمراد بصيغتي التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة
الى المؤمنين في الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت في يهود نافقوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم او عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اي يخرجون من عندك
كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل
دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت به ايضا لما فيها
من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة وكان الرسول يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون
اي من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اي من اليهود او من المنافقين يسارعون في الاثم
اي الحرام وقيل الكذب لقوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد في المعاصي وقيل
الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اي الحرام خصه بالذكر للمبالغة
لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم
الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهي عن ذلك فان لولا اذا دخل الماضي افاد التوبيخ
واذا دخل المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون
من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وتروّ وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم
لان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار
عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد
وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل او بسط ولذلك يستعمل حيث
لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات
المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير لقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدي حقيقة
يغلون اسارى في الدنيا ومسحبين الى النار في الآخرة فيكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة
الاصل كقولك سبني سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه
واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة
وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تاكيد لذلك اي هو مختار في انفاقه يوسع
تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق في ذات يد ولا يجوز
جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا عائد ضمير لهما فيه ولا من يداه
لذلك والآية نزلت في فنحاص بن عازوراء لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم

تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشترك فيه الاخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا بما يسمعون من القران كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذا الصالح للاصحا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحرب وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب امنوا بما جاء به محمد واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم اي التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم وجعلناهم الخالدين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل باذاعة ما فيهما والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القران لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اوسع عليهم ارزاقهم بان تفيض عليهم بركات السماء والارض او تكثر ثمرات الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنون ما تهدل منها من راس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم امنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملون وفيه معنى التعجب اي ما اساء عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه او الافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل غير مراقب احد ولا خائف مكروها وان لم تفعل فان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس فظاهر الاية توجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد تبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التورية

والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها امرة بالايمان لمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذلك والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدا وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التوكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتدا وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتدا وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدا كما مر والراجع محذوف اي من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرى والصابين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرايع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اي رسول منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استيناف وانما جي يقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية واستحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الاي وحسبوا ان لا تكون فتنة اي وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب الا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا يكون وادخل فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيلا له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم تاب الله عليهم اي ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كرة اخرى وقرئ بالضم على ان الله عماهم وصمهم اي رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية

أعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقوله اكلوني البراغيث او خبر
مبتدا محذوف اي العمي والصم كثير منهم وقيل مبتدا والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم
الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب
مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال
فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين وما
واه النار فانها المعدة للمشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم
من النار فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل
ان يكون تمام كلام عيسى وان يكون من كلام الله تنبيها على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا
اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة اي احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة
وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما في الوجود ذات
واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدئ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن
قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون وان لم يوحدوا ليمسن الذين
كفروا منهم عذاب اليم اي ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا
للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقطع عنه ولذلك عقبه بقوله
افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اي الا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة
ويستغفرون بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور
رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفي هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح ابن
مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اي ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم
بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى وهي اعجب وان خلقه
من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتي يلازمن
الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران افتقار الحيوانات بين اولا اقصى
ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما في مثله ثم نبه على نقصهما
وذكر ما ينافي الربوبية ويقتضي ان يكون من الكائنة الفاسدة ثم تعجب ممن يدعي الربوبية لهما مع امثال هذه
الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع
الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اي ان بياننا للآيات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى وهو وان ملك ذلك بتمليك الله
لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة
وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه في ذاته توطية لنفي القدرة عنه راسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن
كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة بمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم

من تحري النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقايد فيجازي عليها
ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
غير الحق اي غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشده
وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعني اسلافهم
وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا ممن تابعهم
على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذي هو الاسلام بعد مبعثه
لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم
اي لعنهم الله في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل اهل ايلة لما اعتدوا في السبت لعنهم داود فمسخهم الله
قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف
رجل ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك اللعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اي لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر
فعلوه او عن منكر ارادوا فعله وتهيؤوا له او لا ينتهون عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه
اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم
من اهل الكتاب يتولون الذين كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى موجب سخط الله
والخلود في العذاب او علة الذم والمخصوص محذوف اي لبئس شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود
ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه يعني نبيهم وان كانت الآية في المنافقين
فالمراد نبينا ما اتخذوهم اولياء اذ المراد يمنعهم ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون
عن دينهم او متمردون في نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود
والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد
وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين
آمنوا الذين قالوا انا نصارى للين جانبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة اهتمامهم في العلم والعمل
واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم
والعمل والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم
ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة
او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية
للتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا

كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق
او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع قيام الدواعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول مداخلهم او جواب سائل قال
لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله
اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره
توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل
الاولى مقيدا بها او بنؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل
او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان و القسيسين
وامر جعفرا ان يقرأ عليهم القران فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقران وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين
رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين
كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه
لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه لانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى
على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله
بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا ما حد الله
لكم الى ما حرم عليكم لتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا الى ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم او مر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا
وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت
وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي فكلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول
كلوا ومما حال منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان يكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون
مفعولا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق
على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي
وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه
مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى

ولكن يو

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش
عقدتم بالتخفيف وابن عامر عاقدتم برواية ابن ذكوان وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة
نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل
الحنث وهو عندنا خلاف للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها
فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم
من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب
لانه صفة لمفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع
على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من سكنها في الاحوال الثلاث
كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة او كسوتهم عطف على
اطعام او من اوسط ان جعل بدلا وهي ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء وازار وقرئ بضم
الكاف وهو لغة كقدوة وكاسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم
ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كاسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق
انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث
مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد اي واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام
ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليس بحجة عندنا
اذ لم يثبت كتابا ولم يرد سنة ذلك اي المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم
واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر وبان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت
بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم كذلك اي مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرعه
لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل
لكم المخرج منه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام التي نصبت
للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده
لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف او المضاف محذوف كانه قال انما تعاطي الخمر والميسر
من عمل الشيطان لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر
او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر
والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا
وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن
عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية
المقتضية للتحريم فقال انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما
من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة
والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلوة من الذكر بالافراد للتعظيم

والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عبادة والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد
الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم
منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا
الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا
البلاغ المبين اي فاعلموا انكم لم تضروا الرسول بتوليتكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما
ضررتم انفسكم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا
الصالحات اي اذا لم يتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا وامنوا ثم استمروا وثبتوا
على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قال
الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون الميسر فنزلت
ويحتمل ان يكون هذا التكرير باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان
التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله ولذلك بدل الايمان
بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قال عليه السلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث
المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات
تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات صونا لها عن الخبث وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة
والله يحب المحسنين فلا يواخذهم بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا
صار لله محبوبا يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم نزلت في عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم
بحيث يتمكنون من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير
في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظايم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال
فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عند ما هو اشد منه ليعلم الله من يخافه بالغيب
ليميز الخايف من عقابه وهو غايب منتظر بقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه
فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى بعد ذلك بعد ذلك الابتلا
بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي
حكم الله فيه فكيف به فيما يكون فيه النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون
الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه
السلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي
رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل موذ واختلف في ان هذا
النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قبل ما يقتله
والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطي واحد في ايجاب الضمان

بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الاية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عرض لهم في عمرة الحديبية
حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء
والمثل قراءة الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق
الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة فلا يوصف ما لم يتم بها وانما يكون
صفته وقرا الباقون على اضافة المصدر الى المفعول او اقحام مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى
فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل بنصبهما على فليجز جزاء مماثلا ما
قتل او فجزاؤه مثل ما قتل وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند
ابي حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت ثمن الهدي تخير بين ان يهدي ما قيمته قيمته وبين
ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل
مسكين يوما وان لم يبلغ يخير بين الاطعام والصوم واللفظ الاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من الضمير في خبره او منه اذا اضفته او وصفته ورفعته بخبر مقدر
لمن وكما ان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد يحتاج الى المماثلة في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه
كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان يكون للتخصيص
بالصفة او بدل عن مثل باعتبار محله ولفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان اضافته
لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح بالحرم ويتصدق به حيث
شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر محذوف طعام مساكين عطف بيان
او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرا نافع وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك
خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر بالطعام مساكين ما يساوي قيمة الهدي في غالب قوت
البلد يعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن طعام كل
مسكين يوما وهو في الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار
كعدلي الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره متعلق بمحذوف
اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه حرمة الاحرام او الثقل
الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل
الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله منه
فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العايد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز
ذو انتقام ممن اصر على عصيانه احل لكم صيد البحر ما صيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو
حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه
الا السمك وقيل يحل السمك وما يوكل نظيره في البر وطعامه ما قذفه او نضب عنه وقيل
الضمير للصيد وطعامه اكله وحرم عليكم صيد البر ما صيد فيه او الصيد فيه فعلى
الاول يحرم على المحرم ايضا ما صاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه
السلام لحم الصيد حلال لكم ما لم تصطادوه او يصد لكم ما دمتم حرما اي محرمين وقرئ
بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها

وانما سمي البيت كعبة لتكعبه **البيت الحرام** عطف بيان على جملة جهة المدح او المفعول الثاني
قياما للناس انتعاشا لهم اي سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخايف ويأمن
فيه الضعيف وتربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار وما يقوم به امر دينهم ودنياهم
وقرا ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعل في فعله ونصبه على المصدر
او على الحال **والشهر الحرام والهدي والقلايد** سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى
الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقربانه وقيل الجنس **ذلك** اشارة الى الجعل او الى ما ذكر من الامر
يحيط حرمة الاحرام وغيره **ليعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** فان شرع الاحكام
لدفع المضار قبل وقوعها اوجلب المنافع المترتبة عليها دليل حكمة الشارع وكمال علمه **وان الله
بكل شي عليم** تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق **اعلموا ان الله شديد العقاب وان
الله غفور رحيم** وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه
ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اي الرسول اتى بما امر من التبليغ ولم يبق
لكم عذر في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة
قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي من الاشخاص والاعمال
والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال **ولو اعجبك كثرة الخبيث** فان العبرة بالجودة
والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك
قال **فاتقوا الله يا اولي الالباب** اي فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر واثروا الطيب وان قل
لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون
ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين **يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** الشرطية وما
عطف عليها صفتان لاشيا والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشيا ان تظهر
لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم فهما متلازمتان ما يمنع السؤال وهو انه
مما يغمهم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشيا اسم جمع كطرفا غير انه قلبت لامه فجعلت لفعا وقيل افعلا
حذفت لامه جمع الشي على انه اصله شيء كهين او شي كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير
كبيت وابيات ويرده منع صرفه **عفا الله عنها** صفة اخرى اي عن اشيا عفا الله عنها ولم تكلف
بها اذ روي انها لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال سراقة ابن مالك اكل عام فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم
فاتركوني ما تركتكم او استيناف اي عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها **والله
غفور حليم** لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه عليه السلام كان يخطب ذات يوم وهو غضبان من كثرة ما يسئلون مما لا يعنيهم فقال لا أسأل
عن شي الا اجبت فقال رجل اين انا فقال في النار وقال اخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت
قد سألها قوم الضمير للمسئلة التي دلت عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشيا بحذف الجار

من قبلكم

من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا تكون صفة للجثة ولا حالا منها
ولا خبرا عنها **ثم اصبحوا بها كافرين** اي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا **ما جعل الله من
بحيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام** رد وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم
اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب
ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتي سايبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع
بها واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى
اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء
ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدى الى مفعول واحد
وهو البحيرة ومن مزيدة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب** بتحريم ذلك
ونسبته اليه **واكثرهم لا يعقلون** اي الحلال من الحرام والمباح من المحرم والامر من الناهي
ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن يمنعه حب الرياسة
وتقليد الابا ان يعترفوا به **واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا
ما وجدنا عليه اباءنا** بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وان لا سند لهم سواه **اولو
كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل
على هذه الحال اي احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتدا
انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك لا يعرف الا بالحجة فلا يكفي التقليد **يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم** اي احفظوها والزموا اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك
نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتدا **لا يضركم من ضل اذا اهتديتم** لا يضركم الضلال
اذا اهتديتم مهتدين ومن الاهتدا ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من راى
منكرا واستطاع ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه
والاية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستانف ويؤيده ان قرئ لا يضيركم
والجزم على الجواب او النهي لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة
وينصره قراءة من قرا لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره
ويضوره **الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون** وعد ووعيد للفريقين
وتنبيه على ان احدا لا يواخذ بذنب غيره **يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم** اي فيما
امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة
بالنصب والتنوين على ليقم **اذا حضر احدكم الموت** اذا شارفه وظهرت اماراته وهو
ظرف للشهادة **حين الوصية** بدل منه وفي ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغي ان لا
يتهاون فيه او ظرف حضر **اثنان** فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف
ذوا عدل منكم اي من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لبيان **او اخران من**

غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم
لا تسمع اجماعا ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت
اي قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما او تصبرونهما صفة لاخران والشرط بجوابه المحذوف
المدلول عليه بقوله او اخران من غيركم اعتراض وفايدته الدلالة على انه ينبغي ان يشهد
اثنان منكم فان تعذر كما في السفر فمن غيركم او استيناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين
فقال تحبسونهما من بعد الصلوة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملايكة الليل
وملايكة النهار وقيل اي صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اي ارتاب الوارث منكم
لا نشتري به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم بحال الارتياب والمعنى
لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبا للطمع ولو كان ذا قربى
ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة
التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الاثمين اي ان كتمنا
وقري لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع
على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فاخران فشاهدان اخران يقومان
مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين استحق عليهم وهم الورثة وقرا حفص استحق
على البنا للفاعل وهو الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر
محذوف اي هما الاوليان او خبر اخران او مبتدا خبره اخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان
وقرا حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الذين استحق
عليهم وقري الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان
بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا
فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا
ومعنى الايتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه
على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فاخران من غيرهم ان وقع نزاع
وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة وظنه
حلف اخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد
ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة
الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغييرا لدعوي اذ روي ان تميما الداري
وعدي بن بدا خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينيذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان
مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به
واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلثماية
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين امنوا الاية فحلفهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهم بنو سهم
في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة
السهميان فحلفا ولعل تخصيص العدد بخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي
تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما حملوها
من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على
المدعي بعد ايمانهم فيفتضحوا لظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود
واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي
فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يهديهم الى حجة او
الى طريق الجنة نقوله يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال
او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعه او منصوب باضمار اذكر
فيقول اي للرسل ماذا اجبتم اي اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شي اجبتم
فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان السؤال الموؤدة لتوبيخ الوالد ولذلك قالوا
لا علم لنا اي لا علم لنا بما لست تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما اجابونا واظهروا لنا
وما لم نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى
جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقري علام بالنصب على ان الكلام
قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروف وعلام منصوب على الاختصاص
او النداء وقرا ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم
اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى
انه تعالى يوبخ الكفرة يوميذ بسوال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الايات فكذبتهم
طايفة وسموهم سحرة وغلا اخرون فاتخذوهم الهة او نصب باضمار اذكر اذ ايدتك قويتك
وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقري ايدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي
تحيى به الدين او النفس حياة ابدية وتطهر من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا
اي كاينا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولية والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية
بحال الكهولة في كمال العقل والتكلم به واستدل على انه سينزل بانه رفع قبل ان اكتهل واذ علمتك
الكتاب والحكمة والتورية والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني
فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبري الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني
سبق تفسيره في سورة ال عمران وقرا نافع ويعقوب طايرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ
كففت بني اسرايل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جيتهم بالبينات ظرف لكففت
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اي ما هذا الذي جيت به الا سحر وقرا حمزة والكسايي
الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي

ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان يكون ان مصدرية وان يكون مفسرة قالوا آمنا واشهد
بأننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا
فيكون تنبيها على ان ادعاهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة ما تقتضيه
الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك اي يجيبك واستطاع
بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرا الكسائي تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسئله ذلك
من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه
كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان
كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان قالوا نريد ان ناكل منها
تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام
علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة وان الله
يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما روي ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه
فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون
يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك يسمى يوم العيد عيدا وقرئ تكن على
جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا للمتقدمين منا والمتاخرين روي
انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل ياكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطايفة وآية عطف على عيدا منك صفة لها اي آية كائنة منك دالة
على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين خير من
يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله اني منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرا
نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا اي تعذيبا
ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او العذاب ان اريد به ما يعذب
به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا
قردة وخنازير ولم يعذب بذلك غيرهم روي انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون
اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
واذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها
من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل
وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا
ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم
الله ويزدكم الله من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة

مطلب نزول المائدة بالوان الاطعمة

احيي

احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها
فمسخوا وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى
اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم
يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى ان اجعل مائدتي في الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب
الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثمائة وثلاثون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا
لا نريد ولم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحي المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة
ههنا عبارة عن حقايق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا لعل الحال
انهم رغبوا في حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى ان حصل لكم الايمان فاستعملوا التقوى
حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله ان
والحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف
له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى
بن مريم ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم
ومن دون الله صفة للالهين او صلة اتخذوني ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه
تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كانما عبدهما ولم يعبده
او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل
الى عبادة الله تعالى وكانه قيل اتخذوني وامي الهين متوصلين بنا الى الله قال سبحانك
اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي
ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك تعلم ما اخفي في نفسي كما اعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله
في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين
باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتني به تصريح بنفي المستفهم عنه بعد
تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربي وربكم عطف بيان للضمير في به او بدل
منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع
او خبر مضمر او مفعول له مثل هو او اعني ولا يجوز ابداله مما امرتني به فان المصدر لا يكون مفعول
القول ولا ان يكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله وهو لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم
والقول لا يفسر بل الجملة يحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان قيل ما امرتهم الا ما امرتني
به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اي رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا
ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتني بالرفع الى السماء لقوله
اني متوفيك ورافعك الي والتوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع
من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال

الايات وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ مطلع عليه مراقب له إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ اي ان
تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا
ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فلا عجز
ولا استقباح فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي لا يثيب ولا يعاقب الا عن
حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان عفوت ففضل
وعدم غفران الشرك بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد والتعليق بان قَالَ
اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ وقرا نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا
محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بني
على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق في الدنيا
فان النافع ما كان حال التكليف لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا
رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ بيان النفع لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم في المسيح
وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غيرا اولي العقل في غاية القصور
عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة العبودية واهانة بهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية
ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي
ونصراني تنفس في الدنيا سُورَةُ الْأَنْعَامِ مكية غير ست آيات من قوله قُلْ تَعَالَوْا وهي
مائة وخمس وستون اية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم
يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهي مثلهن لان طبقاتها
مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ انشاهما والفرق بين خلق وجعل الذي له مفعول واحد ان
الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمة
بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام
الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد
وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الاية
ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته ويكفرون بربهم تنبيها على انه خلق هذه
الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمدوا عليها ولا يكفروا او على قوله خلق على معنى انه
خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه ومعنى ثم استبعاد

عدولهم

عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اي
يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثاني متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار
يعدلون بربهم الاوثان اي يسوون بها به هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ اي ابتدا خلقكم
منه فانه المادة الاولى وان ادم هو الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف
ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا اجل الموت وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت
والثاني ما بين الموت والبعث فان الاجل يطلق لاخر المدة ولجملتها وهو مبتدا خصه بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم
الخبر والاستيناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اي مثبت معين لا يقبل التغيير
واخبر عنه انه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ
استبعاد لامترائهم بعد ان ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى اجالهم فان من قدر على خلق
المواد وجمعها وابداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالاية الاولى
دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المري وهو استخراج اللبن من
الضرع وَهُوَ اللَّهُ الضمير لله والله خبر فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق
للعبادة فيهما لا غير كقوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ
الجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقوله رميت الصيد
في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبر والمعنى انه تعالى لكمال علمه فيهما كانه
فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم وَيَعْلَمُ مَا
تَكْسِبُونَ من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر
من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ من الاولى
مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات
او اية من ايات القران إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه لَقَدْ
كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ يعني القران وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين
عن الايات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القران وكذبوا به
وهو اعظم الايات فكيف لا يعرضون عن غيره ولذلك رتب عليه بالفاء فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ
أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزئون عند نزول العذاب بهم
في الدنيا او الاخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن
قَرْنٍ اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل القرن اهل
عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ
جعلنا لهم فيها مكانا او قررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والالات ما تمكنوا بها من انواع
التصرف فيها مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ما لم نجعل لكم من السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم
نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ
عَلَيْهِم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدا المطر منها مِّدْرَارًا مغزارا وَجَعَلْنَا

هـ يطلق الاجل لاخر المدة ويطلق لجملتها وقيل الاول النوم والاخر الموت وقيل الاول لمن مضى والثاني لمن بقي ولمن يأتي

الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والاثمار فاهلكناهم بذنوبهم
اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشانا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى
انه تعالى كما قدر ان يهلك من قبلكم كعاد وثمود وينشي مكانهم آخرين يعمر بهم بلادهم قادر ان يفعل
ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فلمسوه
وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه
الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به بالفحص كقوله وانا لمسنا
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا
انزل عليه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا
لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل
بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون
بعد نزوله طرفة عين ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون
لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا
يعاينوه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية
لا تقوى على روية الملك في صورته وانما راهم كذلك الافراد من الانبيا بقوتهم القدسية وللبسنا
جواب محذوف اي ولو جعلناه رجلا للبسنا اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا
الا بشر مثلكم وقرا حمزة لبسنا بلام ولبّسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا
به يستهزءون فاحاط بهم الذي كانوا يستهزءون به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال
استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله
بعذاب الاستيصال كي يعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمة
لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر
في آثار الهالكين قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله
تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب على نفسه
الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن الهداية الى معرفته والعلم
بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر ليجمعنكم الى يوم القيمة استيناف
وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر اي ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيامة فيجازيكم
على شرككم او في القيامة والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فانه من رحمته بعثه اياكم
وانعامه عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع راس مالهم وهو الفطرة
الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم او رفع على الخبر اي وانتم الذين او على الابتدا
والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل

باتباع

باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر
والامتناع عن الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته
بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من السكون
اي ما سكن فيهما او تحرك واكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع بكل مسموع العليم
بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين على اقوالهم وافعالهم قل
اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ الولي فلذلك قدم واولي الهمزة
والمراد بالولي المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك فاطر السموات والارض مبدعهما
وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما
انا فطرتها اي ابتداتها وجره على الصفة لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب
على المدح وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
وقرئ ولا يطعم بفتح اليا وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن هو
فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل على ان الثاني من
اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل
اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الدين ولا تكونن من المشركين
وقيل لي ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم
مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم بانهم عصاة مستوجبون العذاب والشرط معترض
بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اي يصرف
العذاب عنه وقرا حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله
وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف فقد رحمه نجاه وانعم عليه
وذلك الفوز المبين اي الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر
فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة وصحة وغنا
فهو على كل شيء قدير وكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله
تعالى فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة
وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اي شيء اكبر شهادة
نزلت حين قالت قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم
ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه
في سورة البقرة قل الله اي الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد
ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شهادة واوحي
الي هذا القرآن لانذركم به اي بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ
عطف على ضمير المخاطبين اي لانذركم به يا اهل مكة وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من
الثقلين او لانذركم ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيامة وهو دليل على ان احكام القرآن

يعم الموجود بين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يواخذ بها من لم يبلغه أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ
مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قُلْ لَا أَشْهَدُ بما تشهدون قُلْ إِنَّمَا هُوَ
إِلَٰهٌ وَاحِدٌ اي بل اشهد ان لا اله الا هو وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ يعني الاصنام الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ يعرفون رسول الله بحليته المذكوره في التورية والانجيل كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمُ بحلاهم الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ من اهل الكتاب والمشركين فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ لتضييعهم
ما به يكتسب الايمان وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كقولهم الملايكة بنات الله وهولاء شفعاؤنا
عند الله أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ كان كذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا
بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس إِنَّهُ الضمير للشان
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ فضلا من لا احد اظلم منه وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا منصوب بمضمر تهويلا للامر
ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ اي الهتكم التي جعلتموها شركا الله وقرا يعقوب يحشرهم
ويقول بالياء الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ اي تزعمونهم شركا فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ
ولعله يحال بينهم وبين الهتهم حينيذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجا فيها ويحتمل ان يشاهدوهم
ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيبوا عنهم ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اي كفرهم والمراد عاقبته وقيل
معذرتهم التي يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنت الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه
فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص وقرا ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم
بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتانيث
للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يكذبون
ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد
ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا
عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ اي لا بنفي الشرك عنها وحمله على كذبهم في الدنيا تعسف يخل بالنظر ونظير ذلك قوله
يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرا حمزة والكساي ربنا بالنصب على الندا والمدح
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من الشركاء وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حين تتلو القران والمراد
ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقرا فقالوا للنضر ما يقول فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول الا انه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً اغطية جمع كنان
وهو ما يستر الشيء أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان يفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق
ذلك في اول البقره وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ اي بلغ تكذيبهم الايات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هي التي تقع بعدها الجمل
لا عمل لها والجملة اذا وجوابه يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ فانه جعل اصدق
الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان يكون الجارة واذا جاؤ
في موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطوره او اسطارة جمع

سطر واصله السطر بمعنى الخط وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ اي ينهون الناس عن القران او الرسول
والايمان به وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ بانفسهم او ينهون عن التعريض لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وينأون عنه فلا يؤمنون به كابي طالب وَإِنْ يُهْلِكُونَ وما يهلكون بذلك إِلَّا أَنْفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ جوابه محذوف
اي لو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار
عذابها لرايت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا
نُرَدُّ تمنيا للرجوع الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ استينافا كلام منهم
على وجه الاثبات كقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني او عطف على نرد او حال من الضمير
فيه فيكون في حكم التمني وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمني من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص
على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراها مجرى الفاء وقرا ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثاني على الجواب
بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمني والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا
يخفون من نفاقهم او قبايح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لامنوا وَلَوْ رُدُّوا الى الدنيا بعد الوقوف
والظهور لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ من الكفر والمعاصي وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا من انفسهم وَقَالُوا
عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا
الدُّنْيَا الضمير للحياة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ مجاز عن الحبس للسؤال والتوبيخ
وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه او عرفوه حق التعريف قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ كانه جواب
قايل قال ماذا قال ربهم حينيذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب
والعقاب قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ بسبب كفركم او ببدله قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم
واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ غاية
لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بَغْتَةً فجاءة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجي
قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا اي تعالى فهذا اوانك عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا قصرنا فِيهَا في الحيوة الدنيا اضمرت وان
لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان لها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ
تمثيل لاستحقاقهم اصار الاثام أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ بيس شيا يزرونه وزرهم وَمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ اي وما اعمالها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة
دايمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال
المتقين لعب ولهو وقرا ابن عامر ولدار الاخرة أَفَلَا تَعْقِلُونَ اي الامرين خير وقرا نافع وابن عامر
وجعفر عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغايبين قَدْ نَعْلَمُ
إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله قد يهلك المال نايله والهاء
في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ في الحقيقة وقرا نافع والكساي لا يكذبونك

من الكذب اذا وجده كاذبا او نسبه الي الكذب ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولكنهم يجحدون
بايات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة علي انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم
علي الظلم والبا لتضمن الجحود معني التكذيب روي ان اباجهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا لصادق
وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم
وفيه دليل علي ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا علي ما كذبوا واوذوا علي تكذيبهم
وايذائهم فتاس بهم واصبر حتي اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل
لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الايات ولقد جاءك من
نبا المرسلين اي من قصصهم وما كابدوا من قومهم وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم
عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم
باية منفذا تنفذ فيه الي جوف الارض فتطلع لهم اية او مصعدا تصعد به الي السماء فتنزل منها اية
وفي الارض صفة لنفقا وفي السماء صفة لسلما ويجوز ان يكون متعلقين بتبتغي او حالين من المستكن
وجواب الشرط الثاني محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ علي
اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتي بها رجاء ايمانهم ولو شاء
الله لجمعهم علي الهدي اي ولو شاء الله جمعهم علي الهدي لوفقهم للايمان حتي يؤمنوا ولكن لم يتعلق
به مشيته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شا لجمعهم علي الهدي بان ياتيهم باية ملجية ولكن
لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص علي ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر
فان ذلك من داب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل كقوله
او القي السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتي الذين لا يسمعون والموتي يبعثهم الله فيعلمهم حين
لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اي اية مما اقترحوه
او اية اخري سوي ما انزل الله من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر
علي ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الي الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن
اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر علي انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة
عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعني واحد وما من دابة في الارض تدب علي وجهها
ولا طائر وقري ولاطاير بالرفع علي المحل يطير بجناحيه في الهوي وصفه به قطعا لمجاز السرعة
ونحوها وقري ولا طاير بالرفع علي المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها
والمقصود من ذلك الدلالة علي كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل علي انه قادر
علي ان ينزل اية وجمع الامم للحمل علي المعني ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني اللوح المحفوظ فانه مشتمل
علي ما يجري في العالم من الجليل والدقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه
ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن زايدة وشي في موضع المصدر لا المفعول به فان
فرط لا يتعدي بنفسه وقد عدي بفي الي الكتاب وقري ما فرطنا بالتخفيف ثم الي ربهم يحشرون
يعني الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روي انه ياخذ للجما من القرنا وعن ابن عباس حشرها موتها

والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة علي ربوبيته وكمال علمه وعظم
قدرته سماعا تتاثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات خبر ثالث اي خابطون
في ظلمات الكفر او ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن في الخبر
من يشا الله يضلله من يشا الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا علي المعتزلة ومن
يشا يجعله علي صراط مستقيم بان يرشده الي الهدي ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام
تعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك
زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الي ثلاثة مفاعيل وللزم في
الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق والمفعول محذوف تقديره ارايتكم الهتكم تنفعكم اذ تدعونها
وقرا نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايت وشبهها اذا كان قبل الرا همزة بتسهيل الهمزة التي بعد الرا
والكسائي يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتي
من قبلكم او اتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم
صادقين ان الاصنام الهة وجوابه محذوف اي فادعوهم بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعا
كما حكي عنهم في مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الي كشفه
ان شاء ان يتفضل عليهم ولا يشا في الاخرة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم في ذلك لما ركز في العقول
انه القادر علي كشف الضر دون غيره او تنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الي امم من قبلك
اي قبلك ومن زايدة فاخذناهم اي فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر
والضراء الضر والافات وهما صيغتا تانيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون يتذللون ويتوبون
عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي تضرعهم في ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم
ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون استدراك علي المعني وبيان الصارف
لهم عن التضرع انه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما
ذكروا به من الباساء والضراء ولم يتعظوا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء من انواع النعم مراوحة عليهم
بين نوبتي الضرا والسرا وامتحانا لهم بالشدة والرخا الزاما للحجة وازاحة للعلة او مكرا بهم لما روي انه
عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرا ابن عامر فتحنا بالتشديد في جميع القران ووافقه يعقوب
فيما عدا هذا والذي في الاعراف حتي اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم ولم يزيدوا علي البطر والاشتغال
بالنعم عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون ايسون فقطع
دابر القوم الذين ظلموا اي اخذوا بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله رب
العالمين علي اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم
واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم
وختم علي قلوبكم بان يغطي عليها ما يزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله ياتيكم به اي بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الايات نكررها تارة من جهة المقدمات
العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثم هم يصدفون

يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها **قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة** من غير مقدمة **او جهرة** بتقدمها امارة يوذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقري بغتة او جهرة **هل يهلك** اي ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب **الا القوم الظالمون** ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقري يهلك بفتح اليا **وما نرسل المرسلين الا مبشرين** المومنين بالجنة **ومنذرين** الكافرين بالنار وما نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهي بهم **فمن امن واصلح** ما يجب اصلاحه علي ما شرع لهم **فلا خوف عليهم** من العذاب **ولا هم يحزنون** بفوت الثواب **والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب** جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغني بتعريفه عن التوصيف **بما كانوا يفسقون** بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة **قل لا اقول لكم عندي خزائن الله** مقدوراته او خزاين رزقه **ولا اعلم الغيب** ما لم يوح الي ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة القول **ولا اقول لكم اني ملك** اي من جنس الملايكة واقدر علي ما يقدرون عليه **ان اتبع الا ما يوحي الي** تبرا عن دعوي الالوهية والملايكة وادعي النبوة التي هي من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم علي فساد مدعاه **قل هل يستوي الاعمي والبصير** مثل الضال والمهتدي او مدعي المستحيل والمستقيم او الجاهل والعالم او مدعي المستحيل كالالوهية والملكية ومدعي المستقيم كالنبوة **افلا تتفكرون** فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلمون ان اتباع الحق الوحي مما لا محيص عنه **وانذر به** الضمير لما يوحي الي **الذين يخافون ان يحشروا الي ربهم** هم المومنون المفرطون في العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته **ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع** في موضع الحال من ان يحشروا فان المخوف هو الحشر علي هذه الحال **لعلهم يتقون** لكي يتقوا **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي** بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لا يطردهم ترضية لقريش روي انهم قالوا لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المومنين قالوا فاقمهم عنا اذا جيناك قال نعم روي ان عمر قال له لو فعلت حتي ننظر ما ذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغداة والعشي الدوام وقيل صلاة الصبح والعصر وقرا ابن عامر بالغدوة وفي الكهف **يريدون وجهه** حال من يدعون اي يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعا بالاخلاص تنبيها علي انه ملاك الامر ورتب النهي عليه اشعارا بانه يقتضي اكرامهم وينافي ابعادهم **ما عليك من حسابهم من شي** اي ليس عليك حساب ايمانهم ولعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسوالهم طمعا في ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضي كما ذكره المشركون وطعنوا في دينهم فحسابهم عليهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اي من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعني لا تواخذ بحسابهم ولا هم بحسابك حتي يهمك ايمانهم بحيث تطرد المومنين طمعا فيه **فتطردهم** فتبعدهم وهو جواب النفي **فتكون من الظالمين** جواب النهي ويجوز عطفه علي فتطردهم علي وجه

وما من حسابك عليهم من شي

التسبب

التسبب وفيه نظر **وكذلك فتنا بعضهم ببعض** ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس في امور الدنيا فتنا اي ابتلينا بعضهم ببعض في امر الدين فقدمنا هولاء الضعفا علي اشراف قريش بالسبق الي الايمان **ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا** اي هولاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق باصابة الحق والسبق الي الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل علي ان فتنا متضمن معني خذلنا **اليس الله باعلم بالشاكرين** بمن يقع منهم الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله **واذا جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم علي نفسه الرحمة** الذين يومنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقران واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة علي العبادة وامره بان يبدا بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهي عن طردهم ايذانا بانهم الجامعون لفضيلتي العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغي ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة في الدنيا والرحمة في الاخرة وقيل ان قوما جاوا الي النبي صلي الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيا فانصرفوا فنزلت **انه من عمل منكم سوا** استيناف بتفسير الرحمة وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح علي البدل منها **بجهالة** في موضع الحال اي من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجاهلية فان ارتكاب ما يودي الي الضرر من احوال اهل السفه والجهل **ثم تاب من بعده** بعد العمل او السوء **واصلح** بالتدارك او العزم علي ان لا يعود اليه **فانه غفور رحيم** فتحه من فتح الاول غير نافع علي اضمار مبتدا او خبر اي فامره او فله غفرانه **وكذلك** ومثل ذلك التفصيل الواضح **نفصل الايات** ايات القران في صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين **ولتستبين سبيل المجرمين** قراءة نافع بالتا والنصب للسبيل علي معني ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه علي معني ولتبين سبيلهم والباقون باليا والرفع علي تذكير السبيل فانه يذكر ويونث ويجوز ان يعطف علي علة مقدرة اي نفصل الايات ليظهر الحق ولتستبين **قل اني نهيت** صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي من الايات في امر التوحيد **ان اعبد الذين تدعون من دون الله** عن عبادة ما تدعون تعبدون من دون الله او ما تدعونها الهة اي تسمونها **قل لا اتبع اهواءكم** تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الي الموجب للنهي وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدا ضلالهم وان ما هم عليه هوا وليس بهدي وتنبيه لمن تحري علي ان يتبع الحجة ولا يقلد **قد ضللت اذا** اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت **وما انا من المهتدين** اي في شي من الهدي حتي اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك **قل اني علي بينة** تنبيه علي ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التي تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القران والوحي والحجج العقلية او ما يعمها **من ربي** من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة **وكذبتم به** الضمير لربي اي كذبتم به من حيث اشركتم به غيره او للبينة

باعتبار المعنى ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه بقولهم فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله في تعجيل العذاب وتاخيره يقضي الحق
اي القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضي الدرع اذا صنعها فيما يقضي من تعجيل او تاخير واصل
القضا الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرا ابن كثير ونافع وعاصم يقص
من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي
ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا
لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن
الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يوخذ ومن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب
خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي
هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط
علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتاخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته
حكمته وتعلقت به قدرته ومشيته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم
ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم
بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة
في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل
من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئ
بالرفع للعطف على محل من ورقة او رفعا على الابتدا والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم
بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس
والتمييز فان اصله قبض الشي بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم
والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه
في النهار ليقضي اجل مسمى ليبلغ المتيقظ اخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم
بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الاية خطاب للكفرة والمعنى
انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون الاثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور
في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ليقضي الاجل الذي سماه
وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزا وهو
القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون
والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي
وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه
المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرا حمزة توفاه
بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتاخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة
او نقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم

الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات
البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار
فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرا يعقوب
ينجيكم بالتخفيف والمعنى تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا وقرئ
خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي يقولون
لئن انجيتنا وقرا الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله يدعونه وهذه اشارة الى الظلمة قل الله
ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها
ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع
لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله فكانه لم يعبده راسا قل هو القادر على ان
يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من
تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم
ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم يخلطكم شيعا فرقا متحزبين
على اهواء شتى فينشب القتال بينكم ولبسه لبسها كبسه حتى اذا التبس بعضهم ببعض
ويذيق بعضكم باس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد
لعلهم يفقهون وكذب به قومك اي بالعذاب او بالقران وهو الحق الواقع لا محالة
او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما
انا منذر والله الحفيظ لكل نبا خبر يريد اما العذاب او الايعاد به مستقر وقت
استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا والاخرة واذا رايت الذين
يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم ولا تجالسهم وقم عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير على معنى الايات لانها القران واما ينسينك
الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد
فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضعه
دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزا موضع التصديق والاستعظام وما على الذين
يتقون من حسابهم من شي وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم مما يحاسبون
عليه ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا
كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل
من شي لان من حسابهم يا باه ولا على شي كذلك ولان من لا تزاد في الاثبات لعلهم يتقون
لعلهم يجتنبون ذلك حياء وكراهة لمسائتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى
لعلهم يثبتون على تقواهم ولا تثلم بمجالستهم وروي ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا
بالقران لم نستطع ان نجلس بالمسجد ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا

اي بنوا امر دينهم علي التشهي وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا واجلا كعبادة الصنم وتحريم
البحاير والسوايب او اتخذوا دينهم الذي كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم
الذي جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان
يكون تهديدا لهم كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف
حمله علي الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتي انكروا البعث وذكر
به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الي الهلاك وترهن بسوء عملها
واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع
لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اي حرام ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع
عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدي
وههنا العدل وكل نصب علي المصدر لا يؤخذ منها الفعل مسند الي منها لا الي ضميره بخلاف
قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه للمفدي به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي سلموا الي العذاب
بسبب اعمالهم القبيحة وعقايدهم الزايغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون
تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعو
انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر علي نفعنا وضرنا ونرد علي اعقابنا ونرجع
الي الشرك بعد اذ هدانا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين
كالذي ذهب مردة الجن الي المهامه استفعال من هوي يهوي هويا اذا ذهب وقرا حمزة استهواه بالف
ممالة ومحل الكاف النصب علي الحال من فاعل نرد اي مشبهين الذي استهوته او علي المصدر اي ردا مثل رد الذي
استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوي رفقة يدعونه الي
الهدي اي يهدونه الطريق المستقيم او الي الطريق المستقيم وسماه هدي تسمية للمفعول بالمصدر ايتنا
يقولون له ايتنا قل ان هدي الله الذي هو الاسلام هو الهدي وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين من جملة المقول عطف علي ان هدي الله واللام لتعليل الامر اي امرنا بذلك لنسلم وقيل
هي بمعنى الباء وقيل هي زايدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف علي لنسلم اي للاسلام ولاقامة الصلاة
او علي موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلاة روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الي عبادة
الاوثان فنزلت وعلي هذا كان امر الرسول بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشانه واظهارا للاتحاد
الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق
قايما بالحق والحكمة ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر وقوله الحق
يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارضين وقوله الحق نافذ في الكاينات
وقيل يوم منصوب بالعطف علي السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدا
وخبر او فاعل يكون علي معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضائه كن فيكون والمراد به حين يكون الاشياء
ويحدثها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب
والشهادة اي هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه ازر

هو عطف

هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم
تارخ وازر وصف معناه الشيخ والمعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل علي موازنه او نعت مشتق من
الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي علي فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته
او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اي اتعبد
ازر ثم قال اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقريرا ويدل عليه انه قرئ ازر اتتخذ اصناما بفتح همزة
ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم علي النداء وهو يدل علي انه علم اني اريك وقومك
في ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نري ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية
حال ماضية وقرئ تري بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية ملكوت السموات
والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجايبها وبدايعها والملكوت اعظم الملك والتاء فيه للمبالغة
وليكون من الموقنين اي ليستدل وليكون او جعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل
راي كوكبا قال هذا ربي تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف علي قال ابرهيم وكذلك نري اعتراض
فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم علي ضلالهم ويرشدهم الي الحق
من طريق النظر والاستدلال وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشتري
وقوله هذا ربي علي سبيل الوضع فان المستدل علي فساد قول يحكيه علي ما يقوله الخصم ثم يكر عليه
بالافساد او علي وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته او اول بلوغه فلما افل
اي غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضي الامكان
والحدوث وينافي الالوهية فلما راي القمر بازغا مبتديا بالطلوع قال هذا ربي فلما افل قال
لين لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه في درك الحق
فانه لا يهتدي اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم علي ان القمر ايضا لتغير حاله
لا يصلح للالوهية فان من اتخذه الها فهو ضال فلما راي الشمس بازغة قال هذا ربي ذكر اسم
الاشارة لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة
الخصم فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة الي محدث يحدثها
ويخصصها بما تختص به ثم لما تبرا عنها توجه الي موجدها ومبدعها الذي دلت هذه الممكنات
عليه فقال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين
وانما احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه راي الكوكب الذي
يعبدونه في وسط السماء حين حاول الاستدلال وحاجه قومه وخاصموه في التوحيد قال
اتحاجوني في الله في وحدانيته وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الي توحيده ولا اخاف
ما تشركون به اي لا اخاف معبوداتكم في وقت لانها لا تضر بنفسها ولا تنفع الا ان يشاء ربي
شيئا اي يصيبني بمكروه من جهتها ولعله جواب لتخويفهم اياه عن الهتهم وتهديد لهم بعذاب الله
وسع ربي كل شيء علما كانه علة الاستثناء اي احاط به علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه
من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف

ما أشركتم ولا يتعلق به ضر ولا تخافون أنكم أشركتم بالله وهو حقيق بان يخاف به كل الخوف
لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز وبين القادر الضار النافع ما لم
ينزل به عليكم سلطانا ما لم ينزل باشراكه كتابا او لم ينصب عليه دليلا فأي الفريقين أحق
بالأمن اي الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم
تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم
مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم ههنا الشرك
لما روي ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه السلام ليس
ما تظنون انما هو ما قال لقمن لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان تصدق
بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به
ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجوني الى حجتنا
آتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف
ان جعل بدله اي اتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء في العلم والحكمة وقرا
الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم في رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه
واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اي كلا منهما ونوحا هدينا من قبل
من قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح الاية والتي بعدها والمذكورين في الاية الثالثة عطف
على نوحا داود وسليمن وايوب ايوب بن اموص وكذلك نجزي المحسنين اي نجزي المحسنين
جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى
وهو ابن مريم وفيه ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح
فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخي موسى كل من الصالحين
الكاملين في الصلاح وهو الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي واسمعيل واليسع هو اليسع بن
اخطوب وقرا حمزة والكسائي والليسع وعلى القراءتين علم اعجمي ادخل عليه اللام كما ادخل على اليزيد
في قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى
ولوطا هو ابن هرون بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ودليل فضلهم
على من عداهم من الخلق ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اي فضلنا كلا
منهم او هدينا هؤلاء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم
عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه
ذلك هدى الله اشارة الى ما كانوا به يهدي به من يشاء من عباده دليل على انه
متفضل بالهداية ولو اشركوا اي لو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم
ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين آتيناهم
الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة الرسالة

فان

فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة هؤلاء يعني قريشا فقد وكلنا بها اي بمراعاتها قوما ليسوا
بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبي او كل من
آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم
اقتده فاختص طريقتهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين
دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا
فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء في اقتده للوقف ومن
اثبتها في الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابي عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ومن حذف
الهاء في الوصل خاصة حمزة والكسائي واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية
المصدر وكسرها بغير اشباع برواية هشام قل لا اسئلكم عليه اي على التبليغ
او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسأل من قبلي من النبيين وهذا من جملة ما امر
بالاقتداء بهم فيه ان هو اي التبليغ او القران او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا
وعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة والانعام على العباد
اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا الوحي وبعثة الرسل وذلك من عظائم
رحمته وجلائل نعمته او في السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة
والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القران بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله
قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس وقراءة الجمهور تجعلونه
قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا بالتاء وانما قرا بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا
وما قدروا وتضمن ذلك توبيخهم على سوء جهلهم للتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض انتخبوه
وكتبوه في ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روي ان مالك بن الصيف قاله لما اغضبه
الرسول بقوله انشدك بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت
الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة
عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم زيادة على ما في التورية وبيانا لما التبس عليكم
وعلى آبائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القران يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم
فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اي انزله الله او الله انزله امره بان يجيب
عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب
ثم ذرهم في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول
والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثاني والظرف
متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذي بين يديه
يعني التورية او الكتب التي قبله ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اي للبركات
ولتنذر او علة محذوف اي ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى

ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها اولانها مكان اول بيت وضع
للناس وقرا ابو بكر عن عاصم باليا اي لينذر الكتاب **ومن حولها** اهل الشرق والغرب **والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون** فان من صدق بالاخرة خاف العاقبة
ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبي والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة
وتخصيص الصلوة لانها عماد الدين وعلم الايمان **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** فزعم انه
بعثه نبيا كمسيلمة والاسود والعنسي او اختلف عليه احكاما كعمرو بن لحي وشايعيه **او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء** كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا اخر قال عبد الله فتبارك الله
احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله
وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال **ومن قال
سانزل مثل ما انزل الله** كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا **ولو ترى اذ الظالمون** حذف مفعوله
لدلالة الظرف عليه اي ولو ترى الظالمون **في غمرات الموت** شدايده من غمره الماء اذا غشيه **والملائكة
باسطوا ايديهم** بقبض ارواحهم كالمتقاضي المسلط او بالعذاب **اخرجوا انفسكم** اي يقولون
لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها
من ايدينا **اليوم** يريد وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية **تجزون عذاب الهون**
اي الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهوان لعراقته وتمكنه فيه **بما كنتم
تقولون على الله غير الحق** كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحي كاذبا **وكنتم عن
آياته تستكبرون** فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون **ولقد جئتمونا** للحساب والجزاء
فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما اثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التي
زعمتم انهم شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتانيث ككسالى وقرئ فرادا كرخال وفراد كثلاث وفردى
كسكرى **كما خلقناكم اول مرة** بدل منه اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او الحال الثانية ان
جوز التعدد فيها او حال من الضمير في فرادى اي مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا او صفة
مصدر جئتمونا مجيئا كما خلقناكم **وتركتم ما خولناكم** ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به
عن الاخرة **وراء ظهوركم** ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا **وما نرى معكم شفعاءكم
الذين زعمتم انهم فيكم شركاء** اي شركاء الله في ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم **لقد تقطع بينكم**
اي تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف
اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائي وحفص عن عاصم
بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد
قرئ به **وضل عنكم** ضاع وبطل **ما كنتم تزعمون** انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء **ان
الله فالق الحب والنوى** بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذي في الحنطة والنواة
يخرج الحي يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله **من الميت** مما لا ينمو كالنطف والحب
ومخرج الميت من الحي ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان

قوله يخرج الحي واقع موقع البيان له **ذلكم الله** اي ذلكم المحيي المميت هو الذي يحق له العبادة
فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره **فالق الاصباح** شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او
عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذي يليه والاصباح في الاصل مصدر اصبح
اذا دخل في الصباح سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح **وجاعل
الليل سكنا** يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمان اليه استيناسا
به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه في معنى الماضي
ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك
قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر في الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون
والشمس والقمر ويشهد لهما قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء
والخبر محذوف اي مجعولات **حسبانا** اي على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان علمي
الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب
كشهاب وشهبان **ذلك** اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم **تقدير
العزيز** الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص **العليم** بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة
لهما **وهو الذي جعل لكم النجوم** خلقها لكم **لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر**
في ظلمات الليل في البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او في مشتبهات الطرق وسماها ظلمات
على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعدما اجملها بقوله لكم **قد فصلنا الآيات**
بيناها فصلا فصلا **لقوم يعلمون** فانهم المنتفعون به **وهو الذي انشاكم من
نفس واحدة** هو آدم عليه السلام **فمستقر ومستودع** اي فلكم استقرار في الاصلاب
او فوق الارض واستيداع في الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرا ابن كثير
والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع مفعول اي فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار
منا دون الاستيداع **قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون** ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان
امرها ظاهر وذكر مع تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين
احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر **وهو الذي انزل من السماء
ماء** من السماوات او من جانب السماء **فاخرجنا** على تلوين الخطاب **به** بالماء **نبات كل شيء** نبت
كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة في انبات الانواع المفننة بماء واحد كما في قوله تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الاكل **فاخرجنا منه** من النبات او الماء **خضرا** شيئا اخضر يقال
اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة من المتشعب **نخرج منه** من الخضر **حبا متراكبا**
وهو السنبل **ومن النخل من طلعها قنوان** اي واخرجنا من النخل قنوان ومن طلعها بدل منه
والمعنى وحاصله من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف
كذيب وذوبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع **دانية** قريبة من المتناول
او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها عن مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها

وَجَنّاتٍ مِنْ أَعْنابٍ عطف على نبات كل شيء وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم او ثمة جنات او ومن
الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمّانَ ايضا
عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشابِهٍ حال من الرمان او من الجميع اي بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه في الهيئة
والقدر واللون والطعم انْظُرُوا إِلى ثَمَرِهِ اي ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة بضم الثاء والميم وهو
جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب إِذا أَثْمَرَ اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع
به وَيَنْعِهِ والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة
اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه إِنَّ فِي ذلِكُمْ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
اي لآيات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل
واحد ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن
من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد
عليه فقال وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكاءَ الْجِنَّ اي الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم
جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم او الشياطين لانهم اطاعوه كما يطاع الله او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم
او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأي الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء
والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجنُّ بالرفع كانه قيل من هم
فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وَخَلَقَهُمْ حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم
دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن وما يخلقونه من الاصنام او على
شركاء اي وجعلوا له اختلاقهم للافك حيث نسبوه اليه وَخَرَقُوا لَهُ افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد
الراء للتكثير وقرئ وحرّفوا اي وزوّروا بَنِينَ وَبَناتٍ فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بِغَيْرِ عِلْمٍ من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا
عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اي خرقا بغير علم سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمّا يَصِفُونَ
وهو ان له شريكا وولدا بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها
او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه
على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره أَنّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ اي من اين او كيف يكون له ولد وَخَلَقَ
كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الآية
استدلال على نفي الولد من وجوه الاول انه من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس
ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى ان يتعالى عنها والثاني ان المعقول من الولد
ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له
لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافيه والثاني انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع
ذلِكُمُ اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلهَ إِلّا هُوَ خالِقُ
كُلِّ شَيْءٍ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فَاعْبُدُوهُ حكم مسبب عن

مفعولها

مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وَهُوَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ اي هو مع تلك الصفات
متولي امور كم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تُدْرِكُهُ
لا تحيط به الْأَبْصارُ جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة
على امتناع الرؤية وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الآية عاما في الاوقات فلعله
مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع
وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ يحيط علمه بها وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار
ويجوز ان يكون من باب اللف اي لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون
اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ
رَبِّكُمْ البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلي لها الحق
وتبصرها فَمَنْ أَبْصَرَ اي ابصر الحق وآمن به فَلِنَفْسِهِ ابصر لان نفعه لها وَمَنْ عَمِيَ عن الحق
وضل فَعَلَيْها وباله وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم
ويجازيكم عليها وهذا الكلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وَكَذلِكَ نُصَرِّفُ الْآياتِ
ومثل ذلك التصريف نصرّف وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال
الى حال وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ اي وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة
والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اي دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست
من الدروس اي قدمت هذه الآيات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة
في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست بمعنى درست او دارست
اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدراسة ودرس كقوله تعالى عيشة
راضية وَلِنُبَيِّنَهُ اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى
او للقرآن وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانهم المنتفعون به اتَّبِعْ ما
أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ بالتدين به لا إِلهَ إِلّا هُوَ اعتراض اكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من
ربك بمعنى منفردا في الالوهية وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ولا تحتفل باقوالهم ولا تلتفت الى رأيهم
ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم وَلَوْ شاءَ اللَّهُ توحيدهم وعدم اشراكهم
ما أَشْرَكُوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وَما جَعَلْناكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا رقيبا وَما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ تقوم بامورهم وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا تجاوزا
عن الحق الى الباطل بِغَيْرِ عِلْمٍ على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان
عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه كان عليه السلام يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله
وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كَذلِكَ
زَيَّنّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز

تخصيص العمل بالشر وكلاسه لكفرة لان الكلام فيهم والمسبة به سبب الله لهم ثم الي ربهم مرجعهم فينبئهم
بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازات عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي
لهم الي هذا القسم والتاكيد فيه التحكم علي الرسول صلي الله عليه وسلم في طلب الايات واستحقار ما روي
منها لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر
ما يشا وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي الاية
المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اي لا يدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه
تنبيه علي انه تعالي انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قري
لعلها وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم
ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرا ابن
عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقري وما يشعرهم انها اذا جاءتهم ح لم يكن مطبوعة كما كانت عند نزول القران
وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف علي يؤمنون اي وما يشعركم
انا حينئذ نقلب افئدتهم علي الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا
به اي بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم
هداية المتقين وقري ويقلب ويذرهم علي الغيبة وتقلب علي البنا للمفعول والاسناد الي الافئدة
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لو
لا انزل علينا الملائكة فاتوا باباينا او تاتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اي كفلا
بما بشروا به وانذروا او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة
نافع وابن عامر وعلي الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضا بالكفر
الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اي لا يؤمنون في حال الا حال مشية الله ايمانهم وقيل منقطع
وهو حجة واضحة علي المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اتوا بكل اية لا يؤمنوا فيقسمون بالله
جهد ايمانهم علي ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الي اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين
يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا اي كما
جعلنا لك عدوا جعلنا لكل نبي سبق عدوا وهو دليل علي ان عداوة الكفار للانبياء بفعل الله وخلقه
شياطين الانس والجن مردة الفريقين يوحي بعضهم الي بعض يوسوس شياطين الجن الي
شياطين الانس او بعض الجن الي بعض وبعض الانس الي بعض زخرف القول الاباطيل المموهة من
زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موضع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اي ما
فعلوا ذلك يعني معاداة الانبياء وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور
وهو ايضا دليل علي المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالاخرة عطف علي غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اي وليكون ذلك جعلنا
لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون
او لام الامر وضعفه اظهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه لانفسهم وليقترفوا

وليكتسبوا

وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما علي ارادة القول اي قل لهم
يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغي وحكما
حال منه ويحتمل عكسه وحكما ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذي
انزل اليكم الكتاب اي القران المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي التخليط
والالتباس وفيه تنبيه علي ان القران باعجازه وتقريره مغن عن ساير الايات والذين
اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز علي ان القران
حق منزل من عند الله بعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه السلام لم يمارس
كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو متمكن منه بادنى
تامل وقيل المراد مؤمنو اهل الكتاب وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن
من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله
تعالي ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول خطاب لامته وقيل الخطاب لكل احد علي معنى
الادلة لما تعاضدت علي صحته فلا ينبغي لاحد ان يمتري فيه وتمت كلمات ربك بلغت الغاية اخباره
واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل
التمييز والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل
او لا احد يقدر ان يحرفها شايعا ذايعا كما فعل بالتورية علي ان المراد بها القران فيكون ضمانا
لها من الله تعالي بالحفظ لقوله تعالي وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل
احكامها وقرا الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اي ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون
البصير بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اي اكثر الناس يريد الكفار
او الجهال او اتباع الهوي وقيل الارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه
فان الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم
كانوا علي الحق او جهالاتهم وارايهم الفاسدة فان الظن يطلق علي ما يقابل العلم وان هم الا
يخرصون يكذبون علي الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة
اليه وتحليل الميتة وتحريم البحاير او يقدرون انهم علي شيء وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي اعلم بالفريقين ومن موصولة
او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل ذلك او استفهامية
مرفوع بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقري من يضل اي من يضله الله فيكون
من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة اعلم اليه اي اعلم المضلين من قوله من يضلل الله او من اضللته
اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم لكثرته واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه
بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون
الحلال ويحللون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله علي ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه
ان كنتم مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه وما لكم

بآياته

الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل
لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
فصل على البنا للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرم على البنا للفاعل الا ما اضطررتم اليه
ما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قراءة
الكوفيون بضم اليا والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد
العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان
ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تاكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه ظاهر في تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داوود وعن احمد
مثله وقال مالك والشافعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه
لقوله وانه لفسق فان الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذي دل عليه لا تاكلوا
وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون
ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال
ما حرم انكم لمشركون مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والايات
يتامل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرا نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن
مثله صفته وهو مبتدا خبره في الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف
لا من الهاء في مثله للفصل وهو مثل لمن بقي على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين
ايمانهم زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت في حمزة وابي جهل وقيل في عمر او عمار وابي جهل
وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثاني وفي كل قرية اكابر مجرميها
بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد
والمطابقه ولذلك قري اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم وما يمكرون
الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني كفار قريش لما روي ان ابا جهل قال زاحمنا بنو عبد مناف
حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت
الله اعلم حيث يجعل رسالته استيناف للرد عليهم بان النبوة ليست بالنسب والمال وانما
هي بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبي لرسالته من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان
الذي فيه يضعها وقرا ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل
وحقار بعد كبرهم عند الله يوم القيامة وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا
يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرفه طريق الحق ويوفقه
للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة

او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس

للحق

135

للحق مهياة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه السلام حين سئل عنه
فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له فقالوا هل لذلك امارة يعرف بها فقال
نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن
يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرا
ابن كثير ضيقا بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اي شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء شبهه مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه
فان صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع عليه الصعود
وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد
قري به وقرا ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد بمعنى يتصاعد كذلك اي كما يضيق
صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب او الخذلان
عليهم نوضع الظاهر موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذي جاء به القران
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك الطريق الذي ارتضاه او
عادته وطريقه الذي اقتضته حكمته مستقيما لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال
مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات
لقوم يذكرون فيعلمون ان القادر هو الله وان الله كل ما يحدث من خير او شر فهو بقضائه
وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم دار السلام دار الله اضاف الجنة
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم في ضمانه
او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا يعملون
بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم نحشرهم جميعا نصب باضمار
اذكروا ونقول والضمير لمن يحشر من الثقلين وقرا حفص عن عاصم وروح عن يعقوب بالياء
يا معشر الجن يعني الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم او منهم
بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم
من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالجن بان دلوهم
على الشهوات وما يتوسل به اليها والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع
الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعتراف الانس بانهم
يقدرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي البعث وهو اعتراف بما فعلوا
من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال النار مثواكم
منزلكم او ذات مثواكم خالدين فيها حال والعامل فيها مثواكم ان جعل مصدرا ومعنى
الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير
وقيل الا ما شاء قبل الدخول كانه قيل النار مثواكم ابدا الا ما امهلكم ان ربك حكيم
في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا نكل بعضهم

بعضهم الي بعض وبجعل بعضهم يتولي بعضا فيغوونهم او اولياء بعض وقرناهم في العذاب كما كانوا
في الدنيا بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم
رسل منكم الرسل من الانس خاصة ولكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك ونظيره يخرج
منهما اللؤلؤ والمرجان يخرج من المالح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الي كل من الثقلين
رسل من جنسهم وقيل الرسل من الجن رسل الرسل اليهم لقوله ولوا الي قومهم منذرين يقصون
عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا علي
انفسنا بالجرم والعصيان وهو اعتراف منهم بالكفر واستيجاب العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
وشهدوا علي انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم علي سوء نظرهم وخطا رايهم فانهم اغتروا
بالحيوة الدنيوية واللذات المخدعة واعرضوا عن الاخرة بالكلية حتي كان عاقبة امرهم ان اضطروا
الي الشهادة علي انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
ذلك اشارة الي ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القري بظلم واهلها غافلون تعليل الحكم وان مصدرية او مخففة من الثقيلة اي الامر ذلك
لانتفا كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القري بسبب ظلم فعلوه او ملتبسين بظلم
او ظالما وهم غافلون لم ينبهوا برسول او بدل من ذلك ولكل من المكلفين درجات مراتب مما
عملوا من اعمالهم او من جزائها او من اجلها وما ربك بغافل عما يعملون فيخفي عليه عمل
او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب وقرا ابن عامر بالتا علي تغليب الخطاب علي الغيبة وربك
الغني عن العباد والعبادة ذو الرحمة فترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم علي المعاصي
وفيه تنبيه علي ما سبق ذكره من الارسال ليس لنفعه بل لترحمه علي العباد وتاسيس لما بعده
وهو قوله ان يشاء يذهبكم اي ما به اليكم حاجة ان يشاء يذهبكم ايها العصاة ويستخلف
من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اي قرنا بعد قرن لكنه ابقاكم
ترحما عليكم ان ما توعدون من البعث واحواله لات لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين طالبكم
به قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم علي غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن
ابلغ التمكين او علي ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرا ابو بكر
عن عاصم مكاناتكم بالجمع في كل القران وهو امر تهديد والمعني اثبتوا علي كفركم وعداوتكم اني عامل
ما كنت عليه من المصابرة والثبات علي الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان
المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر الي ما يفضي اليه ويستحيل بان المهدد لا ياتي منه
ويستحيل بان المهدد لا ياتي عنه الا الشر كالمامور به الذي لا يقدر ان لا يقتصر عنه فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعني اينا يكون له العاقبة
الحسني التي خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فنصب
بتعلمون اي فسوف تعرفون الذي يكون له العاقبة وفيه مع الانذار انصاف في المقال وحسن الادب
وتنبيه علي وثوق المنذر بانه محق وقرا حمزة والكسائي يكون بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقي

انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا
اي مشركو العرب مما ذرا خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم
وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الي الله وما كان لله فهو يصل الي
شركائهم روي انهم كانوا يعينون شيئا من حرث او نتاج لله ويصرفونه الي الضيفان
والمساكين وشيئا منها لالهتهم وينفقون علي سدنتها ويذبحون عندها ثم ان راوا ما عينوا لله
ازكي بدلوه لالهتهم وان راوا ما لالهتهم ازكي بدلوه لها حبا لالهتهم وفي قوله مما ذرا تنبيه
علي فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق في خلقه جمادا لا يقدر علي شيء ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزاكي له
وفي قوله بزعمهم تنبيه علي ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به وقرا الكسائي بالضم في الموضعين وهو
لغة فيه وقد جاء فيه الكسر ايضا كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك
التزيين في قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالواد ونحرهم لالهتهم شركاؤهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرا ابن عامر زين علي البنا للمفعول الذي هو القتل ونصب الاولاد
وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات
الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وقرئ بالبنا للمفعول وجر اولادهم ورفع شركاؤهم باضمار
فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه
من دين اسمعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة
ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركا التزيين او الفريقان
جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الي
ما جعل لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعني مفعول كالذبح يستوي فيه الواحد والكثير
والذكر والانثي وقرئ حجر وحجر وحرج اي مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال
دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير والسوايب والحوامي وانعام
لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون علي ظهورها افتراء
عليه نصب علي المصدر لان ما قالوه تقول علي الله والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له
او علي الحال او المفعول له والجار متعلق به او بالمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او
بدله وقالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا
ومحرم علي ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة
فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتانيث الخالصة للمعني فان ما في معني الاجنة ولذلك
وافق عاصم في رواية ابي بكر ابن عامر في تكن بالتاء خاصة وخالفه هو وابن كثير في ميتة فنصب لغيرهم
او الياء فيه للمبالغة كما في راوية الشعر او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب
علي انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذي في الظرف لا من الذي في لذكورنا ولا من
الذكور لانها لا تتقدم علي العامل المعنوي ولا علي صاحبه المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة
بالرفع والاضافة الي الضمير علي انه بدل من ما او مبتدا ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير في فيه

انه حكيم عليم

لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبي والفقر وقرا ابن كثير وابن عامر قتّلوا بالتشديد لمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة في مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذي انشا جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت في البراري والجبال والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذي يوكل في الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقي مقيس عليه او للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما في اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله واتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد ولا الزكوة المقدرة فانه فرضت بالمدينة والاية مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتايها يوم الحصاد ليهتم به حتى لا يوخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرا ابن كثير ونافع وحمزة والكساي حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا في التصدق لقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضان اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتدا والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين اي التيس والعنز وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب او حارس وحرس وقرئ معزى قل الذكرين ذكر الضان وذكر المعز حرم ام الانثيين امرا بينهما نصب الذكرين والانثيين بحرم اما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيا من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس

الاربعة ذكرا او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم شاهدين حاضرين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تومنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي المؤسس له ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي اي في القران او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرا ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرا ابن عامر بالتاء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسات او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ غير مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يواخذه والاية محكمة لانها تدل على انه لم يوجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء الاخر الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي ظفر اي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما او الحوايا او ما اشتمل على الامعاء جمع حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفاين وقيل هو عطف على شحومهما او بمعنى الواو او ما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم او الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون في الاخبار او الوعد او الوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لا يهمل ولا يرد باسه عن القوم المجرمين حين ينزل او ذو رحمة واسعة للمطيعين وذو باس شديد للمجرمين فاقام مقامه ولا يرد باسه لتضمنه التنبيه على انزال الباس عليهم مع الدلالة على انه لازب بهم لا يمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع لحيرة يدل على اعجازه لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا من شيء اي لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء كقوله فلو شاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا اباونا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضي عند الله لا الاعتذار عن

ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتي ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم اي مثل هذا التكذيب لك في ان الله منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من
قبلهم الرسل وعطف اباؤنا علي الضمير في اشركنا من غير تاكيد للفصل بلا حتي ذاقوا باسنا الذي انزلنا
عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به علي ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه
لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون في ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون علي الله
وفيه دليل علي المنع من اتباع الظن سيما في الاصول ولعل ذلك حيث تعارضه قطع اذ الاية فيه قل فلله
الحجة البالغة البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة علي الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة
دعواه وهي من الحج بمعني القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء لهديكم اجمعين بالتوفيق
لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال اخرين قل هلم شهداءكم احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف
عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير
السكون في اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها علي اللام وهو بعيد
لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما في الاية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله
حرم هذا يعني قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك
لهم كمن تقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضي العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد
معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة علي ان مكذب الايات متبع الهوي
لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان
وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا قل تعالوا امر من التعالي واصله ان يقوله من كان
في علو لمن كان في سفل فاتسع فيه بالتعميم اتل اقرا ما حرم ربكم منصوب باتل ويحتمل الخبرية
والمصدرية ويجوز ان يكون استفهامية منصوبة بحرم والجملة مفعول اتل لانه بمعني اقل اي شي حرم ربكم
عليكم متعلق بحرم او اتل الا تشركوا به اي لا تشركوا ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق
الفعل المفسر بما حرم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الي اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلها النصب
بعليكم علي انها للاغراء او البدل من ما او من عايده المحذوف علي ان لا زائدة او الجر بتقدير اللام او الرفع
علي تقدير المتلو ان لا تشركوا او المحرم ان تشركوا شيئا يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا
اي واحسنوا بهما احسانا ووضعه موضع النهي عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة علي ان ترك الاساءة
في شانهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله تعالي
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه
ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنا ما ظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله
ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتد ورجم المحصن
ذلكم اشارة الي ما ذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان
كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل

بماله كحفظه وتثميره حتي يبلغ اشده حتي يصير بالغا وهو جمع شدة كنعمة وانعم او شد كصر واصر
وقيل مفرد كانك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا
الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم
بما في وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم في حكومة ونحوها فاعدلوا فيها ولو كان ذا قربى
ولو كان المقول له او عليه من ذوي قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد اليكم من ملازمة
العدل وتادية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرا حمزه
وحفص والكسائي تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها
وان هذا صراطي مستقيما الاشارة فيه الي ما ذكر في السورة فانها باسرها في اثبات التوحيد
والنبوة وبيان الشريعة وقرا حمزه والكسائي ان بالكسر علي الاستيناف وابن عامر ويعقوب
بالفتح والتخفيف والباقون به مشدده بتقدير اللام علي انه علة لقوله فاتبعوه وقرا ابن
عامر صراطي بفتح الياء وقرئ وهذا صراطي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان
المختلفة او الطرق التابعة للهوي فان مقتضي الحجة واحد ومقتضي الهوي متعدد لاختلاف الطبائع
والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذي هو اتباع الوحي واقتفاء البرهان
ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم اتينا موسي
الكتاب عطف علي وصاكم وثم للتراخي في الاخبار او للتفاوت في الرتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسي الكتاب تماما للكرامة والنعمة علي الذي احسن
علي كل من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ علي الذين احسنوا او علي الذي احسن تبليغه
وهو موسي او تماما علي ما احسنه اي اجاده من العلم والشرائع اي زيادة علي علمه اتماما له وقرئ
بالرفع علي انه خبر محذوف اي علي الذي هو احسن او علي الوجه الذي هو احسن ما يكون عليه
الكتب وتفصيلا لكل شيء وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه وهو عطف علي تماما ويحتمل العلة والحال
والمصدر وهدي ورحمة لعلهم لعل بني اسرائيل بلقاء ربهم يؤمنون اي بلقائه للجزاء
وهذا كتاب انزلناه يعني القران مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزلناه
انما انزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا اليهود والنصاري ولعل الاختصاص في انما
لان الباقي المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هي المخففة ولذلك دخلت
اللام الفارقة خبر كان اي وانه كنا عن دراستهم قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ولا نعرف
مثلها او تقولوا عطف علي الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدي منهم لحدة اذهاننا
وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب علي انا اميون
فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدي ورحمة لمن تامل فيه وعمل به
فمن اظلم ممن كذب بايات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد
عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون

باعراضهم اوصدهم هل ينظرون اي ما ينتظرون يعني اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك
ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت
او العذاب وقرا حمزة والكسائي بالياء هنا وفي النحل او يأتي ربك اي امره بالعذاب او كل اية يعني ايات
القيامة والهلاك الكلي لقوله او يأتي بعض ايات ربك يعني اشراط الساعة وعن حذيفة والبرا
بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ طلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تذاكرون قلنا نتذاكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى ترو قبلها عشر ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا
بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا
تخرج من عدن يوم يأتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذ صار الامر عيانا والايمان
برهانا وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن امنت من قبل صفة نفسا او كسبت
في ايمانها خيرا عطف على امنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او غير كاسبة في ايمانها
خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على
اشتراط النفع باحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم يكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها
الذي احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اي انتظروا اتيان احد الثلاثة
وانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فامنوا ببعض وافترقوا
فيه قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها في الهاوية الا واحدة
وقرا حمزة والكسائي فارقوا اي باينوا وكانوا شيعا فرقا يشيع كل فرقة منهم اماما لست منهم في شيء
اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم او من عقابهم او انت بريء منهم وقيل هو نهي عن التعرض لهم وهو منسوخ باية
السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة
فله عشر امثالها اي عشر حسنات امثالها فضلا من الله وقرا يعقوب عشر بالتنوين وامثالها
بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب
ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل
وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي
والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هداني صراطا مستقيما او مفعول
فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم
باعتبار الصيغة وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما
كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان
من المشركين عطف عليه قل ان صلاتي ونسكي عبادتي كلها او قرباني او حجي ومحياي ومماتي
وما انا عليه في حياتي واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعة الحياة والخيرات المضافة الى الممات
كالوصية والتدبير او الحياة والممات او نفسهما وقرا نافع محياي باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف
لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيرا وبذلك القول او الاخلاص امرت

وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغي ربا فاشركه في
عبادتي وهو جواب عن دعائهم له الى عبادة الهتهم وهو رب كل شيء حال في موقع العلة للانكار
والدليل له اي وكل ما سواه مربوب مثلي لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعني
في ابتغاء رب غيره ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا
سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة فينبئكم بما كنتم فيه
تختلفون بتبيين الرشد من الغي وتمييز المحق من المبطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض
يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السالفة
على ان الخطاب للمؤمنين ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم
فيما اتاكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ما هو ات قريب او لانه يسرع اذا
اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه
الوصف بالرحمة وان بيانا للمبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض
كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام
جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر
له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مائتان
وست ايات مكية غير ثماني ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض
عن الجاهلين وانما ثمان وخمسين بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب
انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك فان الشاك حرج الصدر او ضيق قلب من تبليغه مخافة ان
تكذب فيه او تقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقوله لا ارينك ههنا والفاء يحتمل العطف
والجواب وكانه قيل اذا انزل اليك لتنذر فلا يحرج صدرك منه لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه
اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم بانه موافق للعيان بتبليغه وذكرى
للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اي لتنذر وليذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر
والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القران والسنة
لقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس
وقيل الضمير في من دونه لما انزل اي ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما
تذكرون اي تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد
القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرا حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون
بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من
القرى اهلكناها اردنا اهلاكها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها باسنا عذابنا بياتا
بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال او هم قائلون عطف عليه اي قائلين نصف النهار كقوم شعيب
وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير
فانه غير فصيح وفي التعبير من مبالغة في غفلتهم وامنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة

انزل اليك

واستراحة فيكون مجي العذاب فيهما افظع فما كان دعواهم اي دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدعونه
من دينهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه
تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل ولنسئلن
المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفي في قوله ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول في موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصن
عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه
بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فيخفى علينا شي من احوالهم والوزن
اي القضا او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحايف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان
ينظر اليهما الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسئلهم عن اعمالهم فتعترف بها السنتهم وتشهد
بها جوارحهم ويؤيده ما روي ان الرجل يوتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل
مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات وثقلت البطاقة
وقيل توزن الاشخاص لما روي عنه عليه السلام انه قال ليأتي العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
بعوضة يومئذ خبر المبتدا الذي هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوي فمن
ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن
فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التي فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب
بما كانوا باياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم في الارض اي مكناكم من
سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن
نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحايف قليلا ما تشكرون فيما صنعت لكم ولقد خلقناكم
ثم صورناكم اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل
وتصويره او ابتداء خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لادم وقيل ثم لتاخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم
قال ما منعك الا تسجد اي ان تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت
عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشي المضطر الى خلافه فكانه قيل ما اضطرك
الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب
من حيث المعنى استانف به استبعادا لان يكون مثله مامورا بالسجود لمثله كانه قال المانع اني خير منه
ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن
والقبح العقليين اولا خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط
في ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله ما
منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه

اعلم

اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والاية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة
ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها
من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصي فانها مكان الخاشع المطيع
وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه
قال عليه السلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله فاخرج انك من الصاغرين
ممن اهانه الله لتكبره قال انظرني الى يوم يبعثون اي امهلني الى يوم القيامة فلا تمتني
ولا تعجل عقوبتي قال انك من المنظرين يقتضي الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على
ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلم الله انتهاء اجله
فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته قال فبما اغويتني اي بعد ان
امهلتني لاجتهدن في اغوائهم باي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية او حملا على الغي
وتكليفا بما غويت لاجله والبا متعلقة بفعل القسم المحذوف لا باقعدن فان اللام تصد عنه
وقيل البا للقسم لاقعدن لهم ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة صراطك المستقيم
طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله لدن بهز الكف يعسل متنه فيه كما عسل الطريق الثعلب
وقيل تقديره على صراطك كقوله ضرب زيد الظهر والبطن ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اي من جميع الجهات مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال
من اي وجهة يمكنه كاتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل
لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش وعن ابن عباس رضي الله
عنه من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم
من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا
ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدي الفعل الى الاولين بحرف الابتدا لانه منهما متوجه
اليهم والى الاخرين بحرف المجاوزة فان الاتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست
عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
لما راى فيهم مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما
من ذامه اذا ذمه وقرى مذوما كمسول في مسؤول او كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطية القسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين
وهو ساد مسد جواب الشرط وقرى لمن بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد
او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا ادم اي وقلنا
يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة
وقرى هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من اليا فتكونا من الظالمين فتصيرا من
الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان

اي فعل الوسوسة لاجلهما وهو في الاصل الصوت الخفي كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلي وقد
سبق في البقرة كيفيه وسوسته **لِيُبْدِيَ لَهُمَا** ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا
بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة
في الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع **مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا** ما غطي عنهما
من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة في المشهور كما
قلب في اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها
واوا وادغام الواو الساكنة فيها **وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا** الا كراهة ان
تكونا **مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** الذين لا يموتون او يخلدون في الجنة واستدل به على فضل الملئكة
على الانبيا وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما في ان يحصل لهما ايضا ما للملايكة
من الكمالات الفطرية والاستغنا عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا **وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي
لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ** اي اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل اقسما له بالقبول
وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمه **فَدَلَّاهُمَا** فنزلهما الى الاكل من الشجرة
نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلا ارسال الشي من اعلى
الى اسفل **بِغُرُورٍ** بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين بغرور **فَلَمَّا
ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا** اي فلما وجدا طعمها اخذين في الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم المعصية
فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف في ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس
كان نورا او حلة او ظفرا **وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ** اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة **عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِ الْجَنَّةِ** قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اي يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف
ويخصفان واصله يختصفان **وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ** عتاب على مخالفة التنبيه وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق
النهي للتحريم **قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا** اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج عن الجنة **وَإِنْ لَمْ
تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** دل على ان الصغاير معاقب عليها ان لم تغفر وقالت
المعتزلة لا يجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين في استعظام
الصغير من السيات واستحقار العظيم من الحسنات **قَالَ اهْبِطُوا** الخطاب لادم وحوى وذريتهما
او لهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرنا ابدا واخبر عما قال لهم مفرقا **بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ** في
موقع الحال اي متعادين **وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ** استقرار او موضع استقرار **وَمَتَاعٌ** وتمتع **إِلَى حِينٍ**
الى تقضي اجالكم **قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ** للجزا **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا** اي خلقناه لكم بتدبيرات سماوية نازله ونظيره قوله وانزل لكم من الانعام
وقوله وانزلنا الحديد **يُوَارِي سَوْآتِكُمْ** التي قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم عن خصف الورق
روي ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله
ذكر قصة ادم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان

وانه اغواهم في ذلك كما اغوى اباهم **وَرِيشًا** ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش
الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب **وَلِبَاسُ التَّقْوَى** خشية الله وقيل الايمان
وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا وخبره **ذَلِكَ خَيْرٌ** او خبر وذلك صفته كانه قيل
ولباس التقوى المشار اليه خير وقرا نافع وابن عامر والكسائي ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا
ذَلِكَ اي انزال اللباس **مِنْ آيَاتِ اللَّهِ** الداله على فضله ورحمته **لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ** فيعرفون
نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبايح **يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ** لا يمتحنكم بان
يمنعكم دخول الجنة باغوايكم **كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ** كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهي
في اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به **يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا** حال
من ابويكم او فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب **إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**
تعليل للنهي وتاكيد للتحذير من فتنته وفتنة جنوده ورويتهم ايانا من حيث لا نراهم في الجمله لا تقتضي امتناع
رويتهم وتمثلهم لنا **إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** بما اوجدنا بينهم من التناسب
او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وتحميلهم على ما سولوا لهم والاية مقصود القصة وفذلكة الحكاية
وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فعلة متناهية في القبح كعبادة الصنم وكشف العورة في الطواف **قَالُوا وَجَدْنَا
عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا** اعتذروا واحتجوا بامرين تقليد الابا والافترا على الله فاعرض عن الاول
لظهور فساده ورد الثاني بقوله **قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ** لان عادته جرت على الامر بمحاسن
الافعال والحث على مكارم الاخلاق والخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلي
فان المراد بالفاحشة ما تنفر عنه الطباع السليمة وتستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين
مترتبين كانه لما قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا فقيل ومن اين اخذ اباؤكم فقالوا الله
امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا **أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**
انكار يتضمن النهي عن الافترا على الله **قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ** بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافي
عن طرفي الافراط والتفريط **وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ** وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى
غيرها او اقيموها نحو القبلة **عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** في كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او في اي مسجد حضرتكم
الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم **وَادْعُوهُ** واعبدوه **مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** اي الطاعة فان
اليه مصيركم **كَمَا بَدَأَكُمْ** كما انشاكم ابتدا **تَعُودُونَ** باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابدا
تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بداكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بداكم مومنا وكافرا يعيدكم **فَرِيقًا
هَدَى** بان وفقهم للايمان **وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ** بمقتضى القضا السابق وانتصابه بفعل يفسره
ما بعده اي وخذل فريقا **إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ** تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم
وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يدل على ان الكافر المخطي والمعاند سوا في استحقاق الذم والفارق ان
يحمله على المقتصر في النظر **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ** ثيابكم لمواراة عوراتكم **عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ** لطواف
او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئته للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة **وَ
كُلُوا وَاشْرَبُوا** ما طاب لكم روي ان بني عامر في ايام حجهم كانوا لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما يعظمون

لتم

بذلك جمهم فيهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره
عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة وقال
علي بن الحسين بن واقد جمع الله الطب في نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اي لا
يرتضي فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن
والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من
الماكل والمشرب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من
للانكار قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم
القيامة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرا نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل
الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قل انما حرم ربي الفواحش
ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن جهرها وسرها والاثم وما يوجب الاثم تعميم
بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغي الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغي موكد
له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل
عليه برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد في صفاته والافتراء عليه كقولهم الله امرنا بها
ولكل امة اجل مدة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدتهم
او حان وقتهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اي لا يتاخرون ولا يتقدمون اقصر وقت
او لا يطلبون التاخر والتقدم لشدة الهول يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم
اياتي شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت
اليها ما لتاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء في الخبر
الاول دون الثاني للمبالغة في الوعد والمسامحة في الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته ممن يقول على الله ما لم يقله او كذب بما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب
لهم من الارزاق والاجال وقيل الكتاب اللوح اي مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
اي يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية نيلهم وهي التي يبتدا بها الكلام قالوا جواب اذا
اينما كنتم تدعون من دون الله اين الالهة التي كنتم تعبدونها وما وصلت باين في خط المصحف
وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا اي قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة
في امم قد خلت من قبلكم اي كائنين في جملة امم مصاحبين لهم من الجن والانس يعني كفار الامم
الماضية من النوعين في النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة في النار لعنت اختها التي ضلت بالاقتداء
بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اي تداركوا وتلاحقوا في النار قالت اخراهم اي دخولا او منزلة
وهم الاتباع لاولاهم اي لاجل اولاهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال

فاقتدينا

فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف
اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون ما لكم او ما لكل
فريق وقرا شعبة عن عاصم بالياء على الانفصال وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من
فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوا عليه اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم
متساوون في الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من
قول القادة او من قول الفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اي عن الايمان
بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم
لتتصل بالملائكة والتاء في تفتح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرا ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائي
به وبالياء لان التانيث غير حقيقي والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل
للايات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط اي حتى يدخل
ما هو مثل في عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل في ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا
ما توقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهي الحبل
الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفي سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به
كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن
فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش
على الغاء المحذوف وكذلك نجزي الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا
بانهم بتكذيبهم للايات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع
التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا
الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه في ان يشفع الوعيد بالوعد
ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما تسعه طاقتهم ويسهل
عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا ما في صدورهم من غل اي نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها
منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي رضي الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم
تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما
جزاؤه هذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتاكيد النفي
وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرا ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا
صار لهم عين اليقين في الاخرة ونودوا ان تلكم الجنة اذا راوها من بعيد او بعد دخولها والمنادي
له بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اي اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو حال من الجنة والعامل
فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم وان في المواضع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتاذين
من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم
كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم اهل

الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان فأذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم
بين الفريقين أن لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي
ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أو اجراء اذن مجرى قال الذين
يصدون عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب ويبغونها عوجا
زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان ما لم يكن منتصبة وبالفتح في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب اي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور
اي بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اي اعاليه
وهو السور المضروب بينهم جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه
يكون بظهوره اعرف من غيره رجال طايفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء والشهداء واخيار المؤمنين وعلمائهم او
ملايكة يرون في صورة الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله
بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه
وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملايكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي اذا نظروا
اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن الاصحاب على الوجه
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اي في النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم من رؤساء الكفرة
قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق او على
الحق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة
ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اي فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم
ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة اي فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا
حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف
لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملايكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستيناف وتقدير
ادخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا
من الماء اي صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من ساير الاشربة ليلايم
الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم
منع المحرم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت واللهو
صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحياة الدنيا
فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطر ببالهم
ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم
بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله

حتى جاء حكما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه
اي على ساير الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء هل
ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من تبيين صدقه بظهور ما نطق به
من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسي قد
جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
اليوم او نرد او هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤول احد الامرين وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد وهو الرد فنعمل
غير الذي كنا نعمل جواب للاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل قد خسروا انفسهم
بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام اي في ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ
دبره او في مقدار ستة ايام فان المتعارف في اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ وفي
خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجاده دفعة دليل الاختيار واعتبار للنظار وحث على التأني
في الامور ثم استوى على العرش استوى امره او استولى وعن اصحابنا الاستواء على العرش صفة
الله بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم
المحيط بساير الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل
الملك يغشي الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشي
الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفي الرعد
للدلالة على التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث
وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ
ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف
تبارك الله رب العالمين تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية
والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالى لانه الذي له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله
فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات
المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض في يومين اي ما في جهة
السفل في يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال بعد قوله خلق الارض
في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لقوله في
سورة السجدة الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم لما تم عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك
الجالس على عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي
والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بان يدعوه

متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الاخفا دليل
الاخلاص انه لا يحب المعتدين المجاوزين ما امروا به في الدعاء وغيره نبه به علي ان الداعي ينبغي ان لا يطلب
ما لا يليق كرتبة الانبيا والصعود الي السما وقيل هو الصياح في الدعا والاسهاب فيه وعن النبي صلي الله عليه وسلم
سيكون قوم يعتدون في الدعا وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب اليها من قول او عمل واعوذ
بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرا انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي
بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم
او عدم استحقاقكم وطمع في اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين
ترجيح للطمع وتنبيه علي ما يتوصل به الي الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعني الرحم او لانه صفة محذوف
اي امر قريب او علي تشبيهه بفعيل الذي بمعني مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض او للفرق بين القريب
من النسب والقريب من غيره وهو الذي يرسل الرياح وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح علي الوحدة
نشرا جمع نشور بمعني ناشر وقرا ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون
علي انه مصدر في موضع الحال بمعني ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا
وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قري به وبشرا بفتح البا مصدر بشره بمعني باشرات او بشرا والبشارة
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا يثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور
تفرقه حتي اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشي يستقله سحابا ثقالا بالما
جمعه لان السحاب جمع بمعني السحايب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت
اي لاجله او لاحيايه او لسقيه وقري ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او بالريح
وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الي الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية
في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية فيهما من كل الثمرات من كل انواعها كذلك نخرج الموتي
الاشارة فيه الي اخراج الثمرات او الي احياء البلد الميت كما يحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها
بانواع النبات والثمرات نخرج الموتي من الاجداث ونحييها برد النفوس الي موادها بعد جمعها وتطريتها
بالقوي والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر علي ذلك قدر علي هذا والبلد
الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة
النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج
الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه علي الحال وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقري يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا
نكدا مفعولا ونكدا علي المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها ونكررها
لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل لمن تدبر الايات وينتفع بها
ولمن لم يرفع اليها راسا ولم يتاثر بها لقد ارسلنا نوحا الي قومه جواب قسم محذوف ولا يكاد تطلق
هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك
بن متوشلخ بن ادريس اول نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله

اي اعبدوه وحده لقوله ما لكم من اله غيره وقرا الكسائي غيره بالكسر علي اللفظ حيث وقع
اذا كان قبل اله من التي تخفض وقري بالنصب علي الاستثناء اني اخاف عليكم عذاب
يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الي عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول
الطوفان قال الملا من قومه اي الاشراف فانهم يملون العيون رواء انا لنراك في ضلال
بزوال عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شي من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
علي هدي كانه قال ولكني علي هدي في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي وانصح
لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استيناف ومساقها علي الوجهين
لبيان كونه رسولا وقرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالة لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها
كالعقايد والمواعظ والاحكام او لان المراد بها ما اوحي اليه والي الانبيا قبله كصحف شيث وادريس
وزيادة اللام في لكم للدلالة علي امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم
من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشيا لا علم لكم بها اوعجبتم الهمزة للانكار والواو
للعطف علي محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة علي
رجل علي لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر
ويقولون لو شاء الله لانزل ملايكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي
ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوي وفايدة حرف الترجي للتنبيه علي ان
التقوي غير موجب والترحم من الله بفضله وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد علي تقواه ولا يامن من عذاب الله
فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل
تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول
او الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب
غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقري عامين والاول ابلغ لدلالته علي الثبات والي عاد اخاهم
عطفا علي نوحا الي قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب
انه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ
ابن ارفخشد بن سام بن عاد وانما جعل منهم لانهم افهم بقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفايه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره استانف به ولم يعطف كانه جواب سايل قال فما قال
لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكان قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك
قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من امن به كمرثد بن سعد انا لنراك
في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث تركت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين
قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم
ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم سبق تفسيره
وفي اجابة الانبيا الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم

النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه لهم على انهم عرفوه بالامرين
وقرا ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض
من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عذاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة
وهو تعميم بعد تخصيص فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها
المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا
اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤنا انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى
المجي في اجئتنا اما المجي من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم
ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من
الصادقين فيه قال قد وقع عليكم قد وجب وحق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع
من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في
اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اي في اشيا سميتموها الهة
وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها
بجعله تعالى اما بانزال اليه او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى الهة من غير دليل
يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به
على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسما مخترعة
لم ينزل الله بها من سلطان وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد نزول
العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم
وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اي استاصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض لمن امن منهم
وتنبيه على ان الفارق بين من نجي وبين من هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله
اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مومنهم
ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل ابن عنز ومرثد بن سعد
في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاود بن سام وسيدهم معويه بن بكر فلما
قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم
الجرادتان قينتان له فلما راى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا
انه ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي ارض عاد ان عادا
قد امسوا لا يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم
نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعويه احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك
ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد
من وادي المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون

معه فاتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن
عابر بن ارم بن سام وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتاويل الحي او باعتبار
الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى اخاهم صالحا صالح بن عبيد بن اسف بن
ماسخ بن عبيد بن حادر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة
من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وقوله هذه ناقة الله لكم آية
استيناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل معنى الاشارة ولكم بيان لمن هي له آية ويجوز ان
يكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها
جاءت من عند الله بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله
العشب ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى
مبالغة في الامر وازاحة للعذر فياخذكم عذاب اليم جواب النهي واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد وبواكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اي تبنون في سهولها
او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والاجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون
بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى
تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا العثي اشد الفساد في الارض مفسدين قال الملأ
الذين استكبروا من قومه اي عن الايمان للذين استضعفوا اي للذين استضعفوهم
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض
ان كان للذين وقرا ابن عامر وقال بالواو أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على
الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوي الذي هو نعم تنبيها على ان
ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي راي فانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال
قال الذين استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون على المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا
لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة
او لانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله وقالوا
يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا
في دارهم جاثمين خامدين روي انهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا لا تفي
بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في خصب وسعة فعتوا وفسدوا في الارض وعبدوا
الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسالوه آية فقال اية آية تريدون فقالوا
اخرج معنا الى عيدنا فندعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم
تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا
نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا
وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع في جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب

صاحب اوثانهم ودواب بن كاهنهم فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع راسها من البير
حتى تشرب كل ما فيها ثم تنفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر
الوادي فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ابطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت
عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقي سقبها جبلا اسمه قارة فرغا
ثلاثا فقال صالح لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفتحت الصخرة بعد رغائه
فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحى اليوم الرابع تحنطوا
وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا **فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم
رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين** ظاهره ان توليه عنهم بعد ان ابصرهم
جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما
وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم **ولوطا** اي وارسلنا
لوطا **اذ قال لقومه** وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه **اتاتون الفاحشة** توبيخ وتقريع
على تلك الفعلة المتمادية في القبح **ما سبقكم بها من احد من العالمين** ما فعلها قبلكم احد قط والباء
للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفي والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استيناف مقرر للانكار كانه وبخهم
اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوء **ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء**
بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ في الانكار والتوبيخ وقرا نافع انكم على الاخبار المستانف وشهوة مفعول له
او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي
له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر **بل انتم قوم مسرفون** اضراب عن الانكار الى الاخبار عن
حالهم التي ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم
او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف **وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم
من قريتكم** اي ما جاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصيحته بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين
من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا **انهم اناس يتطهرون** اي من الفواحش **فانجيناه واهله** اي من امن به
الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر **كانت من الغابرين** من الذين بقوا في ديارهم
فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور **وامطرنا عليهم مطرا** اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا
عليهم حجارة من سجيل **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** روي ان لوط بن هارون بن تارخ لما هاجر
مع عمه ابرهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة
فلم ينتهوا عنها فامطر عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم **والى مدين
اخاهم شعيبا** اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابرهيم بن شعيب بن ميكيل بن يسجر بن مدين
وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه **قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره قد جاءتكم بينة من ربكم** يريد المعجزة التي كانت له وليس في القران انها ما هي وما روي من
محاربة عصا موسى التنين وولادة الغنم التي دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها

ووقوع عصا آدم عليه في يده في المرة السابع متاخرة عن هذه المقاولة ويحتمل ان يكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته
فاوفوا الكيل اي آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله **والميزان**
كما قال في سورة هود اوفوا المكيال والميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد **ولا تبخسوا
الناس اشياءهم** ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون
الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه **ولا تفسدوا في
الارض** بالكفر والحيف **بعد اصلاحها** بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرايع
او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في بل مكر الليل والنهار **ذلكم خير لكم ان كنتم
مؤمنين** اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية
وحسن الاحدوثة وجمع المال **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا راوا احدا يسعى في
شيء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك
عن دينك ويوعدون لمن امن به وقيل كانوا يقطعون الطريق **وتصدون عن سبيل الله** يعني الذي
قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما
كانوا عليه او الايمان به **من امن به** بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على
اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه في موقع الحال
من الضمير في تقعدون **وتبغونها عوجا** وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها
للناس بانها معوجة **واذكروا اذ كنتم قليلا** عددكم او عددكم **فكثركم** بالبركة في النسل
والمال **فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** من الامم قبلكم واعتبروا بهم **وان
كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا** فتربصوا
حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين **وهو خير الحاكمين** اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه **قال الملا الذين استكبروا
من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في
ملتنا** اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم من القرية او عودكم في الكفر وشعيب لم يكن في ملتهم
قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم
وعلى ذلك اجرى الجواب في قوله **قال اولو كنا كارهين** اي كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا
فيها في حال كراهتنا **قد افترينا على الله كذبا** قد اختلقنا عليه **ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها** شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع
للمبالغة وادخل قد عليه لتقريبه من الحال اي قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث
ان لله ندا وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه حق وما انتم عليه باطل وقيل انه جواب قسم وتقديره والله
لقد افترينا **وما يكون لنا** وما يصح لنا **ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا** خذلاننا
وارتدادنا وفيه دليل على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم طمعهم في العود بالتعليق على ما لا يكون

وسع ربنا كل شيء علما اي احاط علمه بكل شيء ما كان وما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في ان
يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشراك ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح
القاضي والفتاحة الحكومة اي اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل
اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم
شعيبا وتركتم دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالته بهداكم او لفوات ما يحصل لكم بالبخس
والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة وفي
سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها فاصبحوا في دارهم جاثمين في مدينتهم الذين
كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل
الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا
فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على ان هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى
بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف آسى على قوم كافرين ليسوا اهل
حزني لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت
في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف إيسى بامالتين
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر
لعلهم يضرعون كي يتضرعون ويتذللون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم
بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات
اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كفرانا بنعمة الله ونسيانا
لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما
مسنا فاخذناهم بغتة فجاءة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى
يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها آمنوا واتقوا مكان
كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم
من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم
بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افأمن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا
تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام
بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر في بياتا او امن اهل القرى وقرأ ابن
كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء
الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افأمنوا مكر الله
تقرير لقوله افأمن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب
فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار اولم

يهد

يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اي يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما
عدي باللام لانه بمعنى يتبين ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء
ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأ بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم عطف على
ما دل عليه او لم يهد اي يغفلون عن الهداية او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم
على انه بمعنى وطبعنا لانه في سياقه جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم فهم لا يسمعون سماع
تفهم واعتبار تلك القرى يعني قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل القرى
خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض
اي نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا
ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب
او فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات
المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر
والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما
وجدنا لاكثرهم لاكثر الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء عهد فان
اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم في الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا
في ضر ومخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لا يجوز الا في المبتدأ والخبر والافعال
الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفي واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعني المعجزات الى فرعون وملئه فظلموا بها بان كفروا
بها مكان الايمان الذي هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب
لمن ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان فانظر
كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اليك
وقوله حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه في دعوى الرسالة وانما
لم يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول كما قرأ نافع فقلب لامن الالباس
كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر او لان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق في الوصف بالصدق
والمعنى انه حق واجب علي القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى الا بمثلي ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص
او وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة ابي
بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل فخلهم
حتى يرجعوا معي الى الارض المقدسة التي هي وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم في الاعمال
قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك فأت بها فاحضرها عندي ليثبت بها صدقك
ان كنت من الصادقين في الدعوى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك
في انه ثعبان وهو الحية العظيمة روي انه لما القاها صار ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون

ذراع وضع لحيه الاسفل على الارض والاخر على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم
الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك خذه
وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فعاد عصا ونزع يده من جيبه او من تحت ابطه فاذا
هي بيضاء للناظرين اي بيضا بياضا خارجا عن العادة يجتمع اليه النظاره او بيضا للناظرين لا انها
كانت بيضا في جبلتها وروي انه كان آدم شديد الادمة فادخل يده جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هي
بيضا نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم
قيل قاله هو واشراف قومه على سبيل التشاور في امره فحكي عنه في سورة الشعرا وعنهم ههنا يريد
ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون يشيرون فماذا تفعل قالوا ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم لانه كان اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى
فرعون والارجاء التاخير اي اخر امره واصله ارجيه كما قرا ابو عمرو ويعقوب من ارجات وكذلك
ارجهو على قراءة ابن كثير على الاصل في الضمير وارجهي من ارجيت كما قرا نافع في رواية ورش واسمعيل
والكساي واما قراته في رواية قالون ارجه بحذف اليا والاكتفا بالكسرة عنها وقرا حمزه وعاصم وحفص
ارجه بسكون الها لتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل في اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر
برواية ابن ذكوان ارجئه بالهمزة وكسر الها فلا يرتضيه النحاة بان الها لا تكسر الا اذا كان قبلها
كسره او يا ساكنه ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب يا اجريت مجراها وقرا حمزه والكساي بكل سحار
فيه وفي يونس ويويد اتفاقهم عليه في الشعرا وجاء السحرة فرعون بعدما ارسل الشرط في
طلبهم قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين استانف به كانه جواب سايل قال ما قالوا
اذ جاؤا وقرا ابن كثير ونافع وحفص ان لنا على الاخبار وايجاب الاجر كانهم قالوا لابد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم قال نعم ان لكم اجرا وانكم لمن المقربين عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على
الجواب لتحريضهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين خيروا موسى
مراعاة للادب واظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم في ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم
الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل او تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال القوا كرما
وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شانه فلما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليها الحقيقة
بخلافه واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم
في فنه روي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملأت الوادي وركب بعضها بعضا
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يافكون
اي ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشي عن وجهه ويجوز ان يكون ما مصدرية وهي مع الفعل
بمعنى المفعول روي انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا وقرا حفص عن عاصم تلقف هنا وفي طه فوقع الحق فبطل لظهور امره وبطل ما كانوا
يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين

أو رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقي السحرة ساجدين
جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك
او ان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذي اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه
او مبالغة في سرعة خرورهم وشدته قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون
ابدلوا الثاني من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال أآمنتم به بالله او بموسى والاستفهام
فيه للانكار وقرا حمزه والكساي وابو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على
الاصل وقرا حفص آمنتم به على الاخبار وقرا قنبل قال فرعون وامنتم بابدال في حال الوصل من همزة الاستفهام
بهمزة ومدة مطولة في تقدير الفين وقرا الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية قبل ان آذن
لكم ان هذا لمكر مكرتموه اي ان هذا الصنع لحيلة احتلتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا للميعاد لتخرجوا منها اهلها يعني القبط وتخلص لكم ولبني اسرائيل فسوف
تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول
من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على
التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا
منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله او مصيرنا
ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان آمنا بآيات ربنا
لما جاءتنا وهو خير الاعمال واجل المناقب ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا
الى الله تعالى فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا
ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام قيل انه
فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملا من قوم
فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك
ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم ان جاركم ويكون بيني وبينكم
المودة والاخاء على معنى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على اتذر او
استيناف او حال وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك
معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال
انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اي عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم
وانا فوقهم قاهرون كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرا ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم
قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
لما سمعوا قول فرعون تضجروا منه تسكينا لهم ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية
لهم وتقرير للامر بالاستعانة والتثبيت في الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما

وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام
في الارض يحتمل العهد والجنس **قالوا** اي بنو اسرائيل **اوذينا من قبل ان تاتينا** بالرسالة بقتل
الانبيا **ومن بعد ما جئتنا** باعادته **قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم
في الارض** تصريحا بما كنى عنه اولا لما راى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم
المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روي ان مصر انما فتح لهم في زمن داود عليه السلام **فينظر كيف
تعملون** فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط
لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا **ونقص من الثمرات** بكثرة العاهات
لعلهم يذكرون لكي يتنبهوا على ان ذلك لشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظون او ترق قلوبهم بالشدائد
فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده **فاذا جاءتهم الحسنة** من الخصب والسعة **قالوا لنا هذه**
لاجلنا ونحن مستحقوها **وان تصبهم سيئة** جدب وبلاء **يطيروا بموسى ومن معه** يتشاءموا
بهم ويقولون ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق في وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد
ترقق القلوب وتذلل العرايك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهي لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها
عتوا وانهماكا في الغي وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها ونكر
السيئة واتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع **الا انما طائرهم عند الله** اي سبب
خيرهم وشرهم عنده وهو حكمة ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التي
ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان ما يصيبهم
من الله تعالى او من شؤم اعمالهم **وقالوا مهما** اصله ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد ثم قلبت
الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذي يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء
والنصب بفعل يفسره **تاتنا به** اي بما تحضر باتيانه **من آية** بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى
لا لاعتقادهم ولذلك قالوا **لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين** اي لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا
والضمير في به وبها لما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وانث بعده باعتبار المعنى **فارسلنا عليهم
الطوفان** ما طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدري وقيل الموتان وقيل الطاعون
والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها **والضفادع والدم** روي
انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى
تراقيهم وكانت بيوت بني اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث
والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف
عنهم ونبت لهم من الكلا والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم
ثم اخذت تاكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو
المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط عليهم القمل فاكل ما ابقاه وكان يقع في
اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله

عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم
وهي تغلي وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا
العهد ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون
ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم
الرعاف **آيات** نصب على الحال **مفصلات** مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته
عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة
اسبوعا وقيل ان موسى عليه السلام لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات
على مهل **فاستكبروا** عن الايمان **وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز** يعني العذاب
المفصل او الطاعون ارسل الله عليهم بعد ذلك **قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك**
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهده اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو
صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك
في آياتك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك
او قسم مجاب بقوله **لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل**
اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن **فلما كشفنا عنهم الرجز الى
اجل هم بالغوه** الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت
وقيل الى اجل عينوه لايمانهم **اذا هم ينكثون** جواب لما اي فلما كشفنا عنهم فاجؤوا النكث من
غير توقف وتامل فيه **فانتقمنا منهم** فاردنا الانتقام منهم **فاغرقناهم في اليم** اي في البحر الذي
لا يدرك قعره وقيل لجته **بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين** اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم
بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم
مشارق الارض ومغاربها يعني ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا
في نواحيها **التي باركنا فيها** بالخصب وسعة العيش **وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل**
ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصر والتمكين وهو قوله ونريد ان نمن الى قوله ما كانوا
يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد **بما صبروا** بسبب صبرهم على الشدائد **ودمرنا**
وخربنا **ما كان يصنع فرعون وقومه** من القصور والعمارات **وما كانوا يعرشون** من الجنات
وما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرا ابن عامر وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون
بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** وما بعده ذكر ما احدثه
بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم
ومراقبة احوالهم روي ان موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه
شكرا **فاتوا على قوم** فمروا عليهم **يعكفون على اصنام لهم** يقيمون على عبادتها قيل كانت

تماثيل بقر وذلك اول شان العجل والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرا
حمزة والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة يعبدونها
وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعدما راوا
من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله
يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها
وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار
وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان التنبيه على ان الدمار لاحق
لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا قال اغير الله ابغيكم
الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه
تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا
ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته واذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيعه معكم في هذا الوقت
وقرا ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استيناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او
من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم
بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة
ذا القعدة وقرا ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه
اربعين ليلة بالغا اربعين روي انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان ياتيهم بعد مهلك
فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما ياتون ويذرون فلما هلك سال ربه فامره بصوم ثلثين فلما اتم
انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره
الله تعالى ان يزيد عشرا وقيل امره بان يتخلى بالصوم ثلثين والعبادة ثم انزل عليه التورية في العشر
وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح
من امرهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من
دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه لميقاتنا
وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملئكة وفيما روي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام
من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القدم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني
انظر اليك ارني نفسك ان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على
ان رؤيته تعالى جايزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبيا محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله
ولذلك رد بقوله لن تراني دون لم ارى ولن اريك ولم تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها
على معد في الرائي لم توجد فيه بعد وجعل السوال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ لو كانت
الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم او يزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال
لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطاء اذ لا يدل الاخبار
عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالته ودعوى

الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يتبين به انه لا يطيقه في تعليق الرؤية
بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة اذ المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى
ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى راه
جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرا حمزة والكسائي
دكاء اي مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا سنام لها وقرئ دكا اي قطعا دكا جمع دكا وخر موسى
صعقا مغشيا عليه من هول ما راى فلما افاق قال تعظيما لما راى سبحانك تبت
اليك من الجراءة والاقدام على السوال بغير اذن وانا اول المؤمنين من تفسيره
وقيل معناه وانا اول من امن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك
على الناس اي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه ولم يكن
حكيما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التورية وقرا ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي
بتكليمي اياك فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة
فيه روي سوال الرؤية كان يوم عرفة واعطى التورية يوم النحر وكتبنا له في الالواح
من كل شيء مما يحتاجون اليه من امور الدين موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار
والمجرور اي كتبنا كل شيء من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في الالواح كانت عشرة او سبعة
وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده او شقها
باصابعه وكان فيها التورية او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من
قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شيء فانه بمعنى الاشيا او للرسالات بقوة بجد
وعزيمة وامر قومك ياخذوا باحسنها اي باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة
الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله واتبعوا احسن ما
انزل اليكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن
مطلقا لا بالاضافة وهو المامور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين
دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا ولا
تفسقوا او دارهم في الاخرة وهي جهنم وقرئ ساوريكم بمعنى سابين لكم من اوريت الزند وساورثكم
ويؤيده قوله واورثنا القوم ساصرف عن اياتي المنصوبة في الافاق والانفس الذين
يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل
ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم
بغير الحق صلة يتكبرون اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله
وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم
في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا
لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرا حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات

كالسقم والسقم والسقام وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا
وكانوا عنها غافلين اي ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز ان ينصب
ذلك على المصدر اي سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي
ولقائهم الدار الآخرة او ما وعد الله في الآخرة حبطت أعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون
إلا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه للميقات من
حليهم التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها
بعد هلاكهم وهو جمع حلي كثدي وثدي وقرأ حمزة والكسائي بالكسر للاتباع كدلي ويعقوب على الافراد عجلا
جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر
روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل
فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها
وقرئ جؤار اي صياح ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم
بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا
انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اي اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين
الاشياء في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولما سقط في أيديهم كناية عن اشتداد
ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفاعل بمعنى وقع
العض فيها وقيل معناه سقط الندم في انفسهم ورأوا وعلموا أنهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم
يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين
وقرأ حمزة والكسائي بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا شديد الغضب
وقيل حزينا قال بئسما خلفتموني من بعدي فعلتم بعدي حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة
او قمتم مقامي فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن
في بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم ومعنى من بعدي من بعد
انطلاقي او من بعد ما رأيتم مني التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه أعجلتم أمر ربكم
أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدي تعديته او أعجلتم وعده الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم
بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم وألقى الألواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي ان التورية
كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شيء وبقي سبع
كان فيه المواعظ والاحكام وأخذ برأس أخيه بشعر رأسه يجره إليه توهما بانه قصر في كفهم وهرون
كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال ابن أم ذكر الام ليرققه عليه وكان
من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم هنا وفي طه يا ابن أم بالكسر واصله يا ابن امي فحذفت اليا
اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى اليا والباقون بالفتح زيادة في التخفيف لطوله وتشبيها بخمسة عشر
إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي في كفهم
حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الأعداء فلا تفعل بي ما يشمتون بي لاجله ولا

تجعلني مع القوم الظالمين معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او نسبة التقصير قال رب اغفر لي
ما صنعت باخي ولأخي ان فرط في كفهم ضم اليه نفسه في الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة
عنه وأدخلنا في رحمتك بمزيد الانعام علينا وأنت أرحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا
إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم من قتل انفسهم وذلة
في الحياة الدنيا وخروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزي المفترين على الله ولا فرية اعظم
من فريتهم وهي قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا
السيئات من الكفر والمعاصي ثم تابوا من بعدها بعد السيئات وآمنوا واشتغلوا بالايمان وما
هو مقتضاه من الاعمال الصالحة إن ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم
الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بني اسرائيل ولما سكت عن موسى الغضب باعتذار هرون
او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري
عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله او اخوه او الذين
تابوا أخذ الألواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة
وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير
للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتاخير او حذف المفعول واللام للتعليل
والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه
سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان ياتيه في سبعين من بني اسرائيل
فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا
فسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل
وإياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر وعنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل
ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالابعاد منها فان ترحمت مرة اخرى
لم يبعد من عميم احسانك أتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك
قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم
هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا
فكشفها الله عنهم إن هي إلا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت
في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء
هداه فيقوى بها ايمانه أنت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وأنت خير الغافرين
تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة
وفي الآخرة الجنة إنا هدنا إليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاد يهيد اذا اماله
ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا انفسنا او املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا

مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول هو معود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي
وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل الكافر وغيره فساكتبها فساثبتها في الاخرة او فاكتبها كتبة
خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لاباحتها ولانها
كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول
النبي مبتدا خبره يامرهم او خبر مبتدا تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل
والمراد من امن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا باضافته الى الله ونبيا باضافته الى العباد الامي
الذي لا يكتب ولا يقرا وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احد معجزاته الذي يجدونه مكتوبا
عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم
الطيبات مما حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع
عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ويخفف عليهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين
القصاص في العمد والخطا وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذي يأصر
صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وقرا ابن عامر اصارهم فالذين امنوا به وعزروه وعظموه
بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه
اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره او لانه كاشف الحقائق مظهر لها
ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب
والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الاية جواب دعاء موسى
عليه السلام قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى قومهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات
والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب
او مرفوع او مبتدا خبره لا اله الا هو وهو على الوجه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو
الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبي
الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته
على ارادة الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما
عدل من التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم
تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد
في خطة الضلال ومن قوم موسى يعني بني اسرائيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او
بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق
من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القران تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم
اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج فامنوا به وقطعناهم وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم من بعض اثنتي عشرة
مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتانيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه

ولذلك

ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتي عشرة اسباط فكانه قيل اثنتي عشرة قبيلة وقرئ بكسر
الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثاني بدل من اسباطا واوحينا
الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب
فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى لم يتوقف في الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه
الفعل في ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم وظللنا عليهم
الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات
ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره في سورة البقرة
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا والقرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله كلوا فيها
بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء لذكره او لدلالة الحال واما تقديم قولوا
على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين وعد بالغفران وزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف
للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به وقرا نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء
والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وابو عمرو خطاياكم وقرا ابن عامر
خطيئتكم ورفع التاء من غير الف على التوحيد وقرا نافع كذلك الا انه على الجمع فبدل الذين ظلموا
منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون
مضى تفسيره فيها واسالهم للتقرير والتقريع تقدم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من
علومهم التي لا تعلم الا بتعليم او وحي ليكون ذلك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع من
اهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه وهي ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر
وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت
واذ ظرف لكانت او لحاضرة او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد اي
يعدون الالات للصيد يوم السبت وقد نهوا ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم
شرعا يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل
اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم وقرئ لا يسبتون من اسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول
بمعنى لا يدخلون في السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع
علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد
نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله اي لا تاتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء
متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحائهم
الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم

او معذبهم عذابا شديدا في الاخرة لتمادیهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او
سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكانه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم
وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى
ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انها اعذارا الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر
وقرا حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اي اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة و
لعلهم يتقون اذ الياس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما
ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرا ابو بكر
بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ مخفف
عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد في كبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذيب او على انه فعل
الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس بالتخفيف كهين وبائس
بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبرا عن ترك ما نهوا عنه كقوله
تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك
فمسخهم ويجوز ان يكون الاية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روي ان الناهين لما ايسوا
عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما
ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم
ولكن القرود تعرفهم فجعلت تاتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن
مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اي اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد
او عزم على ان العازم على الشيء يؤذن نفسه بفعله واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله
ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على
نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية
بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبا نساءهم
وذرياتهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه
وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب
عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم
فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان
او حال منهم الصالحون صفة او بدل منهم وهم الذين امنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم
دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم
وبلوناهم بالحسنات والسيئات اي بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون
عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك

يقع

يقع على الواحد والجمع وقيل هو جمع وهو شايع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤونها
ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشيء الادنى يعني الدنيا وهو
من الدنو والدناءة وهو ما كانوا ياخذون من الرشا في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال
من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف
والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه
حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة وهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين
منه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي في الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف
بيان للميثاق او متعلق به اي بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة
والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ
من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما
ياخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدني المؤدي الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرا نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التكرير والذين يمسكون بالكتاب
واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدا خبره انا
لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح
كالمانع من التضييع وقرا ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع
التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه
ظلة سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت
في الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام
التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا
على اضمار القول اي قلنا خذوا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم
على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون
قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم اي اخرج
من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض
وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
اي نصب لهم دلائل ربوبيته وركب في عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من
قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف
على طريقة التمثيل ويدل على قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اي كراهة ان
تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرا ابو عمرو
كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم
فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا

بما كانوا يفعل المبطلون يعني اباهم المبطلين بتاسيس الشرك وقيل لما خلق الله ادم اخرج من
ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك بحديث رواه عمر رضي الله عنه
وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود
مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية
ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الايات ولعلهم
يرجعون اي عن التقليد واتباع الباطل واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي اتيناه
اياتنا هو احد علماء بني اسرائيل او امية بن ابي الصلت كان قد قرا الكتب وعلم ان الله مرسل
رسولا في ذلك الزمان ورجا ان يكون هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به
او بلعم بن باعورا من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها
واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من
الضالين روي ان قومه سالوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملئكة
فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا في التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها
بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السافلة واتبع
هواه في ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشية الله
ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشية سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه
دليل وسايط معتبرة في حصول المسبب من حيث ان المشية تعلقت به كذلك وكان من حقه ان
يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه
وان حب الدنيا راس كل خطيئة فمثله فصفته التي هي مثل في الخسة كمثل الكلب كصفته في
اخس اوصافه وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي يلهث دايما سواء حمل عليه بالزجر
والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من التنفس
الشديد والشرطية في موضع الحال والمعنى لاهثا في الحالتين والتمثيل وقع موقع لازم التركيب الذي هو نفي الرفع
ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل كالكلب ذلك
مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص اي المذكور على اليهود فانها نحو قصصهم
لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اي مثل القوم الذين وقرئ ساء
مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم
كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا في الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات
وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى ما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المعمول
من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى
والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة الاهتداء والافراد في الاول
والجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقتهم بخلاف الضالين
والاختصار في الاخبار عمن هدى الله بالمهتدي تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه في نفسه كمال

جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجلة والعنوان بها ولقد
ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعني المصرين على الكفر في علمه تعالى لهم قلوب لا
يفقهون اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر في دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اي لا ينظرون
الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات والمواعظ سماع تامل وتذكر
اولئك كالانعام في عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او في ان مشاعرهم وقلوبهم
متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع
والمضار وتجتهد في جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار
اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هي احسن
المعاني والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا
كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمان
اليمامة او ذرهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى
ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرا حمزة هنا
وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن خلقنا امة يهدون
بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طايفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة
على انه خلق ايضا للجنة امة هادين بالحق عادلين في الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان
في كل قرن طايفة بهذه الصفة لقوله عليه السلام لا تزال من امتي طايفة على الحق الى ان ياتي امر الله
اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فايدة فانه معلوم والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك بان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا
بطرا وانهماكا في الغي حتى تحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم
ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم
يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا من جنة جنون روي انه عليه السلام صعد على الصفا
فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يصوت الى الصباح
فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه اسم الشيء من الاجناس التي
لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها
ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت
وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان وكذا اسم يكون والمعنى اولم ينظروا
في اقتراب اجالهم وتوقع حلولها فيسارعون الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة
الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده اي بعد القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به

النهاية في البيان في اخبار عنهم بالطبع و التصميم علي الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الي النظر
وقيل هو متعلق بقوله عسي ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الي
الايمان بالقران وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يومنوا به فباي حديث احق منه يريدون
ان يومنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ونذرهم
في طغيانهم بالرفع علي الاستيناف وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله
وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا علي محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ونذرهم
يعمهون حال من هم يسالونك عن الساعة اي عن القيامة وهو من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او علي انها علي طولها عند الله كساعة
ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسي الجبل
وارسي السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت لان البعض
اوى الي الكل قل انما علمها عند ربي استاثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا
لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعني ان الخفا بها مستمر علي غيره الي
وقت وقوعها واللام للتاقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات
والارض عظمت علي اهلها من الملايكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الي الحكمة في اخفائها
لا تاتيكم الا بغتة فجاءة علي غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل
يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها عالم بها من حفي عن الشيء اذا سال عنه فان من بالغ في
السوال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدي بعن وقيل هي صلة يسيلونك
وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متي الساعة
والمعني يسيلونك عنها كانك حفي تتحفي بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كانك
حفي بالسوال عنها من هذه الزيادة للمبالغة قل انما علمها عند الله كرره لتكرير يسالونك لما
نيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند الله لم يوته
احدا من خلقه قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار العبودية
والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب الا ما شاء الله من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له ولو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت حالي
ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير وبشير
وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون
متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا هو الذي خلقكم من نفس واحدة
هو ادم عليه السلام وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها لقوله جعل
لكم من انفسكم ازواجا زوجها حوي ليسكن اليها ليانس بها ويطمين اليها اطمينان
الشي بجزيه او جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الي المعنى ليناسب فلما تغشاها اي جامعها

حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى الحوامل غالبا من الاذي او محمولا خفيفا
وهو النطفة فمرت به فاستمرت به اي قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت
وفمارت من المور وهو المجي والذهاب او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد في بطنها وقرئ للبناء علي المفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما
لين اتيتنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك علي هذه النعمة
المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما اي جعل اولادهما له شركاء
فيما اتي اولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف علي حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه ويدل عليه قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيا
وهم يخلقون يعني الاصنام وقيل لما حملت حوي اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما
يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال اني من الله بمنزلة
فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه فسميه عبد الحارث وكان
اسمه حارثا في الملايكة فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث وامثال ذلك لا يليق بالانبيا ويحتمل ان يكون
الخطاب في خلقكم لال قصي من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه وطلبا من الله الولد
فاعطاهما اربعة بنين فسماهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار ويكون الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما المقتدين بهما وقرا نافع وابو بكر شركا اي شركة بان اشركا فيه غيره او ذوي شرك وهم شركاؤهم فهم الاصنام تسميتهم
اياها الهة ولا يستطيعون لهم نصرا اي لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنهم
ما يعتريها وان تدعوهم اي المشركين الي الهدي الي الاسلام لا يتبعوكم وقرا نافع بالتخفيف
وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام اي ان تدعوهم الي ان يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة في عدم
افادة الدعاء من حيث انه مسوي بالثبات علي الصمات او لانهم ما كانوا يدعونها لحوايجهم فكانه قيل سواء عليكم
احداثكم دعاءهم واستمراركم علي الصمات عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم
وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم
ان كنتم صادقين انهم الهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصورة الاناسي قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا
احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال الهم
ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
وقرئ ان الذين بتخفيف ان الذين قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون فبالغوا فيما
تقدرون عليه من مكروهي انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلون فاني لا ابالي بكم لوثوقي علي ولاية الله
وحفظه ان وليي الله الذي نزل الكتاب القران وهو يتولى الصالحين اي ومن عادته تعالى ان يتولى
الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم
ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الي الهدي لا يسمعوا
وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر

الي من يواجهه خذ العفو اي خذ ما عفا لك من افعال الناس و تسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذي
هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وأمر
بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافيهم بمثل افعالهم
وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق امرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك
منه نخس اي وسوسة يحملك علي خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه
وسوسته للناس اغراءهم علي المعاصي وازعاجاتهم والسايق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع
استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه
عليها مغنيا اياك من الانتقام ومتابعة الشيطان ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به
الخيال يطيف طيفا وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسايي ويعقوب طيف علي انه مصدر او تخفيف طيف
كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهي عنه فاذا هم
مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطا ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تاكيد وتقرير
لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اي واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي
بالتزيين والحمل عليه وقري يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا
يقصرون لا يمسكون عن اغوائهم حتي يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اي لا يكفون عن الغي
ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الي الجاهلين فيكون الخبر
جاريا علي من هو له وإذا لم تأتهم باية من القران او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها
تقولا من نفسك كسائر ما يقرؤه او هلا طلبتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق
للايات ولست لمقترح لها هذا بصاير من ربكم هذا القران بصاير للقلوب بها يبصر
الحق ويدرك الصواب وهدي ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره وإذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلوة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع
قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبها حيث يقرا القران مطلقا وعامة العلماء
علي استحبابها خارج الصلوة واحتج به من لا يري القراءة علي المأموم وهو ضعيف واذكر ربك
في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعا او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته
كما هو مذهب الشافعي تضرعا وخيفة متضرعا وخايفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما
فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والاصال باوقات الغدوات والعشيات
وقري والايصال وهو مصدر اصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله
ان الذين عند ربك يعني ملايكة الملاء الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به تعريض بمن عداهم من المكلفين
ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن آدم فسجد عزل الشيطان يبكي
فيقول يا ويلتا امر هذا بالسجدة فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه السلام من

قرا سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة
سورة الانفال مدنية وانها ستا وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك
عن الانفال اي الغنايم وانما يعني حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمي به
ما يشرطه الامام للمقتحم خطرا عطية له وزيادة له علي سهمه قل الانفال لله والرسول اي امرها مختص
بهما يقسمها الرسول علي ما يامره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين في غنايم انها كيف تقسم ومن
يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غنا ان ينفله
فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه
الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفية تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بينهم علي السوا ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفي بما وعد وهو قول الشافعي وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان
يوم بدر وقتل اخي عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم
واستوهبته منه فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل
اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم سالتني
السيف وليس لي وانه قد صار لي فاذهب فخذه وقري يسلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها علي
اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم فاتقوا الله في الاختلاف
والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التي بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم
امره الي الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ذلك
او ان كنتم كاملي الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح
ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اي الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا له من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع عنه خوفا من عقابه وقري وجلت بالفتح وهو لغة وفرقت اي خافت واذا تليت عليهم
اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمينان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة
او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء علي ان العمل داخل
فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان
ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التي هي العيار
عليها الصلوة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات
عند ربهم كرامات وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق
كريم اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدا
محذوف تقديره هذه الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له او مصدر الفعل
المقدر في قوله لله والرسول اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك
من بيتك يعني المدينة لانها مهاجرته ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين

لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة
ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله
صلي الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة
فنادي ابو جهل فوق الكعبة النجا النجا علي كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها
ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل
ثم حلق بها فلم يبق بيت في مكة الا اصابه شيء منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال اما نرضي رجالهم
ان يتنبؤا حتي تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضي بهم الي بدر وهو ما كانت العرب تجتمع
عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم بوادي دفران فنزل عليه جبريل بالوعد
باحدي الطايفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال
حتي نتأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير مضت علي ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلي الله عليه وسلم فقام ابو بكر وعمر
رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض لما امرك الله فوالله لو سرت الي عدن
ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد ابن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيثما احببت لا نقول
لك كما قال بنو اسرائيل اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا
معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم
كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برءآء من ذمامه حتي يصل الي ديارهم فتخوف ان لا
يروا نصرته الا علي عدوه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا
بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك علي ذلك عهودنا ومواثيقنا علي السمع
والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقي بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة الله فنشطه ثم قال سيروا علي بركة الله
وابشروا فان الله قد وعدني احدي الطايفتين والله لكاني انظر الي مصارع القوم وقيل انه عليه السلام
لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله
وعدك احدي الطايفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك
الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول
كانما يساقون الي الموت وهم ينظرون اي يكرهون القتال كراهة من يساق الي الموت وهو
يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا
فارسان وفيه ايماء الي ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدي الطايفتين
علي اضمار اذكر واحدي ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل عنها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان
غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك تتمنونها
وتكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك

ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته الوحي بها في هذه الحال او باوامره
للملائكة بالامداد وقري بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعني انكم تريدون
ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين
ليحق الحق ويبطل الباطل اي فعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه
وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الي حمل الرسول علي اختيار ذات الشوكة
ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او
متعلق بقوله ليحق الحق او علي اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال
اخذوا يقولون اي رب انصرنا علي عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله عنه
انه عليه السلام نظر الي المشركين وهم الف والي اصحابه وهم ثلاث مائة فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال
كذلك حتي سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك
فاستجاب لكم اني ممدكم باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرا ابو عمرو بالكسر
علي ارادة القول او اجراء استجاب مجري قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة
مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اياه فردفه وقرا نافع ويعقوب
مردفين بفتح الدال متبعين بمعني انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقري مردفين بكسر
الدال وضمها واصله مرتدفين بمعني مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقي ساكنان
فحركت الدال بالكسر علي الاصل او بالضم علي الاتباع وقري بالف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه
بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا علي المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من
قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل عليها وما جعله الله اي الامداد الا بشري
الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم
وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب
ونحوها وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها اذ يغشاكم النعاس
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معني الفعل او بجعل
او باضمار اذكر وقرا نافع بالتخفيف من اغشيته الشيء اذا غشيته اياه والفاعل علي القراءتين
هو الله تعالي وقرا ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه امنا من الله وهو مفعول
له باعتبار المعني فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معني تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة
فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وان يجعل علي القراءة الاخيرة فعل
النعاس علي المجاز لانه لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه
حصلت لهم امنة من الله لولاها لم يغشاهم كقوله يهاب النوم ان يغشي عيونا تهابك فهو نفار شرود
وقري امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب
عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانه من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي

انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ما وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء
فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون
انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا
الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى
ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة **وليربط على قلوبكم** بالوثوق على لطف الله بهم **ويثبت**
به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة **اذ يوحي**
ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت **اني معكم** في اعانتهم وتثبيتهم وهو
مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه **فثبتوا الذين آمنوا** بالبشارة
او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب**
كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين
اما على تغيير الخطاب او على ان قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا
لهم قولي هذا **فاضربوا فوق الاعناق** اعاليها التي هي المذابح او الرؤوس **واضربوا منهم كل بنان** اصابع
اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم **ذلك** اشارة الى الضرب والامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين
قيل **بانهم شاقوا الله ورسوله** بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعاندين
في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب **ومن يشاقق الله ورسوله**
فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا
ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريق الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب
بفعل يدل عليه **فذوقوه** او غيره مثل باشروا او عليكم ليكون الفاء عاطفة **وان للكافرين عذاب**
النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع
الظاهر فيه موضع المضمر للدلالة على ان الكفر سبب للعذاب الآجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو
مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال **فلا تولوهم**
الادبار بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكومة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين
الآية ويجوز ان ينتصب زحفا من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدنون اليكم وتدنون اليهم
فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر الفا **ومن**
يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب
او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر
القرب لما روي ابن عمر انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم نفروا الى المدينة فقلت يا رسول الله
نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او
الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه
من حاز يحوز **فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** هذا اذا لم يزد العدو على

الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب
فلم تقتلوهم بقوتكم **ولكن الله قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم
روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون
رسولك اللهم اني اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما
التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل
بعينه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول
الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم
ولكن الله قتلهم **وما رميت** يا محمد رميا توصله الى اعينهم ولم تقدر عليه **اذ رميت** اي اتيت
بصورة الرمي **ولكن الله رمى** اي بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم
من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما
رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي
بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فاصاب
كنانة بن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما
بعده في الموضعين **وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا** ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر
والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ما فعل **ان الله سميع** لاستغاثتهم ودعائهم **عليم** بنياتهم
واحوالهم **ذلكم** اشارة الى البلاء الحسن او القتل او الرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله
وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين
وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا
الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين
وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول **فهو خير لكم** لتضمنه سلامة الدارين وخير
المنزلتين **وان تعودوا** لمحاربته **نعد** لنصرته **ولن تغني** ولن تدفع **عنكم فئتكم**
جماعتكم **شيئا** من الاغناء او المضار **ولو كثرت** فئتكم **وان الله مع المؤمنين** بالنصر
والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية
خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة
عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني
ح كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين ايمانهم ويؤيد ذلك **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا**
الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهي
عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة **وانتم تسمعون**
القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق **ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا** كالكفرة او المنافقين

الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكانهم لا يسمعون راسا ان شر الدواب
عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهايم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون اياه عدهم
من البهايم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت
لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به
او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي احي لنا قصيا فانه
كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا
استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله
تسمع من الرسول وروي انه عليه السلام مر على ابي وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان
اجابته لا تقطع الصلوة فان الصلوة ايضا اجابة وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير وللمصلي
ان يقطع الصلوة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها
حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحياة
الابدية في النعيم الدايم من العقايد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقايكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو
وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه
تمثيل لغاية قربه من العبد لقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات
القلوب ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول
الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزايمه ويغير
مقاصده فيحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقري
بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الرا واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد
فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم
خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة في الامر بالمعروف وافتراق الكلمة
وظهور البدع والتكاسل في الجهاد على ان قوله لا تصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيب
الظالمين منكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهي ساغ
فيه كقوله ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفي وفيه شذوذ لان النون لا تدخل
المنفي في غير القسم او للنهي على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاوا بمذق هل رايت
الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرا لتصيبن وان اختلفا في المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر
باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن في منكم على الوجوه
الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفايدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ارض مكة تستضعفكم
قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في ايدي فارس والروم تخافون
ان يتخطفكم الناس كفار قريش او من عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى

المدينة او جعل لكم ماوى تتحصنون به عن اعاديكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار
او بامداد الملايكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنايم لعلكم تشكرون هذه
النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل الفرايض والسنن او بان تضمروا
خلاف ما تظهرون او بالغلول في الغنايم وروي انه عليه السلام حاصر بني قريظة احدا وعشرين ليلة
فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير الى ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من الشام فابى الا ان
ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم
فبعثه اليهم فقالوا ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي
حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية في المسجد وقال والله لا اذوق طعاما
ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام
توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنوب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان
تتصدق واصل الخون النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا
اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون
او وانتم علما تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع
في الاثم والعقاب او محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابي لبابة وان الله
عنده اجر عظيم لمن اثر رضاء الله عليهم وراعى حدوده فيهم فلتنوطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها
الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل
او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة
تحذرون في الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان
اي الصبح ويكفر عنكم سياتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيات
الصغاير والذنوب الكباير وقيل المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم والله
ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى بفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب
تقويهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش
به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذ يمكرون بك ليثبتوك
بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقري ليثبتوك
بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك
انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ وقال انا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا
فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها
فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه
على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بيس الراي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل

انا اري ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا ويضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبايل فلا
يقوي بنو هاشم علي حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتي فتفرقوا علي رايه
فاتي جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بالخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله عنه علي مضجعه وخرج
مع ابي بكر رضي الله عنه الي الغار **ويمكرون ويمكر الله** برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة
الماكرين معهم بان اخرجهم الي بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتي حملوا عليهم فقتلوا **والله خير الماكرين**
اذ لا يوبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام
الذم **واذا تتلي عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا** هذا قول النضر بن الحارث
واسناده الي الجمع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم وقيل هو قول الذين ائتمروا في امره
عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاءوا وقد
تحداهم وقرعهم بالمعجزات عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سواه مع انفتهم وفرط استنكافهم
ان يغلبوا خصوصا في باب البيان **ان هذا الا اساطير الاولين** ما سطره الاولون من القصص
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين
قال له النبي عليه السلام ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعني ان كان القران حقا منزلا فامطر الحجارة علينا
عقوبة علي انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام علي كونه باطلا وقري
الحق بالرفع علي انه مبتدا غير فصل وفايدة التعريف فيه الدلالة علي ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه
النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب
لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفي والدلالة علي ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبي صلى الله
عليه وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم
من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه علي معني لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القري بظلم
واهلها مصلحون **وما لهم الا يعذبهم الله** وما لهم مما يمنع تعذيبهم متي زال ذلك وكيف لا يعذبون **وهم يصدون**
عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الي الهجرة
واحصارهم عام الحديبية **وما كانوا اولياءه** مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن
ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء **ان اولياؤه الا المتقون** من الشرك الذين لا يعبدون
فيه غيره وقيل الضميران لله **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند
او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم **وما كان صلاتهم عند البيت** اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون
موضعها **الا مكاء** صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقري بالقصر كالبكا **وتصدية** تصفيقا تفعلة من الصدا
او من الصد علي ابدال احد حرفي التضعيف ياء وقري صلاتهم بالنصب علي انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم
العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي

يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا **فذوقوا العذاب** يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب
الاخرة والامر يحتمل ان يكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب **بما كنتم تكفرون** اعتقادا وعملا **ان الذين**
كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من
قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان رضي الله عنه استاجر ليوم احد الفين من العرب سوي
من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيبت قريش ببدر قيل لهم اعينوا
بهذا المال علي حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله **فسينفقونها**
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق
احد ويحتمل ان يراد بهما واحد علي ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه
لم يقع بعد **ثم تكون عليهم حسرة** ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهي عاقبة انفاقها
مبالغة **ثم يغلبون** اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك **والذين كفروا** اي الذين ثبتوا
علي الكفر منهم اذ اسلم بعضهم **الي جهنم يحشرون** يساقون **ليميز الله الخبيث من الطيب**
الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم
حسرة وقرا حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز **ويجعل الخبيث بعضه علي بعض**
فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الي بعض حتي يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الي الكافر ما انفقه ليزيد
به عذابه كمال الكافرين **فيجعله في جهنم** كله **اولئك** اشارة الي الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الي
المنفقين **هم الخاسرون** الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم **قل للذين كفروا** يعني
ابا سفيان واصحابه والمعني قل لاجلهم **ان ينتهوا** عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام
يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقري بالتاء والكاف علي انه خطابهم ويغفر علي البناء للفاعل وهو الله
وان يعودوا الي قتاله **فقد مضت سنة الاولين** الذين تحزبوا علي الانبياء بالتدمير كما جري علي
اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك **وقاتلوهم حتي لا تكون فتنة** لا يوجد فيهم شرك **ويكون**
الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة **فان انتهوا** عن الكفر **فان الله بما يعملون بصير**
فيجازيهم علي انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء علي معني فان الله بما تعملون من الجهاد
والدعوة الي الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الي نور الايمان بصير يجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم
دلالة علي انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب **وان تولوا** ولم ينتهوا
فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم **نعم المولي** لا يضيع من تولاه **ونعم**
النصير لا يغلب من نصره **واعلموا انما غنمتم** اي الذي اخذتموه من الكفار قهرا **من شيء** مما يقع عليه
اسم الشيء حتي الخيط **فان لله خمسه** مبتدا خبره محذوف اي فثابت ان لله خمسه وقري فان بالكسر
والجمهور علي ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس علي الخمسة
المعطوفين **وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل** فكانه قال فان لله
خمسه يصرف الي هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الي

ماكان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضي الله عنهما وقيل الي الامام وقيل الي الاصناف الاربعة
وقال ابو حنيفة سقط سهمه وسهم ذوي القربي بوفاته وصار الكل مصروفا الي الثلاثة الباقية وعن مالك الامر
فيه مفوض الي الامام يصرفه الي ما يراه اهم وذهب ابو العالية الي ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف
سهم الله الي الكعبة لما روي انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي علي خمسة وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل مضموم الي سهم الرسول صلي الله عليه وسلم وذووا القربي بنو هاشم وبنو المطلب
لما روي انه عليه السلام قسم سهم ذوي القربي عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما هولاء اخوتك
بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل
الخمس كله لهم والمراد باليتامي والمساكين وابن السبيل من كان منهم فالعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر وقيل
كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال علي راس عشرين شهرا من الهجرة **إِن كُنتُمْ
آمَنتُم بِاللَّهِ** متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم امنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهولاء فسلموه اليهم
واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود
بالذات هو العمل **وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا** محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ علي عبدنا بضمتين اي الرسول
والمومنون **يَوْمَ الْفُرْقَانِ** يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل **يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ** المسلمون والكفار
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر علي نصر القليل علي الكثير والامداد بالملائكة **إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا**
بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو
قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب **وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ** البعدي من المدينة تانيث الاقصي وكان
قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء علي الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من
القصيا **وَالرَّكْبُ** اي العير او قوادها **أَسْفَلَ مِنكُمْ** في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب
علي الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفايدتها الدلالة علي قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم علي المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم علي ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهي جهدهم وضعف شان المسلمين
وشتات امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها
الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوي وكذا قوله **وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ
فِي الْمِيعَادِ** اي لو تواعدتم انتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم وياسا
من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنيعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا
ايمانا وشكرا **وَلَٰكِن** جمع بينكم علي هذه الحال من غير ميعاد **لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** حقيقا
بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ**
بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعني ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها
لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن
عن وضوح بينة علي استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حيي المشارف للحياة
والهلاك او من هذه حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب
من حيي بفك الادغام للحمل علي المستقبل **وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن

وثوابه

وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين علي القول والاعتقاد **إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا**
مقدر باذكروا او بدل من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في روياك وهو ان تخبر
به اصحابك فيكون تثبيتا وتشجيعا لهم علي عدوهم **وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ** لجبنتم **وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ**
في امر القتال وتفرقت اراوكم بين الثبات والفرار **وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ** انعم بالسلامة من الفشل والتنازع
إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يعلم ما سيكون فيها وما يغير من احوالها **وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ
فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا** الضميران مفعولا يري وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حين قال ابن مسعود
رضي الله عنه لمن الي جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرويا الرسول صلي الله عليه
وسلم **وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ** حتي قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام
القتال ليجترئوا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتي يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم
وهذا من عظائم ايات تلك الواقعة فان البصر وان كان قد يري الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا علي هذا الوجه
ولا الي هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله تعالي الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي
في الشروط **لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثم
الالتقاء علي الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الشرك وحزبه **وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً حاربتم جماعة ولم يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون الا الكفار
واللقاء مما غلب في القتال **فَاثْبُتُوا** للقائهم **وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا** في مواطن الحرب داعين له مستظهرين
بذكره مترقبين لنصره **لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه علي
ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان يلتجي اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شيء من الاحوال **وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا** باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر واحد **فَتَفْشَلُوا** جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ **وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ**
بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها
وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالكلاءة والنصر **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم**
يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير **بَطَرًا** فخرا واشرا **وَرِئَاءَ النَّاسِ** ليثنوا عليهم بالشجاعة
والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل
لا والله حتي نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن
سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهي المومنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا
اهل تقوي واخلاص من حيث ان النهي امر بضده **وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** معطوف علي بطرا ان جعل
مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن علي تاويل **وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** فيجازيهم عليه
وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مقدر باذكر **أَعْمَالَهُمْ** في معاداة الرسول صلي الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس
اليهم **وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ** مقالة نفسانية والمعني انه القي في روعهم
وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعه اياهم فيما يظنون انها

قربان مخبر لهم حتى قالوا اللهم أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته
والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا **فلما تراءت الفئتان** اي تلاقى الفريقان **نكص على عقبيه**
رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مخبرهم بسبب هلاكهم **وقال إني بريء منكم
إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله** اي تبرا منهم وخاف عليهم وييئس من حالهم لما راى امداد الله المسلمين
بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكان ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى
ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك
فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون
معنى قوله اني اخاف الله اني اخاف ان يصيبني مكروها من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود
الى ادى فيه ما لم يرُ قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر **والله شديد العقاب** يجوز ان يكون
كلامه وان يكون مستانفا **إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض** والذين لم يطمئنوا الى الايمان
بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين **غر هؤلاء** يعنون
المؤمنين **دينهم** حتى تعرضوا لما لا يد لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الالف **ومن يتوكل
على الله** جواب لهم **فإن الله عزيز** غالب لا يذل من استجار به وان قل **حكيم** يفعل بحكمته البالغة
ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه **ولو ترى** ولو رايت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان **إذ
يتوفى الذين كفروا الملائكة** ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم
حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله تعالى وهو
مبتدا خبره **يضربون وجوههم** والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على
الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين **وأدبارهم** ظهورهما واستاههم ولعل
المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر **وذوقوا عذاب الحريق** عطف على يضربون باضمار القول
اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها
وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله **ذلك** اي الضرب والعذاب **بما قدمت أيديكم** بسبب ما كسبتم
من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك **وأن الله ليس بظلام للعبيد** عطف عليه للدلالة على سببيته
مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان تعذيبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من
مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد
كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي داموا عليه
والذين من قبلهم من قبل آل فرعون **كفروا بآيات الله** تفسير لدأبهم **فأخذهم الله بذنوبهم**
كما اخذ هؤلاء **إن الله قوي شديد العقاب** لا يغلبه في دفعه شيء **ذلك** اشارة الى ما حل بهم **بأن الله**
بسبب ان الله **لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم** مبدلا اياها بالنقمة **حتى يغيروا ما بأنفسهم**
يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة

الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها
الى غير ذلك مما احدثوه بعد البعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا احوالهم بل ما
هو المفهوم له وجري عادته تعالى على تغييره متى يغيروا احوالهم واصل لم يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو
لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة لكثيره تخفيفا **وأن الله سميع** لما يقولون **عليم** بما يفعلون
**كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل
فرعون** تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به
آل فرعون وقيل الاول لسببية الكفر والاخذ به والثاني لسببية التغيير في النعمة بسبب تغييرهم
ما بانفسهم **وكل** من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش **كانوا ظالمين** انفسهم بالكفر
والمعاصي **إن شر الدواب عند الله الذين كفروا** اصروا على الكفر ورسخوا فيه **فهم لا يؤمنون**
فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه
على ان تحقق المعطوف عليه مستدع تحقق المعطوف وقوله **الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة** بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم
فنكثوا ومالوا عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمن المعاهدة معنى
الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة **وهم لا يتقون** سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله
فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم **فإما تثقفنهم** فاما تصادفنهم وتظفرن بهم **في الحرب
فشرد بهم** ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم **من خلفهم** من وراءهم من الكفرة
والتشريد التفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى
واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء **لعلهم يذكرون** لعل المشردين
يتعظون **وإما تخافن من قوم** معاهدين **خيانة** نقض عهد بامارات تلوح لك **فانبذ إليهم**
فاطرح اليهم عهدهم **على سواء** على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة
منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا
على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله **إن الله لا يحب الخائنين** تعليل الامر
بالنبذ او النهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستيناف **ولا يحسبن** خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله **الذين كفروا سبقوا** مفعولاه وقرا ابن عامر وحمزة وحفص بالياء
على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان
سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع فعل على **إنهم لا يعجزون**
بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي
اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت
ان الا انه تعليل على سبيل الاستيناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو او
قيل نزلت فيمن افلت من قتل المشركين **وأعدوا** ايها المؤمنون **لهم** لناقضي العهد او الكفار **ما استطعتم**

مِنْ قُوَّةٍ من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا
ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
اسم للخيل التي تربط في سبيل الله تعالى بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط
مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها
على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة تُرْهِبُونَ بِهِ تخوفون به وعن يعقوب ترهّبون
بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ يعني كفار مكة وَآخَرِينَ
مِنْ دُونِهِمْ من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لَا تَعْلَمُونَهُمُ لا تعرفونهم
باعيانهم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ يعرفهم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاؤه
وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ بتضييع العمل او بنقص الثواب وَإِنْ جَنَحُوا مالوا ومنه الجناح وقد تعدى
باللام والى لِلسَّلْمِ للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فَاجْنَحْ لَهَا وعاهد معهم وتانيث
الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وقرئ فاجنح بالضم وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه
بهم إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم الْعَلِيمُ بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم
وقيل عامة نسختها اية السيف وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ فان محسبك الله او
كافيك قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ
بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ جميعا وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء
والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته
صلى الله عليه وسلم وبيانه لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ اي تناهي
عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح
وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء إِنَّهُ عَزِيزٌ
تام القدرة والغلبة لا يعصي عليه ما يريده حَكِيمٌ يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريده وقيل
الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك
والف بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا انصارا يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ كافيك وَمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا فحسبك
والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكني عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اي كفاك الله والمومنون
والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبي ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضي الله عنه
فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في اسلامه يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفي على الموت وقرئ حرص من الحرص إِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرأ
ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الاثنين ووافقهم البصريان في وان تكن منكم مائة بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ

لا يفقهون

لَا يَفْقَهُونَ بسبب انهم جهلة بالله واليوم الاخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالي
الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ
وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ
يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات وثقل ذلك عليهم
خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم
وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف
ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم
وحمزة والضم وهو قراءة الباقين وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون مَا كَانَ
لِنَبِيٍّ وقرئ للنبي على العهد أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى وقرأ البصريون بالتاء حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخّن بالتشديد للمبالغة تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا حطامها
باخذكم الفداء وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ والله يريد لكم ثواب الاخرة او سبب نيل الاخرة من اعزاز دينه وقمع
اعدائه وقرئ بجر الاخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا وَاللَّهُ عَزِيزٌ
يغلب اولياءه على اعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء
حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام
اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله عنه
قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر رضي الله عنه اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان نسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب
اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله
ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت
فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد
بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
والاية دليل على ان الانبياء عليهم السلام يجتهدون وقد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ
لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم
يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لَمَسَّكُمْ لنالكم فِيمَا أَخَذْتُمْ من الفداء عَذَابٌ
عَظِيمٌ روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار
بالاثخان فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب
والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حَلَالًا
حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها
على الاولين ولذلك وصفه بقوله طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ في مخالفته إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غفر لكم ذنبكم رَحِيمٌ
اباح لكم ما اخذتم يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى وقرأ ابو عمرو من الاسارى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ

في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها لما نزلت في العباس
رضي الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن
الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك
قلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل
وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الان عشرون عبدا
ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم
يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض
ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم
كما فعل يوم بدر فان اعادوا الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا
اوطانهم هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح
وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا
المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
او بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي
من توليهم في الميراث وقرا حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه
صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين
الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم والله بما تعملون
بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث وهو بمفهومه يدل على منع التوارث او الموازرة بينهم وبين المسلمين
الا تفعلوه ان لا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق
بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهو ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد
كبير في الدين وتري كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا
اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان هم الذين حققوا
ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعد لهم الوعد الكريم فقال لهم
مغفرة ورزق كريم لا تبعة ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من يلتحق بهم ويتسم بسمتهم
فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم اي من جملتكم
ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب
في كتاب الله في حكمه او في اللوح او القران واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم
من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه
من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات
بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته سورة براءة مدنية

وقيل الا ايتين من قوله لقد جاءكم وهي اخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث
والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة
وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال
المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشردهم ويدمدم عليهم وايها مائة
وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل
كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او اية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها
تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلف
الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله
براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله
ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها
على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين اليهم وانما علقت البراءة
بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله
واتفاق الرسول فانهما بريئا منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وكنانة فامرهم بنبذ
العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة
اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر
وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا
على الموسم فقيل لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله عنه سمع ابو بكر رضي الله
عنه الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال
مامور فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي كرم الله وجهه يوم النحر عند جمرة العقبة
فقال ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب
البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه بعث عليه السلام لان
يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود وان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على
القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا
انكم غير معجزي الله لا يفوته وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب
في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء ورفعه
كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان
فيه ولما روي انه عليه السلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل
يوم عرفة لقوله عليه الصلاة والسلام الحج عرفة ووصف الحج الاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان
المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون

والمشركون ووقت عيده اعياد اهل الكتاب اولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين أَنَّ ٱللَّهَ اي بان الله
بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ اي من عهودهم وَرَسُولُهُۥ عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة
من كسرها اجراء لاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان
قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس
ولم يخص بالمعاهدين فَإِن تُبْتُمْ عن الكفر والغدر فَهُوَ فالتوب خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ عن التوبة او ثبتم
على التولي عن الاسلام والوفا فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ لا يفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وَبَشِّرِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ في الاخرة إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ استثناء من المشركين او استدراك
وكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا من شروط
العهد ولم ينكثوا او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا من اعدائكم فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ
عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ تعليل وتنبيه على ان
تمام عهدهم من باب التقوى فَإِذَا ٱنسَلَخَ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة ٱلْأَشْهُرُ
ٱلْحُرُمُ التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم
مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ الناكثين
حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ من حل وحرم وَخُذُوهُمْ واسروهم والاخيذ الاسير وَٱحْصُرُوهُمْ واحبسوهم
او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ كل ممر لئلا يتبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف
فَإِن تَابُوا۟ عن الشرك بالايمان وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ تصديقا لتوبتهم وايمانهم فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ
فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله إِنَّ
ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ المامور بالتعرض لهم ٱسْتَجَارَكَ استامنك وطلب منك جوارك فَأَجِرْهُ
فامنه حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ موضع امنه ان لم
يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده ولا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذَٰلِكَ الامن او الامر بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ما الايمان ولا حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كَيْفَ
يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم
عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام
او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف وعلى الاخير حال من العهد وللمشركين
ان لم يكن خبرا فتبيين إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء
او الجر على البدل او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟
لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ اي فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله
فاتموا اليهم عهدهم غير انه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
سبق بيانه كَيْفَ تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد او بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به
كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اي وكيف مات وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ

اي وحالهم انهم ان يظفروا بكم لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ لا يراعوا فيكم إِلًّا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك
ان الك من قريش كال السقب من ال النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الال وهو الجؤار لانهم
كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف
ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ال الشيء اذا حدده او من ال البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله
لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبريل وَلَا ذِمَّةً عهدا او حقا يعاب على اغفاله يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ استئناف
لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل
لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفا
بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وَتَأْبَىٰ
قُلُوبُهُمْ ما تتفوه به افواههم وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروة تردعهم
وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ استبدلوا بالقران ثَمَنًا قَلِيلًا عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ
دينه الموصل اليه او سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم اداهم الى الصد إِنَّهُمْ
سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ عملهم هذا او ما دل عليه قوله لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً فهو تفسير
لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود والاعراب الذين جمعهم ابو سفيان
واطعمهم وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ في الشرارة فَإِن تَابُوا۟ عن الكفر وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فهم اخوانكم لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فِى ٱلدِّينِ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
اعتراض للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان او الوفا بالعهود وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ بصريح التكذيب
وتقبيح الاحكام فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ اي فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا
بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص
اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب
أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ اي لا ايمان لهم على الحقيقة
والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية
على ان يمين الكافر ليس يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله وان نكثوا
ايمانهم وقرا ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا امان او لا اسلام وتشبث به من لا يقبل توبة المرتد وهو ضعيف
لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين او ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لَعَلَّهُمْ
يَنتَهُونَ متعلق بقاتلوا اي ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو
طريقة الموحدين أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة
في الفعل نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ التي حلفوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على ان لا
يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ حين تشاوروا في امره بدار
الندوة على ما ذكر في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه

من المدينة وهم بدءوكم أول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة
والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة لانهم عليه فما يمنعكم ان
تعارضوهم وتصادموهم أتخشونهم أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله
أحق أن تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره إن كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا
يخشى الا منه قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه يعذبهم
الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم
واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبا قدموا مكة
فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج
قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب
الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن امره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب
على اضمار ان على ان من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم اخرين
والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا لحكمة أم حسبتم خطاب
للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان
أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا
من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم
لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع
والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان
للمشركين ما صح لهم أن يعمروا مساجد الله شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد
وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد
شاهدين على أنفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام
لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون
بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا
لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت أولئك حبطت أعمالهم التي يفتخرون
بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله
واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية
والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة فيها والذكر ودرس العلم فيها
وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان
بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكاة
عليه ولم يخش إلا الله اي في ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد الرجل يتمالك عنها فعسى

أولئك أن يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع
باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل
فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها أجعلتم سقاية الحاج
وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة
مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لا بد من اضمار تقديره اجعلتم اهل السقاية للحاج كمن آمن
او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار
ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لا يستوون عند الله
وبين عدم تساويهم بقوله والله لا يهدي القوم الظالمين اي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة
الرسول منهمكين في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد
بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يستجمع هذه الصفات
او من اهل السقاية والعمارة عندكم وأولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها في الجنات نعيم مقيم دائم وقرأ
حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها
أبدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل إن الله عنده أجر عظيم يستحقر دونه
ما استوجبوه لاجله او نعيم الدنيا يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء نزلت
في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت
تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم
اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله إن استحبوا الكفر على الإيمان ان اختاروه
وحرصوا عليه ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير محلها
قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم واقرباؤكم ماخوذ
من العشيرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابو بكر
وعشيراتكم وقرئ وعشائركم وأموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها
فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
الحب الاختياري دون الطبيعي فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتي الله
بأمره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يرشدهم وفي الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص عنه لقد نصركم الله في
مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في
ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله إذ أعجبتكم كثرتكم
منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى تقتضي
كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطايف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم

والملوك وكانوا اثني عشر الفا العشرا الذي حضروا فتح مكه والفان انضموا اليهم من الطلقا وهوازن
وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلي الله عليه وسلم وابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب
اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم علي كثرتهم فانهزموا
حتي بلغ فلهم مكه وبقي رسول الله صلي الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس اخذ بلجامه وابن عمه ابو سفيان
بن الحارث وناهيك هذا شهادة علي تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادي يا عباد الله يا اصحاب
الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملايكه فالتقوا مع المشركين
فقال عليه الصلاة والسلام هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا **فلم
تغن عنكم** اي الكثرة **شيئا** من الاغنا او من امر العدو **وضاقت عليكم الارض بما رحبت** برحبها اي بسعتها
لا تجدون فيها مقرا تطمين اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم وليتم**
الكفار ظهوركم **مدبرين** منهزمين والادبار الذهاب الي خلف خلاف الاقبال **ثم انزل الله سكينته** رحمته
التي سكنوا بها وامنوا **علي رسوله وعلي المومنين** الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه علي اختلاف حاليهما وقيل
هم الذين ثبتوا مع الرسول ولم يفروا **وانزل جنودا لم تروها** باعينكم يعني الملايكه وكانوا خمسة الاف او ثمانية
او ستة عشر علي اختلاف الاقوال **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر والسبي **وذلك جزاء الكافرين**
اي ما فعل بهم جزا كفرهم في الدنيا **ثم يتوب الله من بعد ذلك علي من يشاء** منهم بالتوفيق للاسلام **والله غفور
رحيم** يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان ناسا منهم جاوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله
انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يوميذ ستة الاف نفس
واخذ من الابل والغنم ما لا يحصي فقال اختاروا اما سباياكم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيا
فقام رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال ان هولاء جاوا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا
بالاحساب شيا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتي
نصيب شيا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضي فمروا عرفاكم فليرفعوا
الينا فرفعوا انهم قد رضوا **يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس** لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم
كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل علي ان
ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقري نجس بالسكون وكسر
النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس **فلا يقربوا المسجد الحرام** لنجاستهم وانما نهي عن الاقتراب
للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة
وقاس مالك ساير المساجد علي المسجد الحرام في المنع وفيه دليل علي ان الكفار مخاطبون بالفروع **بعد عامهم
هذا** يعني سنة براءه وهي التاسعه وقيل سنة حجة الوداع **وان خفتم عيلة** فقرا بسبب منعهم
من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق **فسوف يغنيكم الله من فضله**
من عطايه او تفضله بوجه اخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا
وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقري عايلة علي انه مصدر
كالعاقبة او حال **ان شاء** قيده بالمشيه لتنقطع الامال الي الله تعالي ولتنبيه علي انه متفضل في ذلك

وان الغني الموعود يكون لبعض دون بعض وفي عام دون عام **ان الله عليم** باحوالكم **حكيم**
فيما يعطي ويمنع **قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر** اي لا يومنون بهما علي ما ينبغي
كما بيناه في اول البقره فان ايمانهم كلا ايمان **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** ما ثبت تحريمه
بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذي يزعمون اتباعه والمعني انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ
اعتقادا وعملا **ولا يدينون دين الحق** الثابت الذي هو ناسخ ساير الاديان ومبطلها **من الذين
اوتوا الكتاب** بيان للذين لا يومنون **حتي يعطوا الجزية** ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من
جزي دينه اي قضاه **عن يد** حال من الضمير اي عن يد مواتية بمعني منقادين او عن يدهم بمعني مسلمين
بايديهم غير باعثين بايدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غني ولذلك قيل لا يوخذ من الفقير او عن
يد قاهرة عليهم بمعني عاجزين اذلا او من الجزية بمعني نقدا مسلمة من يد الي يد او عن انعام عليهم فان ابقاهم بالجزية
نعمة عظيمة **وهم صاغرون** اذلا وعن ابن عباس توخذ الجزية من الذمي وتوجا عنقه ومفهوم الاية يقتضي
تخصيص الجزية باهل الكتاب ويويده ان عمر رضي الله عنه لم يكن ياخذ الجزية من المجوس حتي شهد عبد الرحمن بن
عوف رضي الله عنه انه عليه الصلاة والسلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك
لان لهم شبهة كتاب فالحقوا بالكتابيين واما ساير الكفرة فلا يوخذ منهم الجزية عندنا وعند ابي حنيفة علي الغني
ثمانية واربعون درهما وعلي المتوسط نصفها وعلي الفقير الكسوب ربعها ولا شي علي فقير غير كسوب **وقالت
اليهود عزير ابن الله** انما قاله بعضهم من متقدميهم او ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم
بعد وقعة بختنصر من يحفظ التورية وهو لما احياه الله بعد ماية عام املي عليهم التورية حفظا فتعجبوا
من ذلك وقالوا ما هذا الا لانه ابن الله والدليل علي ان هذا القول كان فيهم ان الاية قريت عليهم فلم يكذبوا
مع تهالكهم علي التكذيب وقرا عاصم والكسايي ويعقوب بالتنوين علي انه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به
وحذفه في القراءة الاخري اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف او لالتقاء الساكنين تشبيها بحروف اللين او لان الابن
وصف والخبر محذوف مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يودي الي تسليم النسب وانكار الخبر المقدر
وقالت النصاري المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا اب او لان
يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتي من لم يكن الها **ذلك قولهم بافواههم** اما تاكيد لنسبة
هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه
ولا يوجد مفهومه في الاعيان **يضاهون قول الذين كفروا** اي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه **من قبل** اي من قبلهم والمراد قدماوهم علي معني ان الكفر قديم فيهم
او المشركون الذين قالوا الملايكة بنات الله او اليهود علي ان الضمير للنصاري والمضاهات المشابهة
والهمز لغة فيه وقد قرا به عاصم ومنه قولهم امراة ضهيا علي فعيل التي شابهت الرجال في انها لا تحيض **قاتلهم
الله** دعاء عليهم بالهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم **اني يوفكون** كيف
يصرفون عن الحق الي الباطل **اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** بان اطاعوهم
في تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم او بالسجود لهم **والمسيح ابن مريم** بان جعلوه ابنا لله **وما امروا** اي
وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل علي بطلان الاتخاذ **الا ليعبدوا** ليطيعوا **الها**

وَاحِدًا وهو الله والطاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ صفة الله او استئناف مقرر للتوحيد واعزاز الاسلام وقيل انما هو تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الافاق يريد ان يزيله بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ محذوف الجواب لدلالة ما قبله عليه هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ كالبيان لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرر وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ياخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض العظيم منه وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ دينه وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والظن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزلت كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره وهو الكي بها يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بها دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ لان جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخره وجنبتاه هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وسبب تعذيبها فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اي مبلغ عددها عِندَ اللَّهِ معمول عدة لانها مصدر اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القيم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما

فبشرهم بعذاب اليم

فلا تظلموا

فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم والاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه الصلاة والسلام حاصر الطايف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم إِنَّمَا النَّسِيءُ اي تاخير حرمة الشهر الى شهر اخر كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسء بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نساه اذا اخره زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر اخر ضموه الى كفرهم يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا اضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائي وحفص يُضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يُضِل على ان الفعل لله يُحِلُّونَهُ عَامًا يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا اخر وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا فيتركونه على حرمته وقيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكناني كان يقوم على جمل في الموسم فينادي ان الهتكم قد احلت المحرم فاحلوه ثم ينادي في قابل ان الهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ اي ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ بمواطاة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وقرئ على البناء للفاعل وهو الله والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا اعمالهم حسنا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ هداية موصلة الى الاهتداء يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل واثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ إِلَى الْأَرْضِ متعلق به كانه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدي بالى وكان ذلك في غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف في وقت عسر وقحط مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وغرورها مِنَ الْآخِرَةِ بدل الاخرة ونعيمها فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فما التمتع بها فِي الْآخِرَةِ في جنب الاخرة إِلَّا قَلِيلٌ مستحقر إِلَّا تَنفِرُوا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ويستبدل بكم اخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه شيئا فانه الغني عن كل شيء وفي كل امر وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ اي ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب

لاذن الله بالخروج وقرى ثاني اثنين بالسكون على لغة من يجري المنقوص مجرى المقصور في الاعراب ونصبه
على الحال اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب في اعلا ثور وثور
جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه وهو ابو بكر
رضي الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فاعماهم
الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عنده القلوب عليه على النبي
صلى الله عليه وسلم او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعني الملائكة
انزلهم ليحرسوه في الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب فيكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله
وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك ودعوة الكفرة وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد
او دعوة الاسلام والمعنى جعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدا
له او بتاييده اياه في هذه المواطن او بحفظه ونصره حيث حضر وقرا يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة
الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لغوه ولا اعتبار
ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا
عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا
ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى
حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما
ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير
اذ اخبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا قريبا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا سهل
المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة اي
المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت
من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ بضم الواو
تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط
وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من
سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون
في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شيء اذنت لهم في القعود حين
استاذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم
الكاذبين فيه قيل انما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه الفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله
عليهما لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه

في الاذن فيه فضلا ان يستاذنوا في التخلف عنه او ان يستاذنوك في التخلف في كراهة ان يجاهدوا
والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه انما يستاذنك في التخلف الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الاخر في الموضعين للاشعار بان
الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون
يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة
لقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعدة بكسر العين باضافة وبغيرها ولكن كره الله انبعاثهم
استدراك عن مفهوم قوله ولو ارادوا الخروج كانه قال ما خرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم
اي نهوضهم للخروج فثبطهم فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء
الله كراهة الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم لبعض او اذن
الرسول لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لا يخلو عن ذم لو خرجوا فيكم
ما زادوكم بخروجهم شيئا الا خبالا فسادا او شرا ولا يستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لو خرجوا
ما زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذي وقع منه الاستثناء لاجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لا يكون مفرغا ولا اوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة
والتضريب والهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع يبغونكم الفتنة يريدون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم او الرعب في قلوبكم والجملة حال من الضمير في اوضعوا وفيكم سماعون
لهم ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمائرهم وما يتاتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك من قبل
يعني يوم احد فان ابن ابي واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم
الى ذي جدة اسفل ثنية من ثنية الوداع انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك
المكايد والحيل ودوروا الاراء في ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتاييد الالهي وظهر
امر الله باعلاء دينه وهم كارهون اي على رغم منهم والايتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين على تخلفهم وبيان ما ثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف اسرارهم
وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه
ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة اي العصيان والمخالفة
بان لا تاذن لي فيه اشعارا بانه لا محالة متخلف اذن له او لم ياذن او في الفتنة بسبب ضياع المال
والعيال اذ لا كافل لهم بعدي او في الفتنة بنساء الروم لما روي ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار
اني مولع بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر ولكني اعينك بمالي فاتركني الا في الفتنة سقطوا اي
ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف او ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه وان جهنم
لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الان لان احاطة اسبابها بهم كوجودها ان تصبك
في بعض غزواتك حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك في بعضها
مصيبة كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل يتبجحوا بانصرافهم

ويستحمدوا رايهم في التخلف ويتولوا عن محدثهم بذلك ومجتمعهم له او عن الرسول وهم فرحون
مسرورون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة او الشهادة
او ما كتب لاجلنا في اللوح لا يتغير بموافقتكم ولا مخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه
من بنات الواو كقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل
من الصوب هو مولينا ناصرنا ومتولي امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره
قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى
العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوئيين ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده بقارعة من السماء او بايدينا او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ما هو
عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل
منكم امر في معنى الخبر اي لن نتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها وفائدته المبالغة في تساوي
الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا انه لا يوخذ منهم وان لا يثابوا عليه
وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستيناف وما بعده بيان وتقرير له وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول
نفقاتهم الا كفرهم وقرا حمزة والكسائي ان يقبل بالياء لان تانيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على
ان الفعل لله ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان
ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما
يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق
انفسهم وهم كافرون فيموتون كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك
استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لكفر قلوبهم
وما هم منكم
ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية
لو يجدون ملجا حصنا يلجؤون اليه او مغارات غيرانا او مدخلا نفقا يتجرون فيه منفعل
من الدخول وقرا يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اي مكانا يدخلون فيه انفسهم ومندخلا
من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح
وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرا يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك
في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت
في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن
ذي الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة
بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك فان لم اعدل فمن يعدل فاذا المفاجاة نائب مناب
الفاء الجزائية ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة
وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله

سيؤتينا الله

سيؤتينا الله من فضله صدقة او غنيمة اخرى ورسوله فيؤتينا اكثر مما اتانا انا الى الله
راغبون في ان يغنينا من فضله والاية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان
خيرا لهم ثم بين مصارف الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللمز
لمزهم في قسم الزكوة والغنائم والفقير لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كانه
اصيب فقاره والمسكين من لا مال له او كسب لا يكفيه من السكون كان العجز اسكنه ويدل
قوله اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه الصلوة والسلام سال المسكنة واستعوذ
من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها
وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف قلوبهم او اشراف يترقب
باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع
بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستالفون على ان يسلموا فانه عليه السلام
كان يعطيهم والاصح انه كان من خمس الخمس الذي كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء
منها على قتال الكفار ومانعي الزكوة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله وكثر
اهله سقط وفي الرقاب وللصرف في فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشيء منها على اداء النجوم
وقيل بان يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام
الى في للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين والمديونين
لانفسهم في غير معصية اذا لم يكن بهم وفاء او لاصلاح ذات بين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلوة
والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراه بماله او رجل له جار مسكين
فتصدق على المساكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله وللصرف في الجهاد بالانفاق
على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفي بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع
عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة او حال
من الضمير المستكن في الفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في
مواضعها وظاهر الاية يقتضي تخصيص استحقاق الزكوة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف
الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي وعن عمر
وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الائمة الثلاث
واختار بعض اصحابنا وكان يفتي شيخي ووالدي رحمه الله على ان الاية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم
لا ايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه
سمي بالجارحة للمبالغة كانه من فرط استماعه صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك
واشتقاقه من اذن اذنا اذا استمع كانف وشلل وروي انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول
ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن لكن لا على الوجه
الذي ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما
قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة

الصدقات تصويبا وتعيينا لما بعلم الرسول انتقال انما
الصدقات للفقراء والمساكين

بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اي وهو رحمة للذين آمنوا
منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم
جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرا حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على انها علة
دل عليه اذن خير اي يأذن لكم رحمة وقرا نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة
له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم
على معاذيرهم فيما قالوا او تخلفوا ليرضوكم اي لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله
احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين او لان
الكلام في ايذاء الرسول وارضائه او لان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان
كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله ورسوله
يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر نحو فحق ان له تكريرا للتاكيد
ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك
وقرئ بالكسر فان ذلك الخزي العظيم يعني الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم
على المؤمنين سورة تنبئهم بما في قلوبهم وتهتك استارهم ويجوز ان يكون الضماير للمنافقين
فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقرو ومحتج به عليهم وذلك يدل على تردّدهم ايضا في كفرهم
وانهم لم يكونوا على بت في امر الرسول بشيء وقيل انه خبر في معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء
لقوله قل استهزءوا ان الله مخرج مبرز او مظهر ما تحذرون اي ما تحذرونه من انزال السورة فيكم
او ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روي ان ركب
المنافقين مروا على رسول الله صلى الله وسلم في غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح
قصور الشام وحصونه هيهات فاخبر الله به نبيه فقال كنتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا في شيء
من امرك وامر اصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض في السفر قل ابالله
وآياته ورسوله كنتم تستهزءون توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم
ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم
قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهار الايمان ان يعف عن طائفة منكم
لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء او الاستهزاء نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرا عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل ذهابا الى
المعنى كانه قال ان ترحم طائفة المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد وقيل انه تكذيب لهم في حلفهم انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده
كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون
عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله
غفلوا عن ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه وفضله ان المنافقين هم الفاسقون
الكاملون في التمرد والفسوق عن دائرة الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار

جهنم

جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظيم عذابها ولعنهم الله
ابعدهم عن رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع والمراد ما وعده او ما يقاسونه من تعب
النفاق كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين من قبلكم او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم كانوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا بيان لتشبيههم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا بخلاقهم
نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم
كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجات من الشهوات
الفانية والتهائهم بها عن النظر في العاقبة والسعي في تحصيل اللذات الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين
بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم في الباطل كالذي خاضوا كالذين خاضوا او كالفوج
الذين خاضوا او كالخوض الذي خاضوه اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا
عليها ثوابا في الدارين اولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة الم يأتهم نبأ الذين
من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم
اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وقوم شعيب اهلكوا
بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت فصار عاليها سافلها
وامطروا حجارة من سجيل وقرئ قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب من الخير الى الشر
اتتهم رسلهم يعني الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته ما يشابه ظلم
الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر
والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون
الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله في ساير الامور اولئك
سيرحمهم الله لا محالة فان السين موكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء لا يمتنع
عليه ما يريده حكيم يضع الاشيا مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس
او تطيب فيها العيش وفي الحديث انها قصور من اللولو والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات
عدن اقامة وخلود وعنه عليه السلام عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب
بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك
ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعداد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى
تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم
اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير
ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدا لكل سعادة وكرامة
والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة
هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل

من ذلك قالوا واي شي افضل من ذلك قال احل لكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا **ذلك** اي الرضوان او جميع ما تقدم **هو الفوز العظيم** الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها **يا ايها النبي جاهد الكفار** بالسيف **والمنافقين** بالزام الحجة واقامة الحدود **واغلظ عليهم** في ذلك ولا تحابهم **وماواهم جهنم وبئس المصير** مصيرهم **يحلفون بالله ما قالوا** روي انه عليه السلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القران ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن اشر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته **ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم** واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام **وهموا بما لم ينالوا** من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند رجوعه من تبوك ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** وما انكروا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم **الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله** فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل **فان يتوبوا يك خيرا لهم** هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب **وان يتولوا** بالاصرار على النفاق **يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة** بالقتل والنار **وما لهم في الارض من ولي ولا نصير** فينجيهم من العذاب **ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين** نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم وامرا بثعلبة فسالاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرايض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رايي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان **فلما اتاهم من فضله بخلوا به** منعوا حق الله منه **وتولوا** عن طاعة الله **وهم معرضون** وهم قوم عادتهم الاعراض عنها **فاعقبهم نفاقا في قلوبهم** اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم **الى يوم يلقونه** يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة **بما اخلفوا الله ما وعدوه** بسبب اخلافهم ما

[في الهامش: ورسوله ... ، صح]

وعدوه

وعدوه من التصدق والصلاح **وبما كانوا يكذبون** وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذّبون بالتشديد **الم يعلموا** اي المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات **ان الله يعلم سرهم** ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف **ونجواهم** وما يتناجون به فيما بينهم من الطاعة او تسمية الزكوة جزية **وان الله علام الغيوب** فلا يخفى عليه ذلك **الذين يلمزون** ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم **المطوعين** المتطوعين **من المؤمنين في الصدقات** روي انه عليه الصلاة والسلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف فاقرضت الله اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امراتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجيت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم** الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه **فيسخرون منهم** يستهزؤن بهم **سخر الله منهم** جازاهم على سخريتهم لقوله تعالى الله يستهزئ بهم **ولهم عذاب اليم** على كفرهم **استغفر لهم او لا تستغفر لهم** يريد به التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله **ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** روي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فيجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانه العدد باسره **ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله** اشارة الى ان الياس وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها **والله لا يهدي القوم الفاسقين** المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدي والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم ياسه عن ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم **فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله** بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم

وبجوزان يكون بمعني المخالفة فيكون انتصابه علي العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا
باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض عن طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين
الذين اثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اي قاله بعضهم
لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد اثرتموها بهذه المخالفة لو
كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة علي الطاعة فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والاخرة
اخرجه علي صيغة الامر للدلالة علي انه حتم واجب وبجوزان يكون الضحك والبكا كنايتين عن
السرور والغم والمراد من القلة العدم فان رجعك الله الي طائفة منهم فان ردك الي المدينة
وفيها طايفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون
اثني عشر رجلا فاستاذنوك للخروج اي غزوة اخري بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن
تقاتلوا معي عدوا اخبار في معني النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل له وكان
اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم علي تخلفهم واول مرة هي الخرجة الي غزوة تبوك فاقعدوا
مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين
اي علي قصر الخالفين ولا تصل علي احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله
صلي الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده
ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي فنزلت وقيل صلي عليه ثم نزلت وانما
لم ينهه عن التكفين في قميصه ونهي عن الصلوة عليه لان الضنة بالقميص كان مخلا بالكرم وكانه
كان مكافاة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعا للميت والاستغفار له
وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي علي قوله مات ابدا يعني الموت علي الكفر فان احياء الكافر للتعذيب
لا للتمتع فكانه لم يحيى ولا تقم علي قبره ولا تقف عند قبره للدفن او للزيارة انهم كفروا بالله ورسوله
وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او تابيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله
ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق به
فان الابصار طامحة الي الاموال والاولاد والنفوس منطبعة عليها وبجوزان يكون هذه في فريق غير الاول
واذا انزلت سورة من القران وبجوزان يراد بعضها ان امنوا بالله بان امنوا وبجوزان يكون
ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم الفضل والسعة وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء
جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لا خير فيه وطبع علي قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة
الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه
جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هولاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم
واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل
الحور لقوله تعالي فيهن خيرات حسان وهو جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون

الفائزون

الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب
ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف متعذرين بالجهد وكثرة العيال
وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي علي اهالينا ومواشينا والمعذر
اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التا في الذال
ونقل حركتها الي العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقراءة
يعقوب معذورون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال علي انه
من تعذر بمعني اعتذر وهو لحن اذ التا لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع
او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في عذرهم وهم منافقو الاعراب
كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين
كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب
اليم بالقتل والنار ليس علي الضعفاء ولا علي المرضي كالهرمي والزمني ولا علي الذين
لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اسم في التاخر اذا نصحوا
لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما تفعل الموالي الناصح او بما قدروا عليه
فعلا او قولا يعود الي الاسلام والمسلمين بالصلاح ما علي المحسنين من سبيل اي ليس عليهم
جناح ولا الي معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة علي انهم منخرطون في سلك
المحسنين غير معاتبين في ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا علي الذين
اذا ما اتوك لتحملهم عطف علي الضعفاء او علي المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل
بن يسار وصخر بن خنسا وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالوا انذرتنا الخروج فاحملنا علي الخفاف المرقوعة
والنعال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد
والنعمان وقيل ابو موسي واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار
قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور
في محل النصب علي التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل علي ان العين صارت دمعا فياضا حزنا
نصب علي العلة او الحال او المصدر بفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا اي لئلا يجدوا متعلق
بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة علي الذين يستاذنونك
وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف بيان وهو السبب
لاستيذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله
علي قلوبهم حتي غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته يعتذرون اليكم
في التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه
لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبانا الله من اخباركم اعلمنا بالوحي الي نبيه

بعض اخباركم وهو ما في ضمايركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكانه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمايرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التعاتب فان المقصود منهم التطهير بالحمل على الانابة وهولاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأواهم جهنم من تمام التعليل وكانه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ في الدنيا والاخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضاء الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه وان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الاية النهي عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرايع فرايضها وسننها والله عليم يعلم كل حال واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ بعد ما ينفق يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدواير دواير الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دايرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدايرة في الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور وسمي بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرا ابن كثير وابو عمرو السوء هنا وفي الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهي ثاني مفعولي يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم لذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستيناف مع حرف التنبيه وان المخففة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرا ورش قربة بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره وقيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه

والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلتين او من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرا ابن كثير من تحتها كما هو في ساير المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم اي وممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطفا على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدا لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتعوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكوة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طايفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فراهم فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب باخر سيء هو التخلف وموافقة اهل النفاق او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالاخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التايب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت تطهرهم عن الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم الم يعلموا الضمير اما للمتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليها ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول

من يأخذ شيا ليؤدي بدله وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وان من شانه تبول توبة التايبين والتفضل
عليهم وَقُلِ اعْمَلُوا ما شئتم فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ فانه تعالى لا يخفي عنهم كما رايتم ويبين لكم وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بالموت
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه وَآخَرُونَ من المتخلفين مُرْجَوْنَ مؤخرون اي
موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لِأَمْرِ اللَّهِ
في شانهم إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ بان اصروا على النفاق وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على
ان كلا الامرين بارادة الله تعالى وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوالهم حَكِيمٌ فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم
والمراد بهولاء كعب بن ملك وهلال بن اميه ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا
يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما راوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله تعالى فرحمهم الله وَالَّذِينَ
اتَّخَذُوا مَسْجِدًا عطف على واخرون مرجون او مبتدا خبره محذوف اي فيمن وصفت الذين اتخذوا
ومنصوب على الاختصاص وقرا نافع وابن عامر بغير واو ضِرَارًا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف
لما بنوا مسجد قبا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم
بن عوف فبنوا مسجدا على قصدان يؤمهم فيه ابو عمرو الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى
نتخذه مسجدا فاخذ ثوابه ليقوم معهم فنزلت فدعا ملك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن الوحشي
فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسه وَكُفْرًا
وتقوية للكفر الذي يضمرونه وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ يريد الذين كانوا يجتمعون للصلوة في مسجد
قبا وَإِرْصَادًا ترقبا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم احد لا احد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين انهزم مع هوازن وهرب الى الشام
لياتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش
يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هولاء
بالتخلف لما روي انه قبل غزوة تبوك فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا
ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ما اردنا ببنائه الا الخصلة
الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة والذكر والتوسعة على المصلين وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في حلفهم
لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا للصلوة لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصلى فيه ايام قيامه بقبا من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصد او مسجد المدينة مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ من ايام وجوده ومن يعم
الزمان والمكان لقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ اولى بان تصلي فيه فِيهِ رِجَالٌ
يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا يناموا عليها
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكتوا فاعادها
فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم اتصبرون على البلا قالوا

نعم

نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال
يا معاشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغايط فقالوا
يا رسول الله نتبع الغايط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلى رجال يحبون ان يتطهروا أَفَمَنْ أَسَّسَ
بُنْيَانَهُ بنيان دينه عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب
مرضاته بالطاعة أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها
فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما عاد شفا الجرف وهو ما
جرفه الوادي الهاير في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره
به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه عن النار ويوصله الى
رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتاسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة
فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرا نافع وابن عامر اسس على البنا للمفعول وقرئ اساس بنيانه
واس على الاضافة واسس واساس بالفتح واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوي بالتنوين على ان الالف للالحاق
لا للتانيث لتقوي وقرا ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الى
ما فيه صلاح ونجا لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع
ولذلك قد تدخله التا ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ اي شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم
هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ
ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول رسمه عن قلوبهم إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ قطعا بحيث لا يبقى لها
قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطيع ما هو كاين
بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطيع بالتوبة ندما واسفا وقرا يعقوب الى بحرف الانتها وتقطع بمعنى
تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب
الرسول او للفاعل لخاطب ولو قطعت على البنا للفاعل وللمفعول وَاللَّهُ عَلِيمٌ بنياتهم حَكِيمٌ
فيما امر بهدم بنائهم إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ
تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ استيناف ببيان ما لاجله الشرا يقاتلون في معنى الامر وقرا حمزة والكسائي بتقديم المبني
للمفعول وقد عرفت ان الواو لا يوجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا
مصدر مؤكد لما دل عليه الشرا فانه بمعنى الوعد فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ مذكورا فيهما
كما اثبته في القران وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ مبالغة في الانجاز وتقوية لكونه حقا فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظايم المطالب كما قال
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ التَّائِبُونَ رفع على المدح اي هم التايبون والمراد بهم المؤمنون
المذكورون ويجوز ان يكون مبتدا خبره محذوف تقديره التايبون من اهل الجنة وان لم يجاهد والقوله
تعالى وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اي التايبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال
وقرئ بالياء نصبا على المدح او الجر صفة للمؤمنين الْعَابِدُونَ الذين عبدوا الله مخلصين له الدين

السائحون [illegible]

الحامدون في الصلوة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كانه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقايق والشرايع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضايل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعدد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتدا تعداد اخر معطوف عليه ولذلك تسمى واو الثمانية وبشر المومنين يعني بهولاء الموصوفين بتلك الفضايل ووضع المومنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الي ذلك وان المومن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روي انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاه قل كلمة احاج لك بها عند الله تعالى فابى فقال لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكه خرج الي الابوا فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفا لها فلم ياذن لي وانزل علي الايتين ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيايهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم اياه بقوله لاستغفرن لك اي لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرا اباه او وعد ابرهيم ابوه هي الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يومن تبرا منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذي والجملة لبيان ما حمله على الاستغفا مع شكاسة عليه وما كان الله ليضل قوما اي ليسميهم ضلالا ويواخذهم مواخذتهم بعد اذ هداهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم حضر ما يجب اتقاوه وكانه بيان عذر للرسول في قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه في قوم مضوا على الامر الاول في القبلة او الخمر ونحو ذلك وفي الجملة دليل على ان الفاعل عبره كلف ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفا للمشركين وان كانوا اولي قربي وتضمن ذلك وجوب التبري عنهم راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي امره والغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبروا عما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين في التخلف وبراهم عن علقة الذنوب لقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الي التوبة حتى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله وتوبوا الي الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه في ساعة العسرة

في وقتها

في وقتها وهو حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلان كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفي كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعايد عليه الضمير في منهم وقرا حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تانيث القلوب غير حقيقي وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعني المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو وخلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجا من الله من سخطه الا اليه لا الي استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا في التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة الرحيم متفضل عليه بالنعم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين في ايمانهم وعهودهم او في دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اي في توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هولاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن صحبته نهي عبر عنه بصيغة النفي للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روي ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا الخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الي الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفي لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الي ما دل عليه قوله ما كان من النهي عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظما من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة في سبيل الله ولا يطؤن ولا يدوسون موطئا مكانا يغيظ الكفار يغيظهم وطيه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار لانه سعي في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المومنين فلانه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلايهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم وهو كل

منعرج ينفذ اليه السيل اسم فاعل من ودي اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك
ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم
وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزوة وطلب
علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة
نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة
فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم
ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل
على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغي ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم
ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط في البلاد لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون
منه واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة نفر
ذو الفرقة طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم تتواتر
لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقيل الاية معنى اخر وهو انه
لما نزل في المتخلفين سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة
طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال
بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد
الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطائفة اي ولينذروا البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم
بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا
بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا بانذار عشيرته فان الاقرب
احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم
فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال
وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة
واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته
هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون
بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا
الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم
حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرئ بالتاء انهم يفتنون يبتلون باصناف
البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون
واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا
من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول فان لم يرهم احد

قاموا وان لم يرهم احد قاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان
وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم او عدم تدبرهم لقد
جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم
عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم
وصلاح شانكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤوف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤوف
لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله
فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت
فلا ارجو ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم
المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع عن ابي رضي الله عنه اخر ما نزل
هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القران علي الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا
سورة براءة وقل هو الله فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف ملك صف من الملائكة سورة
يونس مكية وهي مائة وتسع ايات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها
ابن كثير ونافع وحفص وامالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك ايات الكتاب
الحكيم اشارة الى ما تضمنته السورة او القران من الاي والمراد بالكتاب احدهما ووصفه بالحكيم
لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شيء منها اكان للناس عجبا استفهام انكار
للتعجب وعجبا خبر كان واسمه ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان
للتعجب تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم فوجهوا
نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من اوساط رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم
على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه السلام لم يكن يقصر عن
عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شيء في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء
قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس
ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فيكون في موضع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا
عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة اذ ليس للكفار
ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة
سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها
والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون
الكتاب وما جاء به الرسول لسحر مبين وقرا ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة
الى الرسول وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة
وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات

على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ونبي بتحريكه اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر
في ادبار الامور لتجي محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز
جلاله ورد على من زعم ان الهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له
ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم
لا غير اذ لا يشاركه احد في شي من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون
تتفكرون ادني تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه اليه
مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر
مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر اخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله
انه يبدؤ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات
بالقسط اي بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم لانه العدل القويم كما ان الشرك
ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلته قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم
بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزي الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب
كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم العقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من
الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض فانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه
وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم
والاية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين
على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرا انه يبدؤ بالفتح اي لانه ويجوز ان يكون
منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذي جعل الشمس ضياء اي ذات
ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن
كثير ضئاء بهمزتين في كل القران على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اي ذا نور وسمي
نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه
بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره
منازل الضمير لكل واحد اي قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه
بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطه احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا
عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم
ما خلق الله ذلك الا بالحق الا متلبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل
الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتامل فيها وقرا ابن كثير والبصريان وحفص يفصل
بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع
الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب
فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يتوقعونه لانكارهم للبعث
وذهولهم بالمحسوسات عما وراها ورضوا بالحياة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمانوا

بها وسكنوا اليها مقصورين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج والذين هم
عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين
والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر
الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحياة الدنيا
وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل في الاجل والاعداد له اولئك ماواهم النار
بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصي ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل تؤدي الى الجنة
او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما
يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح
لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف
تجري من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير
لقوله في جنات النعيم خبر او حال اخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعواهم
فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به
بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعواهم واخر دعائهم ان الحمد
لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله
وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الافات والفوز
باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة
وقد قري بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم
بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم
به تعجيل لهم او بان المراد استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام
ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه
ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرا ابن عامر ويعقوب
لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا
في طغيانهم يعمهون عطف على محذوف دلت عليه الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا
نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته
مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم
الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته
واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف
ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك
في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة

لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم
رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا
وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه
بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل
واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فايدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم
فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض
من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون
اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب
ان يعمل فيه ما قبله وفايدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث
ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا يعني المشركين ائت بقران غير هذا بكتاب اخر نقراه ليس فيه ما نستبعده من البعث
والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب الهتنا او بدله بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك
اية اخرى ولعلهم سالوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه قل ما يكون لي ما يصح لي ان ابدله
من تلقاء نفسي من قبل نفسي وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام
امتناعه امتناع الاتيان بقران اخر ان اتبع الا ما يوحى الي تعليل لما يكون فان المتبع لغيره
في امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا
السؤال من ان القران كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال اني
اخاف ان عصيت ربي اي بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا
الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على
لساني وعن ابن كثير ولادراكم بلام التاكيد اي لو شاء الله ما تلوته عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري
والمعنى انه الحق الذي لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيري وقرئ ولا ادراتكم ولا ادراكم
بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اي ولا جعلتكم
بتلاوته خصماء تدرءونني بالجدال والمعنى ان الامر بمشية الله لا بمشيتي حتى اجعله على نحو ما تشتهونه
ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القران
لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القران معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة
لم يمارس فيه علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرا عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين
واحاديث الاخرين على ما هي عليه علم انه معلم به من الله افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم بالتدبر
والتفكر لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية
او تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب باياته فكفر بها
انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم فانه جماد لا يقدر على

نفع ولا ضر والمعبود ينبغي ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا او في الاخرة ان
يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع
الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله
اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او بان هؤلاء شفعاء عنده وما لا يعلمه
العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما في السموات ولا في الارض حال من العايد المحذوف
مؤكدة للنفي منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوي او ارضي ولا شيء من الموجودات
فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون
عن اشراكهم او عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرا حمزة والكسائي هنا وفي الموضعين في اول النحل
والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موحدين على الفطرة او متفقين على الحق
وذلك في عهد ادم الى ان قتل قابيل هابيل او بعد الطوفان او على الضلال في فترة من الرسل
فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل او ببعثة الرسل فتبعتهم طايفة واصرت اخرى ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء
المحق ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات التي اقترحوها فقل انما الغيب
لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها فانتظروا
لنزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل على من الايات
العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء
مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر في اياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط
اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يقدحون في ايات الله ويكيدون
رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على
سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد
وهو من الله اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق
للانتقام وتنبيه على ان ما يدبرون في اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله
وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم
منه في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب
الى الغيبة للمبالغة كانه تذكره لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب اذا والضمير للفلك او للريح الطيبة بمعنى تلقتها
ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه
وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا او سدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله
مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف
وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن

من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجاهم اجابة لدعائهم
اذا هم يبغون في الارض فاجوا الفساد فيها وسارعوا الي ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه
وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زرعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها
الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او على امثالكم وابناء جنسكم متاع
الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقي ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم
صلته او خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص
على انه مصدر مؤكد اي يتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغي لانه بمعنى الطلب فيكون
الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول
له لاجله البغي وعلى انفسكم خبر ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما
كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب
نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فاشتبك بسببه حتى خالط بعضها بعضا مما ياكل الناس والانعام من الزرع والبقول
والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها
المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله وتزينت
فادغم وقرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات
زينة وازيانت كانفاضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع
غلتها اتاها امرنا ضرب زرعها ما جاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن زرعها اي لم ينبت والمضاف محذوف في الموضعين للمبالغة
وقد قرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية
وهو زوال خضرة النبات فجاءة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى
طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه فانه من التشبيه المركب
كذلك نفصل الايات اي نذكر واحدا بعد واحد لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به
والله يدعو الى دار السلام السلامة من النقص والافة او دار الله وتخصيص هذا الاسم ايضا
للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدي من يشاء
بالتوفيق الى صراط مستقيم هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفي تعميم الدعوة
وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده
للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة والزيادة عشر امثالها وما يزيد على المثوبة تفضلا
لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم
لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار او لا يرهقهم
ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها

ولا انقراض

ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة
بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز في الدار زيد والحجرة عمرو والذين
مبتدا والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات بمثلها اي ان يجازي سيئة
بسيئة مثلها لا يزاد عليه وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل او التضعيف او كانما اغشيت
او اولئك اصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدا خبره محذوف اي فجزاء سيئة
بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء ما لهم
من الله من عاصم من احد يعصمهم من سخط الله او من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين
كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل
والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل في الموصوف
عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرا ابن كثير والكسائي ويعقوب قطعا بالسكون
على هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الاية في الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك
ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم
جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى
تنظروا ما يفعل بكم انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه
وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم
وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم
فانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم لانها الامرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل
ان الله تعالى ينطق الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي يتوقعون منها والشركاء
الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه
العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام
الفارقة هنالك في ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل
فتعاين نفعه وضره وقرا حمزة والكسائي تتلو من التلاوة اي تقرا ذكر ما قدمت او من التلو
اي تتبع عملها فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه و
المعنى نختبرها اي نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت
من اعمالها ويجوز ان يراد نصب بالبلاء اي العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من
الشر فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم عما اسلفوا مولاهم
الحق ربهم ومتولي امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر
المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا
يدعون انها الهة قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما جميعا فان
الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل

من انبيا زمن على حذف المضاف اي من اهل السموات والارض أمن يملك السمع والأبصار
اي من يستطيع خلقها وتسويتها او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة انفعالها
من ادنى شيء ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يحيي ويميت
او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الأمر ومن يلي تدبير
امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد
في ذلك لفرط وضوحه فقل أفلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشارك
في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعبادة
هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد
الحق الا الضلال استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون كذلك
حقت كلمة ربك اي كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انتم مصروفون
عن الحق حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح
أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من
شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابدا في الالزام بها لظهور برهانها
وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم في الجواب فقال قل الله يبدأ
الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فأنى تؤفكون تصرفون
عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة
على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدي بها ما اسند
الى الله قل الله يهدي للحق أفمن يهدي الى الحق احق ان يتبع أمن لا يهدي
الا ان يهدى أم الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى
او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ
ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر
والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين لان
المدغم في حكم المتحرك وعن نافع مثله وقرئ الا ان يهدى على المبالغة فما لكم كيف تحكمون
بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا
الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغايب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى
مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد
الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان
يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والتقليد
والظن غير جايز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن
البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن

تصديق

تصديق الذي بين يديه مطابق لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا
كيف وكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل
محذوف تقديره لكن انزل الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل
الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقايد والشرايع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر
ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون
استينافا من رب العالمين خبر اخر تقديره كاينا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب
فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الاية بعد المنع
من اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه أم يقولون بل ايقولون افتراه محمد ومعنى
الهمزة فيه للانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء
فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك
فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله تعالى فانه وحده قادر
على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا
بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشانه او بما جهلوه ولم يحيطوا
به علما من ذكر البعث والجزاء وساير ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله
ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق
او كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه
قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معانيه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالاخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي
فرازوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا
فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان
عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن
به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره ومنهم
من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك
أعلم بالمفسدين بالمعاندين او بالمصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد
الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم
جزاء عملكم حقا كان او باطلا أنتم بريئون مما أعمل وانا بريء مما تعملون لا تؤاخذون
بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ
باية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون
كالاصم الذي لا يسمع اصلا أفأنت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون
ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المقصود منه ولذلك
لا يوصف به البهايم وهو لا يتأتى باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة
الوهم ومتابعة الالف بالتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ

عليهم غير ما ينتفع به البهايم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلايل نبوتك ولكن
لا يصدقون افانت تهدي العمي تقدر علي هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الي
عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في
ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمي المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والاية كالتعليل
للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن
الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل علي ان للعبد كسبا
وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعني ان ما يحيق
بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم
يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او القبور
لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا الا ساعة
او صفة ليوم والعايد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم
بعضا كان لم يتعارفوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال
اخري مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم قد
خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة علي خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا
من الضمير في يتعارفون علي ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من
المعارف وتحصيل المعارف واستكسبوا بها جهالات ادت بهم الي الردي والعذاب الدايم
واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراكه يوم بدر او نتوفينك
قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف
مثل فذاك ثم الله شهيد علي ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها
ولذلك رتبها علي الرجوع بثم او مؤد شهادته علي افعالهم يوم القيامة ولكل امة من الامم
الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الي الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه
قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون
وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم
الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المومنين وعقاب الكافرين كقوله وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متي هذا الوعد استبعادا له واستهزاء به
ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلي الله عليه وسلم والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا
ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه ولكن
ما شاء الله من ذلك كاين لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم
وينجز وعدكم قل ارايتم ان اتاكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات
واشتغال بالنوم او نهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه

المجرمون

المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلايم الاستعجال وهو متعلق بارايتم
لانه بمعني اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة علي انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا
من مجيء الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا علي الاستعجال او تعرفوا
خطاه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بارايتم او بقوله
اثم اذا ما وقع امنتم به بمعني ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان
وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام علي ثم لانكار التاخير الآن علي ارادة القول
اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها
علي اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف علي
قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المولم علي الدوام هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبئونك ويستخبرونك احق هو
احق ما تقول من الوعد وادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي بن اخطب
لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه علي اصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار
ويؤيده انه قري الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدا والضمير مرتفع به ساد
مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبئونك قل اي وربي انه لحق
ان العذاب لكاين او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقران واي بمعني نعم
وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي
وحده وما انتم بمعجزين فايتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك
والتعدي علي الغير ما في الارض من خزاينها واموالها لافتدت به لجعلته فدية
لها من العذاب من قولهم افتداه بمعني فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب
لانهم بهتوا بما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل
اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشيء لخالصه
من حيث انها تخفي ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشيء واسره اذا اظهره
وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبيا
ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين علي الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين
والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض
تقرير لقدرته تعالي علي الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب
والعقاب كاين لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور
عقلهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهم في
العقبي لان القادر لذاته لا يزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت
قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمومنين

اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن
والزاجرة عن القبايح وللحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد
وهدي الي الحق واليقين ورحمة للمومنين حين انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الي نور الايمان
وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله
وبرحمته بانزال القران والبا متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم الاشارة
بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا وفايدة ذكر التكرير التاكيد والبيان
بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الي
مصدره اي فبمجيئها فليفرحوا والفا بمعني الشرط كانه قيل ان فرحوا بشي فبها ليفرحوا او للربط بما قبلها
والدلالة علي ان مجي الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله فاذا هلكت
فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء علي الاصل المرفوض وقد روي مرفوعا ويويده انه قري
فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الي الزوال وهو ضمير ذلك وقرا ابن عامر تجمعون
علي معني فبذلك فليفرح المومنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم
من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السما محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او
بارايتم فانه بمعني اخبروني ولكم دل علي ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ علي التبعيض فقال فجعلتم منه
حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث وما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم
علي ازواجنا قل الله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام علي الله تفترون
في نسبة ذلك اليه ويجوز ان يكون المنفصلة متصلة بارايتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام
للانكار وام منقطعة ومعني الهمزة فيها تقرير لافترائهم علي الله وما ظن الذين يفترون علي الله
الكذب اي شي ظنهم يوم القيمة احسبون ان لا يجازوا عليه ويوم منصوب بالظن
ويدل عليه انه قري بلفظ الماضي لانه كاين وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل
علي الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم
لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شانت
شانه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القران معظم شان الرسول
صلي الله عليه وسلم او لان القراة تكون لشان فيكون التقدير من اجله ومفعول يتلو من
قران علي انه من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقران واضماره قبل الذكر بيانه تفخيم
له او الله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر
حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقبا
مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك
ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرا الكسائي بكسر الزاي من مثقال ذرة موازن نملة
صغيرة او هبا في الارض ولا في السماء اي في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف
غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه هو البرهان

علي احاطة

علي احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام براسه
مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرا حمزة ويعقوب بالرفع علي الابتدا والخبر ومن
عطف علي لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او علي محله مع الجار وجعل
الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة
ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مامول والاية
كمجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم
اياه لهم البشري في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه علي لسان نبيه
وما يريهم من الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشري الملايكة عند النزع وفي
الاخرة بتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم
ومحل الذين امنوا النصب والرفع علي المدح او علي وصف الاوليا او علي الابتدا وخبره لهم
البشري لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة
الي كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق
المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك
قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرا نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعني ان العزة لله
جميعا استيناف بمعني التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال
بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم وهو السميع
لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض
من الملايكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم
للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل علي قوله وما يتبع الذين
يدعون من دون الله شركاء اي شركاء علي الحقيقة وان كانوا يسمونها شركا ومفعول
يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا
وانما يتبعون ظنهم انهم شركا ويجوز ان يكون ما استفهامية منصوبة بيتبع وموصولة
معطوفة علي من وقري تدعون بالتا والمعني اي شي يتبع الذين تدعونهم شركا من الملايكة
والنبيين انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه كقوله اوليك الذين
يدعون يبتغون الي ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم
لبيان سندهم ومنشا رايهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الي الله
ويحزرون ويقدرون انها شركا تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا تنبيه علي كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم علي تفرده
باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين المجرد والظرف الذي
هو سبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله
ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب

من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في
السموات وما في الأرض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض
ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان
او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان أتقولون على الله ما لا تعلمون
توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان
العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ قل ان الذين يفترون على الله
الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون
بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اي افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم
في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اي لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم
بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب
كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم
عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او
قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم
فاعزموا عليه وشركاءكم اي مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل
وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اي وامر شركائكم وقيل
انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى
امرهم بالعزم او الاجماع على قصده والسعي في اهلاكه على اي وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم
ثم لا يكن امركم عليكم غمة في قصدي مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا
ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم عن ثقل مكاني وتذكيري ثم اقضوا ادوا
الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى
اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلون فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم
من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على
الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعدما الزمهم الحجة
وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق
ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين
كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المكذبين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير
لمن كذب الرسول وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل
رسول الى قومه فجاؤوهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا
فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل
اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كذلك نطبع على قلوب المعتدين

بخذلانهم لانهماكهم في الضلالة واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بتقدير الله تعالى
وكسب العبد وقدم تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون
الى فرعون وملائه بآياته بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما
مجرمين معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤوا على ردها فلما جاءهم
الحق من عندنا وعرفوه لتظاهر المعجزات القاهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم
ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى اتقولون
للحق لما جاءكم انه سحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون أسحر هذا
لانهم بتوا القول هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير
والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى اتقولون للحق اتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة
لقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغني عن المفعول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى
للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة لان العالم بانه لا يفلح
الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب الفلاح
ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما
وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي به
لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين في
فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق
فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى
ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ
ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها والسحر بدل منه
او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي السحر هو ويجوز ان ينتصب
ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه
ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه
لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره
المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره الا ذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه
بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية
طائفة من شبانهم آمنوا به او مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على
خوف من فرعون وملئهم اي مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد
في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم
ان يعذبهم وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ ان ان
فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم آمنتم

بالله فعليه توكلوا ثقوا به واعتمدوا عليه إن كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعلق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مومنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعا تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها او ترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المومنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثني الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه روس القوم للتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوهما واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعا عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان يكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اهلكها والطمس المحو وقرئ اطمس بالضم واشدد على قلوبهم اي واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعا او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما اعتراض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون لانه كان يومن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعا اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمينان بوعد الله وعن ابن عامر ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان منه ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف فاتبعهم فادركهم يقال تبعته واتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي والعدو وقرئ وعدوا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال امنت انه اي بانه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرا حمزة

والكسائي انه بالكسر على اضمار القول او الاستيناف بدلا وتفسيرا لامنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل الان اتومن الان وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرا يعقوب ننجيك من انجا وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية من الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او لمن ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك اي لمن خالقك اية كسائر الايات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمده لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون ولقد بوانا انزلنا بني اسرائيل مبوا صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قروا التورية وعلموا احكامها او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك من القصص على سبيل الفرض والتقدير فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القران مصدق لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه او تهييج الرسول وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي والمراد امته او لكل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالايات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين ايضا من باب التهييج والتثبيت

وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة
ربك بانهم يموتون على الكفر او يخلدون في العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض
قضاؤه ولو جاءتهم كل آية فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى
يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت
قرية من القرى التي اهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها
ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس لما آمنوا
اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي ويجوز ان
يكون الجملة في معنى النفي لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد
من القرى اهاليها كأنه قال ما آمن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده
قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى آجالهم روي ان يونس عليه السلام بعث الى
اهل نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى اربعين فلما دنى
الموعد اغامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشي مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس
فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم
ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا
التوبة والايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون
فيه وهو دليل على القدرية على انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة
والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشاء الله منهم حتى
يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار
وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه
فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روي انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به
فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله الا بارادته
والطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك في هداها فانه الى الله تعالى ويجعل الرجس
العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاي وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين
لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات او لا يعقلون دلائله واحكامه
لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اي تفكروا ماذا في السموات
والارض من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية
علقت انظروا عن العمل وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون في علم الله
وحكمه وما نافية او استفهامية في موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام
الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم
ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا

هلاكي اني معكم من المنتظرين هلاككم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه
الا مثل ايام الذين خلوا كأنه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية
كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين
نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك قل
يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد
الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهذا
خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف
لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم
ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل
عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان و
يكون من غيره كقولك امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين عطفا على
ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود
وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر
منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء
عن القبائح او في الصلوة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن
من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان
دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط
وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك
فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله
الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على
ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير
للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله
تعالى لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد
جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان
والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بها فانما يضل
عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم
وانما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل
اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ
في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد

وبعده من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي مائة وثلث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدا وخبر او كتاب خبر محذوف احكمت
آياته نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى او منعت من الفساد والنسخ
فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ او احكمت بالحجج والدلائل او جعلت حكيمة منقول
من احكم بالظن اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت
بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار او بجعلها سورا او بالانزال نجما نجما
او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل واحكمت آياته
ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت في الحكم او للتراخي في الاخبار من لدن حكيم
خبير صفة اخرى للكتاب او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت او فصلت وهو تقرير لاحكامها
وتفصيلها على اكمل ما ينبغي باعتبار ما ظهر امره وما خفي ألا تعبدوا الا الله لان لا
تعبدوا وقيل ان مفسرة لان في تفصيل الآية معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدا للاغراء
على التوحيد او الامر بالتبري عن عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه او اتركوها
تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وأن
استغفروا ربكم عطف على ان لا تعبدوا ثم توبوا اليه ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة
بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم في امن
ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة او لا يهلككم بعذاب الاستيصال
والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير
ويؤت كل ذي فضل فضله ويعط كل ذي فضل في دينه جزاء فضله في الدنيا والآخرة وهو
وعد للموحد التائب بجزاء الدارين وان تولوا اي تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب
يوم كبير يوم القيمة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ
وان تولوا من ولي الى الله مرجعكم رجوعكم في ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو
على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب تقرير لكبر اليوم ألا انهم يثنون صدورهم
يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي او يولون ظهورهم وقرئ
تثنوني بالياء والتاء من اثنوني وهو بناء المبالغة وتثنون وتثنوي واصله تثنونن من
الثني وهو الكلاء الضعيف اراد به ضعف قلوبهم او مطاوعة صدورهم للثني وتثنين
من اثنان كابياض بالهمز ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه
قيل انها نزلت في طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا علينا ستورنا واستغشينا ثيابنا
وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت في المنافقين وفيه نظر اذ الآية
مكية والنفاق حدث بالمدينة ألا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى
فرشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي
في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور

بالاسرار

بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله
وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحيوة والممات او الاصلاب
والارحام او مساكنها من الارض حيث وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت
بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ كانه
اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات
باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهة العلو والسفل
وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات
وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل
على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على
متن الريح والله تعالى اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق
ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد
لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون
منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع
وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض
على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل
القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احسنكم عقلا واورعكم عن محارم الله
واسرعكم في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد
الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول
به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي
الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت او ان
يكون ان بمعنى على اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره
لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود
الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه
ما يمنعه من الوقوع ألا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب
مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقدم خبرها عليها
وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا
به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون
لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه
نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة عنه انه ليؤس قطوع رجاؤه

من فضل الله لقلة صبره وعدم ثقته بربه **كفور** كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة
وان اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنا بعد عدم وفي اختلاف الفعلين
نكتة لا تخفى **ليقولن ذهب السيئات عني** اي المصايب التي سائتني **انه لفرح** بطر بالنعم مغتر
بها **فخور** على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفي لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان ما يجد الانسان
في الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده في الاخرة وانه يقع في الكفران والبطر بادنى شي لان الذوق ادراك
الطعم والمس مبدا الوصول **الا الذين صبروا** على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه **وعملوا
الصالحات** شكرا لالائه سابقها ولاحقها **اولئك لهم مغفرة** لذنوبهم **واجر كبير**
اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن
حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا **فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك**
بترك تبليغ بعض ما يوحى اليك وهو ما يخالف راي المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من
توقع الشي لوجود ما يدعو اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة
في الوحي والتثبيت في التبليغ مانعا **وضائق به صدرك** وعارض لك احيانا ضيق صدر بان تتلوه
عليهم مخافة **ان يقولوا لولا انزل عليه كنز** ينفعه في الاستتباع كالملوك **او جاء معه
ملك** يصدقه وقيل الضمير في به مبهم يفسره ان يقولوا **انما انت نذير** ليس عليك الا الانذار
لما اوحي اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما لك تضيق به صدرك **والله على كل شي وكيل** فتوكل عليه فانه
عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم **ام يقولون افتراه** ام منقطعة والهاء لما يوحى
قل فاتوا بعشر سور مثله في البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل
الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد **مفتريات** مختلقات من عند انفسكم
ان صح اني اختلقته من عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما اقدر عليه بل انتم اقدر
لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم **وادعوا من استطعتم من دون الله**
الى المعاونة على المعارضة **ان كنتم صادقين** انه مفترى **فان لم يستجيبوا لكم** باتيان
ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول
متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل امر الا ما خصه الدليل والتنبيه على ان التحدي مما
يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله **فاعلموا انما انزل بعلم الله**
ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه **وان لا اله الا هو** واعلموا ان لا اله الا الله لانه
العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز الهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه
باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من باس الله الهتهم **فهل انتم مسلمون** ثابتون
على الاسلام راسخون مخلصون فيه اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم اي وان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم
من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من
التوحيد حق فهل انتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه

من معنى

من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها**
باحسانه وبره **نوف اليهم اعمالهم فيها** نوصل اليهم جزاء اعمالهم في الدنيا من الصحة والرياسة
وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اي يوف الله وتوف على البناء للمفعول وتوف
بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غايب مالي ولا حرم **وهم
فيها لا يبخسون** لا ينقصون شيئا من اجورهم والاية في اهل الريا وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة
وبرهم **اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار** مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما
تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزايم السيئة **وحبط ما صنعوا فيها** لانه لم يبق
لهم ثواب في الاخرة او لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز
تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا **وباطل** في نفسه **ما كانوا يعملون** لانه لم يعمل
على ما ينبغي وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية
او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام ويطل على الفعل **افمن كان على بينة
من ربه** برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب
من هذا شانه هولاء المقصرين همهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي
اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مومن مخلص
وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مومنو اهل الكتاب **ويتلوه** ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل **شاهد منه** شاهد من الله يشهد بصحته وهو القران **ومن قبله**
تلو القران **كتاب موسى** يعني التوراة فانها ايضا تتلوه في التصديق او البينة هو القران
ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام او لسان الرسول على ان الضمير له او من
التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن او للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب
موسى من قبله جملة مبتداة وقرى كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه اي يتلو القران
شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرا من قبل
القران التوراة **اماما** كتابا مؤتما به في الدين **ورحمة** على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز
بخير الدارين **اولئك** اشارة الى من كان على بينة **يؤمنون به** بالقران **ومن يكفر
به من الاحزاب** من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم **فالنار موعده**
يردها لا محالة **فلا تك في مرية منه** من الموعد او القران وقرئ مرية بالضم وهما الشك
انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم **ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا** كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله **اولئك يعرضون
على ربهم** في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم **ويقول الاشهاد** من الملائكة والنبيين او من
جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب او شهيد كاشراف **هولاء الذين كذبوا على ربهم
الا لعنة الله على الظالمين** تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله **الذين
يصدون عن سبيل الله** عن دينه **ويبغونها عوجا** يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب

او يبغون اهلها ان ينحرفوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالاخرة وتكرير هم
لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا
ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم
ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استيناف وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب
يضعّف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون
لتعاميهم عن آيات الله وكانه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الالهة
بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف
لهم العذاب اعتراض اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله وضل
عنهم ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا
فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر
خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمانوا اليه وخشعوا له
اليه من الخبت وهو الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون
مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه
الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله وتابيه عن تدبر معانيه
وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين
او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة
كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا
تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتامل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
اني لكم باني لكم وقرا نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز
ان يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو
في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهارك صائم
للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا
تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا
جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الراي ظاهر الراي من غير تعمق
من البدو او اول الراي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرا ابو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف
المضاف اي وقت حدوث بادي الراي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم
لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم
لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارايتم
اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده

بايتاء البينة او النبوة فعميت عليكم فخفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة في
نفسها هي الرحمة او لان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت عليكم بعد البينة
وحذفها للاختصار او لانه لكل واحدة منهما وقرا حمزة والكسائي وحفص فعُمّيت اي اخفيت
وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها انكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون
لا تختارونها ولا تتاملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما
جاز في الثاني الفصل والوصل ويا قوم لا اسالكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم
مما ذكر مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد الذين آمنوا
جواب لهم حين سالوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه
ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم
او في التماس طردهم او تتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرني من الله
بدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان
التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله
خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب عطف على عندي خزائن الله ولا اقول
انا اعلم الغيب حتى تكذبوني استبعادا او حتى اعلم ان هؤلاء اتبعوني بادي الراي من غير بصيرة
ولا عقد قلب وعلى الثاني يجوز عطفه على اقول ولا اقول اني ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم ولا اقول في شان من استرذلتموهم لفقرهم
لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم في الآخرة خير مما آتاكم في الدنيا الله اعلم بما في انفسهم
اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت
تاؤه دالا لتجانس الزاي في الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم
بادي الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تامل في معانيهم وكمالاتهم
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته واتيت بانواعه فاتنا
بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك
لا تؤثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين
بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم
شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم وتقدير
الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي ولذلك نقول
لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما
اوهموا ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف
مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك هو ربكم
خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلي اجرامي وباله وقرئ أَجرامي على الجمع وانا بريء مما تجرمون من

اجرامكم في اسناد الافتراء الي وأوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس
بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوا من التكذيب والايذا
واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذي به يحفظ الشي ويراعي
عن الاختلال والزيغ عن المبالغة في الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك
كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب
عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال
ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمل السفينة فانه كان
يعملها في برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ان
كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق
في الدنيا والحرق في الاخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه
عذاب يخزيه يعني به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين
الذي لا انفكاك عنه عذاب مقيم دايم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله
ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والتنور الخبز ابتدا منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها او في الهند او بعين وردة من ارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف
موضعها قلنا احمل فيها في السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين
اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين من
كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على الزوجين او اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤهم
الا من سبق عليه القول بانه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين
ومن آمن والمومنين من غيرهم وما آمن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته
المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامراة من
غيرهم روي انه عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسين وسمكها ثلاثين وجعل لها ثلثة بطون فحمل في اسفلها الدواب والوحش وفي اوسطها الانس
وفي اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب
في الارض بسم الله مجراها ومرساها متصل باركبوا حال من الواو اي اركبوا فيها مسمين الله
او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او للمكان
او للمصدر والمضاف محذوف كقولهم اتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما
ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدا وخبر اي اجراوها بسم الله على ان بسم الله خبر
وصلته والخبر محذوف وهي جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو والهاء
وروي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست
ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرا حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص

مجراها

مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسى وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها
ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله ان ربي لغفور رحيم اي لولا مغفرته لفرطاتكم
ورحمته اياكم لما انجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اي فركبوا مسمين
وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه
كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء المطبق ما بين السماء والارض
وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور انه على شوامخ الجبال خمسة عشر
ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرئ ابنها وابنه
بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو
خطا اذ الانبيا عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها
حكاية سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان
من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء
الاضافة المحذوفة في جميع القران غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق
الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ها هنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة
من ياء الاضافة واختلف الرواة عنه في سائر المواضع وقد ادغم الباء في الميم ابو عمرو والكسائي وحفص
لتقاربهما ولا تكن من الكافرين في الدين او الانعزال قال ساوي الى جبل يعصمني من
الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى
او الا مكان من رحمهم الله وهو المومنون رد بذلك ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه
يعصم اللائذ به الا معتصم المومنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في
عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج
بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يومرون به تمثيلا لكمال
قدرته وانقيادهما لما يشا تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يامر المنقاد لحكمه المبادر الى
امتثال امره مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك
وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المومنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمد روي انه ركب
السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة وقيل
بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بحيث لا يرجى
عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والاية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها
وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار على البنا للمفعول
دلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره
للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار ونادى نوح ربه واراد نداءه

بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده
لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا
النداء قبل غرقه وانت احكم الحاكمين لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي
الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع
الولاية بين المومن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه
من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع
ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما
وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرا الكسائي ويعقوب انه عمل اي عمل عملا غير صالح
فلا تسالني ما ليس لك به علم ما لا تعلم اصواب هو ام ليس كذلك وانما سمي نداءه سؤالا
لتضمن ذكر الوعد بنجاة اهله استنجازه في شان ولده او استفسار المانع الانجاز في حقه
وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق
عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه
الامر عليه وقرا ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذا نافع وابن عامر غير انهما كسرا
النون على ان اصله تسالنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء
ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل قال رب اني اعوذ بك ان اسالك
في المستقبل ما ليس لي به علم ما لا علم لي بصحته والا تغفر لي والا تغفر لي ما فرط مني من السؤال
وترحمني بالتوبة والتفضل علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام
منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا او مسلما عليك وبركات عليك
ومباركا عليك او زيادات في نسلك حتى تصير ادما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على
التوحيد وهو الخير الثاني وعلى امم ممن معك وهم الذين معك سموا امما لتحزبهم
او لتشعب الامم او وعلى امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المومنون لقوله وامم سنمتعهم
اي وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الاخرة والمراد بهم الكفار
من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك
اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اي بعضها نوحيها
اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء
متعلق به او حال من الها ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر اخر اي
مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الها في نوحيها او الكاف في اليك
اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكرهم تنبيه على انه لم تعلمه اذ لم تخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم
لما لم يسمعوه فكيف برجل منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان
العاقبة في الدنيا بالظفر وفي الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصي والى عاد

اخاهم

اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله
وحده ما لكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المحل ورفعه ان انتم الا مفترون
على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان
اجري الا على الذي فطرني خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة
فانها لا تنجع ما دامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم
فتعرفون المحق من المبطل والصواب من الخطا ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليه بالتوبة وايضا التبري عن الغير
انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير
الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة
القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
ثلاث سنين فوعدهم هود بالتوبة كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا
مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة بحجة تدل على صحة
دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وما نحن
بتاركي الهتنا بتاركي عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير في تاركي
وما نحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق ان نقول الا اعتراك
ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض الهتنا
بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة
مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال اني اشهد الله واشهدوا اني
بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اجابة عن مقالتهم
الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من الهتهم وفراغه عن اضرارهم تاكيدا لذلك
وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وان يجتمعوا على الكيد في اهلاكه
من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن اخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه
لم يبق لهم شبهة ان الهتهم التي هي جماد لا تضر ولا تنفع ولا يتمكن من اضراره انتقاما منه
وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة القتال البطاش الى اراقة
دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه
بقوله اني توكلت على الله ربي وربكم تقريرا له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم
لم تضروني فاني متوكل على الله واثق بكلائته وهو مالكي ومالككم لا يحيق بي ما لم يرده ولا تقدرون
على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا وهو مالك
لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصي تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم
اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد
ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما علي من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط

منّي ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف
بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما اخرين في ديارهم واموالهم او عطف على الجواب
بالفا ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع وكانه قيل وان تتولوا يعذرني ويستخلف ولا
تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف سقط النون منه ان ربي على
كل شيء حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه
فلا يمكن ان يضره شيء ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين
امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة الاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير
لبيان ما نجاهم عنه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع
اعضاهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الاخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا
بالسموم فهم معذبون في الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار
القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله
لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا
امر كل جبار عنيد يعني كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا وعنودا اذا طغى
والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم
واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
تكبهم في العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار
الا بعدا لعاد دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل
عليهم بسبب ما حكي عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم
قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم
للبعد بما جرى بينهم وبين هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق ادم ومواد النطف
التي خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او قدركم
على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم
او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه
ان ربي قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا
لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في الامور
او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهانا ان نعبد
ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفي شك مما تدعونا اليه من التوحيد
والتبري عن الاوثان مريب موقع في الريبة من ارابه او ذي ريبة على الاسناد المجازي من اراب
في الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي بيان وبصيرة وحرف الشك
باعتبار المخاطبين واتاني منه رحمة نبوة فمن ينصرني من الله فمن يمنعني من عذابه

ان عصيته

ان عصيته في تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدونني اذا باستتباعكم
اياي غير تخسير غير ان تخسرون بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه
اي فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة
الله لكم اية انتصابها على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت
عليها لتنكيرها فذروها تاكل في ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها
بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا
وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا في داركم عيشوا في منازلكم او في داركم
الدنيا ثلاثة ايام الاربعا والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب
اي غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له اني بك فان وفى به صدقه
والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمحلول والمعقول فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ اي ونجيناهم من خزي
يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ
بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ان ربك هو القوي العزيز
القادر على كل شيء والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين كان لم يغنوا فيها قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف الا ان ثمودا كفروا
ربهم ينونه ابو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القران وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو
في قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحي او الاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعني الملئكة
قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل
بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما
قال سلام اي امركم او جوابي سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرا
حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به او فما ابطا في المجيء به او فما تاخر عنه والجار مقدر او محذوف
والحنيذ المشوي بالوصف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال كقوله
بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم
خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس
الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامراته قائمة
قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة
او بهلاك اهل الفساد او باصابة رايها فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فاني اعلم
ان العذاب ينزل بهذا القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدي بسلمى ضاحكا في لبانة

ولم يعهد حقائقها ان يحلما ومنه ضحك السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها
باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره
ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا لها من وراء اسحاق يعقوب وقيل انه معطوف
على موضع باسحق او على لفظ اسحاق وفتحته للجر فانه غير معروف ورد للفصل بينه
وبين ما عطف عليه بالظرف اي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به
لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء
ابرهيم من جهته وفيه نظر والاسما يحتمل وقوعها في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعها في الحكاية بعد ان
ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت
عقيمة حريصة على الولد قالت يا ويلتا يا عجبا واصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع وقرئ
بالياء على الاصل االد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلي زوجي
واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة او مائة وعشرين ونصبه على الحال والمعنى والعامل
معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي
بدل ان هذا لشيء عجيب يعني ان الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون
القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت
منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد
النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت في ملاحظة
الايات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا
ايتها العصابة انه حميد على ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما
ذهب عن ابرهيم الروع اي ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى
بدل الروع يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا في شانهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا
وهو اما جواب لما اجابه مضارعا على حكاية الحال او لانه في سياق الجواب بمعنى الماضي كجواب لو او
او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع في جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل
اخذ او اقبل يجادلنا ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيء اليه اواه كثير التأوه
من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له
~~راجع الى الله والمقصود من ذلك~~ على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابرهيم على ارادة
القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره
بمقتضى قضائه الازلي بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم سائه مجيئهم لانهم جاءوا في صورة غلمان
فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق
بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا
يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم

يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات
الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاءوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء
بناتي فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من
قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة في
تناهي خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك
كي يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبي ابو امته من حيث الشفقة والتربية
وفي حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا
واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر لكم بالنصب على الحال على ان
هن خبر بناتي كقولك هذا اخي هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله
بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني
من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم
رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لي بكم قوة
لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي الى ركن شديد اي قوي امتنع به عنكم شبهه بركن
الجبل في شدته وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي
الى ركن شديد بالنصب باضمار ان كانه قال لو ان لي بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم
روي انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة
ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك
باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل بجناحه وجوههم فاسر باهلك
فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط سحرة بقطع من الليل
بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع في القران من السرى
بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف ولا ينظر الى ورائه والنهي في اللفظ
لاحد وفي المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر
باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر
الى الوراء في الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وابي عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القراءتين
على الروايتين في انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه
فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعاني المتناقضة والاولى جعل الاستثناء
في القراءتين من قوله لا يلتفت مثله في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القراء
على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك
علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء
منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب

جواب لاستعجال لوط واستبطايه العذاب فلما جاء أمرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الا
وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما وكان
حقه جعلوا عاليها اي الملايكة المامورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب
تعظيما للامر روي ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مداينهم ورفعها الي السماء
حتى سمع اهل السما نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأمطرنا عليها على المدن
او سوادها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كيل فعرب
وقيل انه من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشي المرسل او من مثل العطية
في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت
لامه نونا منضود نضد معدا لعذابهم او نضد في الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار
او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة
او تسويما يتميز به عن حجارة الارض او باسم من يرجم به عند ربك في خزاينه وما هي من الظالمين
ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه السلام انه
سال جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه
من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في اسفارهم الى الشام
وتذكير البعيد على تاويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا اراد اولاد مدين بن
ابرهيم عليه السلام واهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك
الامور ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعارض اني اراكم بخير بسعة
تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم
او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة للنهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط
لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة او
عذاب الاستيصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم
اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه
لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفا ولو بزيادة لا يتاتى دونها
بالقسط بالعدل والسوية من غير زيادة ونقصان فان الازدياد ايفا وهو مندوب
غير مامور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه
اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم
تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور من
المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفايدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح
كما فعله الخضر صلوات الله وسلامه عليه وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم
ومصالح اخرتكم بقيت الله ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم

مما تجمعون

مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع
الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي وقيل البقية
الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقري تقية بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي
وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها
وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا
سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا
من الاصنام اجابوا به بعد امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلواته والاشعار
بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووسواس من جنس ما تواظب
عليه وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا بالذكر وقراحمزة
والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف
لان الرجل لا يومر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان
نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقري بالتا فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب
النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير
واراد به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد
ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين
عن المبادرة الى امثال ذلك قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة
الى ما اتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما اتاه الله من المال
الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع للسعادات
الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا
عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الاباء والضمير في منه لله اي من عنده واعانته
بلا كد مني في تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اي وما اريد ان
اتي ما انهاكم عنه لاستبد به ولو كان صوابا لاثرته ولا اعرض عنه فضلا عن ان انهى
عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان
الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم
بامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه
ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شان وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان
يراعي في كل ما ياتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق
النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضي ان امركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه
وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته
او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقي الا بالله وما توفيقي لاصابة الحق
والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شي وما

عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الي محض التوحيد
الذي هو اقصي مراتب العلم بالمبدا **واليه انيب** اشارة الي معرفة المعاد وهو ايضا يفيد
الحصر بتقديم الصلة علي انيب وفي هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما ياتي
ويذره من الله والاستعانة به في مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع
الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعداوتهم وتهديدهم بالرجوع الي الله للجزا
يا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم **شقاقي** معاداتي **ان يصيبكم مثل ما اصاب**
قوم نوح من الغرق **او قوم هود** من الريح **او قوم صالح** من الرجفه وان بصلته
ثاني مفعولي جرم فانه تعدي الي واحد والي اثنين لكسب وابن كثير يجرمنكم بالضم منقول
من المتعدي الي مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا علي السنة الفصحا وقري
مثل بالفتح لاضافته الي المبني كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات وقال
وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم او ليسوا
ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم
او وما هم بشي بعيد ولا يبعد ان يسوي في امثاله بين المذكر والمؤنث لانها علي زنة المصادر
كالصهيل والشهيق **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه** عما انتم عليه **ان ربي رحيم**
عظيم الرحمة للتائبين **ودود** فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة
لمن يوده وهو وعد علي التوبة بعد الوعيد علي الاصرار **قالوا يا شعيب ما نفقه** ما نفهم
كثيرا مما تقول كحرمة التبخيس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم
وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه **وانا لنراك**
فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوءا او مهينا لا عز لك وقيل اعمي بلغة
حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزله استنباء الاعمي قياسا
علي القضا والشهادة والفرق بين **ولولا رهطك** قومك وعزتهم عندنا لكونهم علي ملتنا
لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الي العشرة وقيل الي السبعة **لرجمناك** لقتلناك
برمي الاحجار او باصعب وجه **وما انت علينا بعزيز** فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا دين
السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه علي
ان الكلام فيه لا في ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك قال **قال يا قوم**
ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ
وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون علي الله وتبقون علي رهطي وهو
يحتمل الانكار والتوبيخ والرد والتكذيب وظهري منسوب الي الظهر والكسر من تغيير النسب
ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفي عليه شي منها فيجازي عليها **ويا قوم اعملوا علي مكانتكم**
اني عامل فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام
والفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن مما عليه سبب لذلك وحذفها

هنا

ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل **ومن هو كاذب** عطف علي
من ياتيه لا لانه قسيم له كقولك سيعلم الصادق والكاذب بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه
قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو
صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب
علي زعمهم **وارتقبوا** وانتظروا ما اقول لكم **اني معكم رقيب** منتظر فعيل بمعني
الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع **ولما جاء امرنا نجينا**
شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما هو في قصة عاد اذ لم
يسبقه ذكر وعد يجري مجري السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد
وذلك قوله غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بالفا السببية **واخذت**
الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل فهلكوا **فاصبحوا في ديارهم جاثمين**
ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان **كان لم يغنوا فيها** كان لم يقيموا فيها **الا**
بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم كان ايضا بالصحة غير ان صيحتهم
كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقري بعدت بالضم علي الاصل فان الكسر
تغيير لتخصيص معني البعد بما يكون سبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور
ولقد ارسلنا موسي باياتنا بالتوراة والمعجزات **وسلطان مبين** هو المعجزات القاهرة
او العصا وافرادها لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه اياتنا
وسلطانا له علي نبوته واضحا لنفسه او موضحا اياها فانا بان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما
ان الاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص القاطع والمبين يخص بما فيه جلا **الي**
فرعون وملايه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسي او فما اتبعوا موسي
الهادي الي الحق المويد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال
والطغيان الداعي الي ما لا يخفي فساده علي من له ادني مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم
استبصارهم **وما امر فرعون برشيد** مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال
صريح **يقدم قومه يوم القيمة** الي النار كما كان يقدمهم في الدنيا الي الضلال يقال
قدم بمعني تقدم **فاوردهم النار** ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار
لهم منزلة الماء فسمي اتيانها موردا ثم قال **وبئس الورد المورود** اي بئس المورد الذي وردوه
فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل علي قوله وما امر
فرعون برشيد فان من هذا عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له علي ان المراد بالرشد
ما يكون مامون العاقبة حميدها **واتبعوا في هذه** في هذه الدنيا **لعنة ويوم القيمة**
اي يلعنون في الدنيا والاخرة **بئس الرفد المرفود** بئس العون المعان او العطا المعطي
واصل الرفد ما يضاف الي غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة
في الدارين **ذلك** اي ذلك النبا **من انباء القري** المهلكه **نقصه عليك** مقصوص عليهم

مِنْهَا قَائِمٌ من تلك القرى باقٍ كالزرع القائم وَحَصِيدٌ ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود
والجملة مستانفة وقيل حال من الهاء في نقصّه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا اياهم وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه
فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن
دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ لما جاءهم عذابه ونقمته وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ
تَتْبِيبٍ هلاك وتخسير وَكَذَلِكَ ومثل ذلك الاخذ أَخْذُ رَبِّكَ وقرئ اخذ ربك
بالفعل فيكون محل الكاف النصب على المصدر إِذَا أَخَذَ الْقُرَى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى
على الماضي وَهِيَ ظَالِمَةٌ حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامها
اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة
العاقبة إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ وجيع غير مرجو الخلاص عنه وهو مبالغة في التهديد
والتحذير إِنَّ فِي ذَلِكَ اي فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لَآيَةً
لعبرة لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ يعتبر بها عظة لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله
للمجرمين في الاخرة او ينزجر عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم
من يشاء فان من انكر الاخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع
لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها ذَلِكَ اشارة الى يوم القيامة
وعذاب الاخرة دل عليه يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ اي يجمع له الناس والتعبير للدلالة على
اثبات معنى الجمع في اليوم وانه من شانه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو ابلغ من قوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازات وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ
اي مشهود فيه اهل السموات والارض فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل
من نواصي الناس مشهود اي كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم
اليوم وتمييزه فان ساير الايام كذلك وَمَا نُؤَخِّرُهُ اي اليوم إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ
الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف واراد مدة التاجيل كلها بالاجل
لا منتهاها فانه غير معدود يَوْمَ يَأْتِ اي الجزاء او اليوم كقوله ان تاتيهم الساعة على ان
يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله ونحوه وقرا ابن عامر
وعاصم وحمزة بات بحذف اليا اجتزاء عنها بالكسرة لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ لا تتكلم بما ينفع وينجي من
جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او لانتهاء المحذوف
إِلَّا بِإِذْنِهِ الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا موقف وقوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر والماذون فيه هو جواب ات
الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وجبت له النار بمقتضى الوعيد وَسَعِيدٌ
وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكروا لانه معلوم مدلول عليه
بقوله لا تكلم نفس او للناس فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ

الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق واخره والمراد منهما الدلالة
على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه
او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ
وَالْأَرْضُ ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تابيد دوامهم
وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التابيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على
سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم
ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت
ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الاخرة وارضها ويدل عليه قوله
يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الاخرة لا بد لهم من مظل ومقل وفيه نظر
لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام
الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ استثناء من الخلود في النار
لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال
الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون الجنة
ايام عذابهم فان التابيد من مبدا معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء
وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما منحصرا لان من شرطه ان يكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه
لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف
لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع
الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب
وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله
ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا
في النار حين ياتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم
وعلى هذا التاويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها
زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على الف الا الفان قديمان والمعنى سوى
ما شاء ربك من الزيادة التي لا اخر لها على مدة بقاء السموات والارض إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ
من غير اعتراض وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه
على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتابيد
وقرا حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب
على المصدر المؤكد اي اعطوا عطاء او الحال من الجنة فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ شك بعد ما انزل
عليك من حال الناس مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل
ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر

ولا ينفع **ما يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل** استيناف معناه تعليل النهي عن المرية
اي هم واياهم سواء في الشرك اي ما يعبدون عبادة الا كعبادة ابائهم او ما يعبدون شيا الا
مثل ما عبدوه من الاوثان فقد بلغك ما لحق اباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل
في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة ما قبله عليه **وانا لموفوهم نصيبهم**
حظهم من العذاب كابائهم او من الرزق فيكون عذرا لتاخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه
غير منقوص حال من النصيب ليفيد التوفيه فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه
ولو مجازا **ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** فامن به قوم وكفر به قوم كما اختلف
هولاء في القران **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني كلمة الانظار الى يوم القيامة **لقضي**
بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق **وانهم** وان كفار قومك **لفي شك**
منه من القران **مريب** موقع للريبة **وان كلا** وان كل المختلفين المومنين منهم والكافرين
والتنوين بدل من المضاف اليه وقرا ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل
لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطية للقسم والثانيه للتاكيد او بالعكس وما مزيدة
بينهما للفصل وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما
للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء اعمالهم
وقري لما بالتنوين اي جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافيه ولما بمعنى الا وقد قري به
انه بما يعملون خبير فلا يفوته شي منه وان خفي **فاستقم كما امرت** لما بين امر المختلفين
في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة
مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقايد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل
بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرايع كما انزل والقيام
بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر
ولذلك قال عليه السلام شيبتني سورة هود **ومن تاب معك** اي تاب من الشرك والكفر
وامن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يوكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه **ولا**
تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم **انه بما تعملون بصير** فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل
للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع المنصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان
ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي
بزيهم وتعظيم ذكرهم **فتمسكم النار** بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى
ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم
نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول
ومن معه من المومنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد
طرفي افراط او تفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقري تركنوا فتمسكم بكسر التا على
لغة تميم وتركنوا على البنا للمفعول من اركنه **وما لكم من دون الله من اوليا** من انصار

يمنعون

يمنعون العذاب عنكم والواو للحال **ثم لا تنصرون** اي ثم لا ينصركم الله
اذ سبق في علمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم
وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا
بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم
انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا **واقم الصلوة طرفي النهار** غدوة وعشية
وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه **وزلفا من الليل** وساعات
منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلوة الغداة
صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشي العصر وقيل
الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقري زلفا بضمتين
وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة **ان الحسنات**
يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكباير وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد
اصبت من امراة غير اني لم اتها فنزلت **ذلك** اشارة الى قوله فاستقم فما بعده
وقيل الى القران **ذكرى للذاكرين** عظة للمتعظين **واصبر** على الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود
ودليلا على ان الصلاة والصبر احسان وايماء بانه لا يعتد بهما دون الاخلاص **فلولا كان**
فهلا كان **من القرون من قبلكم اولوا بقية** من الراي والعقل او اولوا فضل
وانما سمي بقيه لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه يقال فلان من بقية
القوم اي خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالبقية اي دون ابقاء على انفسهم وصيانة لها
من العذاب ويؤيده انه قري بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه **ينهون**
عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك
ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض **واتبع الذين ظلموا ما**
اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين فانه اراد ان يبين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفة
وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع
عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين
عطف على اتبع او اعتراض وقري واتبع اي واتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان
يفسر به المشهور ويعضده تقدم الانجاء **وما كان ربك ليهلك القرى بظلم**
بشرك **واهلها مصلحون** فيما بينهم لا يضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط
رحمته ومسامحته في حقوقه ولذلك قدم الفقها عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك
يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة** مسلمين كلهم

وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه **ولا يزالون مختلفين** بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لا يكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا **الا من رحم ربك** الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه **ولذلك خلقهم** ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة **وتمت كلمة ربك** وعيده او قوله للملائكة **لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين** او منهما اجمعين لا من احدهما **وكلا** وكل نبأ **نقص عليك من أنباء الرسل** نخبرك به **ما نثبت به فؤادك** بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة تثبيته واطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل **وجاءك في هذه** السورة او الانباء المقتصة عليك **الحق** ما هو حق **وموعظة وذكرى للمؤمنين** اشارة الى سائر فوائده العامة **وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم** على حالكم **إنا عاملون** على حالنا **وانتظروا** بنا الدوائر **إنا منتظرون** ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم **ولله غيب السماوات والأرض** خاصة لا يخفى عليه خافية مما فيهما **وإليه يرجع الأمر كله** فيرجع لا محالة امرهم وامرك اليه وقرا نافع وحفص يرجع **فاعبده وتوكل عليه** فانه كافيك في تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد **وما ربك بغافل عما تعملون** انت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرا نافع وابن عامر بالياء هنا وفي اخر النمل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وبهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

سورة يوسف مكية وهي مائة وعشرة آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى ايات السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الايات ايات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سالوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف فنزلت **إنا أنزلناه** اي الكتاب **قرآنا عربيا** سمي البعض قرانا لانه في الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو في نفسه اما توطئة للحال التي هي عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفي كل ذلك خلاف **لعلكم تعقلون** علة لانزاله بهذه الصفة اي انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كي تفهموه وتحيطوا بمعانيه او تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء **نحن نقص عليك أحسن القصص** احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجايب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقص والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه

بما أوحينا إليك بايحائنا **إليك هذا القرآن** يعني السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر **وإن كنت من قبله لمن الغافلين** من هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة **إذ قال يوسف** بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبري ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بني للمفعول او الفاعل من اسف لان المشهورة شهدت بعجمته **لأبيه** يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه السلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم **يا أبت** اصله يا ابي فعوض عن الياء تاء التانيث لتناسبهما في الزيادة ولذلك قلبها هاء في الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر في كل القران لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقي الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتي لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب **إني رأيت** من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي **أحد عشر كوكبا والشمس والقمر** روي عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني يا محمد عن النجوم التي راهن يوسف فسكت فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها **رأيتهم لي ساجدين** استيناف لبيان حالهم التي راهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم **قال يا بني** تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن اثنتي عشرة سنة وقرا حفص هنا وفي الصافات بفتح الياء **لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا** فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون في النوم وفرق بينهما بتاء التانيث كالقربة والقربى وهي انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدي كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلل بقوله

ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوا فلا يالوا
جهدة في تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتي يحملهم علي الكيد وكذلك اي وكما اجتباك
لمثل هذه الرؤيا الدالة علي شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك
ولامور عظام والاجتبا من جبوت الشي اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدا
خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تاويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها
احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من
تاويل غوامض كتب الله وسنن الانبياء وكلمات الحكما وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم للباطل
ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان تصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلي ال يعقوب
يريد سائر بنيه ولعله استدل علي نبوتهم بضوء الكواكب او نسله كما اتمها علي ابويك
بالرسالة وقيل علي ابرهيم بالخلة والانجاء من النار وعلي اسحق بانقاذه من الذبح وفدايه بذبح
عظيم من قبل من قبلك او من قبل هذا الوقت ابرهيم واسحق عطف بيان لابويك ان
ربك عليم بمن يستحق الاجتبا حكيم يفعل الاشيا علي ما ينبغي لقد كان في يوسف
واخوته اي في قصتهم ايات دلايل قدرة الله تعالي وحكمته او علامات نبوتك للسايلين
لمن سال عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون
ويشجر ودينه من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت
له يوسف وبنيامين وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة اخرون دان
ونفتالي وجاد واشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه
بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الي ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق
فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلي جايز
في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقويا احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما
والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا
لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول او لترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يري
فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما راي الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لا يصبر عنه
فتبالغ حسدهم حتي حملهم علي التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا
كانهم اتفقوا علي ذلك الامر الا من قال لا تقتلوه وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الاخرون
او اطرحوه ارضا ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معني تنكيرها وابهامها ولذلك
نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعني يصف لكم
وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الي غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا
جزم بالعطف علي يخل او نصب باضمار ان من بعده بعد يوسف والفراغ من امره او قتله
او طرحه قوما صالحين تايبين الي الله عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه
بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قايل منهم يعني يهودا

وكان

وكان احسنهم فيه روبا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة
الجب في قعره سمي بها لغيبوبته عن عين الناظر وقرا نافع في غيابات علي الجمع كانه لتلك الجب
غيابات وقري غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه ياخذه بعض السيارة بعض الذين
يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم علي ان تفعلوا ما يفرق بينه
وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا علي يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون
ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رايه في حفظه منهم لما تنسم
من حسدهم والمشهور لا تامنا بالادغام باشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك
الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التا ارسله معنا غدا الي الصحرا يرتع نتسع
في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ويلعب بالاستباق والانتصال وقرا ابن
كثير نرتع بكسر العين علي انه من ارتعي يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرا الكوفيون
بالياء والسكون علي اسناد الفعل الي يوسف وقري يرتع ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع
علي الابتداء وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به
لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذيب لان الارض كانت مذابة
وقيل راي في المنام ان الذيب قد شد علي يوسف وكان يحذره وقد همزها علي الاصل ابن كثير
ونافع في رواية البزي وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذابت
الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم
بحفظه قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اللام موطية للقسم وجوابه انا اذا
لخاسرون ضعفا مغبونون او مستحقون بان يدعي عليهم بالخسار والواو في ونحن
للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا علي القايه فيها والبير
بير بيت المقدس او بير بارض الاردن او بين مصر ومدين او علي ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب
عليه السلام وجواب لما محذوف مثل ما فعلوا به ما فعلوا من الاذي فقد روي انهم لما برزوا
به الي الصحرا اخذوا يوذونه ويضربونه حتي كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا
اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الي البير فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا
قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به علي ابيهم وقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتواري به فقالوا
ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويونسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ما
فسقط ثم اوي الي صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبريل بالوحي كما قال واوحينا اليه
وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الي يحيي وعيسي عليهما
السلام وفي القصص ان ابرهيم عليه السلام حين القي الي النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل
عليه السلام بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الي اسحق واسحق الي يعقوب
فجعله في تميمة علقها علي يوسف فاخرجه جبريل والبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا
لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم

وطول العهد المغير للحلي والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا اي انسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وقري عشيا وهو تصغير عشي وعشا بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكاء يبكون متباكين روي انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقري بالنصب على الحال من الواو وجاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اي كدر او طري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اي فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روي انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسال قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفونه من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة من القائه فيها فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن دعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملاها فتدلى بها يوسف فلما راه قال يا بشراي هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وامال الفتحة الراء حمزة والكسائي وقرا ورش بين اللفظين وقري يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اي الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بالطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة فقالوا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيفه او نقصانه دراهم بدل من الثمن معدودة

قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها وقيل كان عشرين درهما وقيل اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في كانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بايعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشي متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لانه متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليقي وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الاباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبعة عشر سنة ولبث في منزله ثلاث عشر سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مثله فضة وقيل ذهبا لامراته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تاويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل كالفعل لسنة والله غالب على امره لا يرده شي ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم اتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم التاويل للاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما اتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شي ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اقبل وبادر او تهيات والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كاين

واللام للتبليين كالتي في سقيًا لك وقرا ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر
بالفتح وكسر الها كعيط وهو لغة فيه وقرا هشام كذلك الا انه يهمز وقد روي انه ضم التا
وقري هيت كجير وهيت كجئت من هاس اذا تهيا وعلي هذا فاللام من صلته قال معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشان ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي
اذ قال لك في اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله اي انه خالقي واحسن
منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجازون الحسن بالسي
وقيل الزناة فان الزنا ظلم علي الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت
مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشي قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي
اذا هم بشي امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري
وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه
عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لولم اخف الله لولا ان راي
برهان ربه في قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمه وكثرة المبالغه ولا يجوز ان يجعل
وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب المحذوف يدل
هو عليه قيل راي جبريل وقيل تمثل له يعقوب عاضا علي انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف
انت مكتوب في الانبيا وتعمل عمل السفها كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتنا او الامر مثل ذلك
لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا انه من عبادنا المخلصين
الذين اخلصهم الله لطاعته وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القران
اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الي
الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معني الابتدا وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراه
لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد
الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها لدا الباب قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه
تبرية لساحتها عند زوجها وتغييره علي يوسف واغراه به وانتقاما منه وما نافية او
استفهامية بمعني اي شي جزاؤه الا السجن قال هي راودتني عن نفسي طالبتني بالمواتاه
وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد
شاهد من اهلها قيل ابن عمها وقيل ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلي الله عليه وسلم
تكلم اربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسي عليه السلام
وانما القي الله الشهادة علي لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل علي انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها
او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو
من الصادقين لانه يدل علي انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية علي ارادة

القول

القول او علي ان الفعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان
وكان علي تاويل ان العلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من
قبل فان معناه ان تمنن علي باحسانك امنن عليك باحساني السابق وقرئ من قبل ومن دبر
بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون
العين فلما راي قميصه قد من دبر قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او ان السو او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لساير
النسا ان كيدكن عظيم فان كيد النسا الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس
ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف
الندا لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفري لذنبك
يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطي اذا اذنب متعمدا والتذكير
للتغليب وقال نسوة هو اسم لجمع امراة وتانيثه بهذا الاعتبار غير حقيقي ولذلك جرد فعله
وضم النون لغة فيها في المدينة ظرف لقال اي اشعن الحكاية في مصر او صفة نسوة وكن
خمسا زوجات الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب الدواب امراة العزيز
تراود فتاها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك
واصل فتي فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه
حتي وصل الي فؤادها حبا ونصبه علي التمييز لصرف الفعل عنه وقري شعفها من شعف البعير
اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنراها في ضلال مبين في ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب
فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفي الماكر مكره او قلن
ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرا فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن
قيل دعت اربعين امراة فيهن الخمس واعتدت لهن متكا ما يتكين عليه من الوسايد
واتت كل واحدة منهن سكينا حتي يتكين والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن
ويشتغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن علي ايديهن فيقطعنها فيلمنها بالحجة او يهاب يوسف
من مكرها اذا خرج وحده علي اربعين امراة في ايديهن الخناجر وقيل متكا طعاما او مجلس
طعام فانهم كانوا يتكيون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهي عنه قال جميل فظللنا بنعمة
واتكانا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكا طعام يحز حزا كان القاطع يتكي عليه بالسكين
وقري متكا بحذف الهمزة ومتكا باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك
الشي اذا بتكه ومتكا من تكي يتكي اذا اتكا وقالت اخرج عليهن فلما راينه اكبرنه
عظمنه وهبن حسنه الفايق وعن النبي صلي الله عليه وسلم رايت يوسف ليلة المعراج كالقمر
ليلة البدر وقيل كان يرى تلالو وجهه علي الجدران وقيل اكبرن بمعني حضن من اكبرت المراة
اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والها ضمير للمصدر او ليوسف علي حذف اللام اي حضن له
من شدة الشبق كما قال المتنبي خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق

وقطعن أيديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها له من صفات
العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قراه ابو عمرو في الدرج فحذفت الالف الاخيرة تخفيفا
وهو حرف يفيد معنى التبرية في الاستثناء فوضع موضع التبرية واللام للبيان كما في قولك سقيا لك وقرئ
حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا
الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اي صار في ناحية الله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال
غير معهود للبشر وهو على لغة اهل الحجاز في اعمال ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على
لغة تميم وبشرى اي بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال
الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك
قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اي فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل
ان تتصورنه ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا
لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة اقرت لهن حين
عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانه عزكته ولئن لم يفعل ما آمره اي ما آمر به فحذف
به الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من الصاغرين
الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن
وهو يخالف خط المصحف لان النون تثبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك بالخفيفة
لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الي مما يدعونني
اليه اي آثر عندي من مواتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك
مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه عن مخالفتها وزين له مطاوعتها او
دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به ان يسال الله
العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال الصبر والا تصرف
عني وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة
اصب اليهن امل الى جانبهن او الى انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى
ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن
من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا
يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا
تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها
على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما
يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله من بعد ما راوا الشواهد
الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن واستعصامه عنهن
وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على
سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين

وقرئ بالنا

وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى
بلغة هذيل ودخل معه السجن فتيان اي ادخل يوسف السجن واتفق ان ادخل
معه آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال
احدهما يعني الشرابي اني اراني اي في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اي عنبا
وسماه بما يؤول اليه وقال الآخر اي الخباز اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير
منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين من الذين يحسنون تاويل الرؤيا
او من العالمين وانما قالا ذلك لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين
الى اهل السجن فاحسن الينا بتاويل ما رايناه ان كنت تعرفه قال لا ياتيكما طعام ترزقانه
الا نباتكما بتاويله اي بتاويل ما قصصتما علي او بتاويل الطعام بمعنى بيان ماهيته وكيفيته
فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان
يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد
فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوى والتعبير قبل ان
ياتيكما ذلك التاويل ذلكما مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن والتنجيم
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اي علمني
ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام
مبتدا للتمهيد الدعوة اظهار انه من بيت النبوة ليقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه
ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم
وتاكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء
اي شيء كان ذلك اي التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس
ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس اي المبعوث اليهم لا يشكرون
هذا الفضل فيعرضون عنه ولا ينتبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال
الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيكفرون نعمته كمن يكفر النعمة ولا يشكر
يا صاحبي السجن اي يا ساكنيه او يا صاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق
الليلة او البدر ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام الله الواحد
المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من
دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان اي الا اشياء باعتبار اسام اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق
مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه
الالوهية عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم
في امر العبادة الا لله فانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك
لامره امر على لسان انبيائه الا تعبدوا الا اياه الذي دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم

الحق وانتم لا تميزون المعوج من القويم وهذا من التدريج في الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان
التوحيد على اتخاذ الالهة على طريق الخطاب ثم برهن على ان ما يسمونها الهة ويعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها
ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه
ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون في جهالاتهم **يا صاحبي السجن اما احدكما**
يعني الشراب **فيسقي ربه خمرا** كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه **واما الاخر**
يريد الخباز **فيصلب فتاكل الطير من راسه** فقالا كذبنا فقال **قضي الامر الذي فيه**
تستفتيان اي قطع الامر الذي تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما
وان استفتيا في امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما **وقال للذي ظن انه ناج منهما**
الظان يوسف اي ذكره لك عن اجتهاد وان ذكره عن وحي فهو الناجي الا ان يؤول الظن باليقين **اذكرني**
عند ربك اذكر حالي عند الملك كي يخلصني **فانساه الشيطان ذكر ربه** فانسى الشرابي
ان يذكره لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف ذكر الله
حتى استعان بغيره ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك
ما لبث في السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها
لا تليق بمنصب الانبياء **فلبث في السجن بضع سنين** البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع
وهو القطع **وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف** لما دنا فرجه راى
الملك سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها **واخر يابسات** وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت
اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما نص من حال البقرات واجرى السمان
على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه
لبيان الجنس وقياسه عجف لا عجاف لكنه حمل على سمان لانه نقيضه **يا ايها الملا**
افتوني في رؤياي عبروها **ان كنتم للرؤيا تعبرون** ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي
الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت
الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله
ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل تعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون
لعبارة الرؤيا **قالوا اضغاث احلام** اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله
ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان
كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة **وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين** يريدون
بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تاويل عندنا وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه
مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتاويله **وقال الذي نجا منهما** من صاحبي السجن وهو الشرابي
وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة

وهي النعمة بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي والجملة اعتراض
ومقول القول **انا انبئكم بتاويله فارسلون** الى من عنده علمه او الى السجن **يوسف**
ايها الصديق اي فارسلوا الى يوسف فجاءه فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو
المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه **افتنا**
في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
اي في رؤيا ذلك **لعلي ارجع الى الناس** اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل
ان السجن لم يكن فيه **لعلهم يعلمون** تاويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما
لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم **قال تزرعون سبع سنين دابا**
اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدابون
دابا وتكون الجملة حالا وقرا حفص دابا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر داب في العمل وقيل تزرعون امر
اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله **فما حصدتم فذروه في سنبله** لئلا ياكله السوس وهي
على الاول النصيحة خارجة عن العبارة **الا قليلا مما تاكلون** في تلك السنين **ثم ياتي**
من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن اي تاكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن
فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به **الا قليلا مما تحصنون** تحرزون
لبذور الزراعة **ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس** يمطرون من الغيث او يغاثون
من القحط من الغوث **وفيه يعصرون** ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون
الضروع وقرا حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل
ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله او يغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم
فعدي بنزع الخافض او بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ولعله علم ذلك بالوحي
او بان انتهاء الجدب بالخصب وبان السنة الالهية على ان يوسع على عباده ما ضيق عليهم **وقال**
الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير **فلما جاءه الرسول** ليخرجه **قال ارجع**
الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن انما تابى في الخروج وقدم
سؤال النسوة وفحص حاله ليظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به
الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغي ان يجتهد في نفي التهم ويتقي مواقعها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاساله ما بال النسوة ولم يقل
فاساله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما
صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون **ان ربي بكيدهن عليم** حين قلن
له اطع مولاتك وفيه تعظيم لكيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه بريء مما قذف به والوعيد
لهن على كيدهن **قال ما خطبكن** قال الملك لهن ما شانكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه
اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف

ما علمنا عليه من سوء من ذنب قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت
واستقر من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ قال حصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى
نوءة ثم صمما أو ظهر من حص شعره إذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول
أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين في قوله هي راودتني عن نفسي ذلك
ليعلم قال يوسف لما عاد إليه الرسول وأخبره بكلامهن أي ذلك التثبت ليعلم العزيز أني
لم أخنه بالغيب بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أي لم أخنه وأنا غائب عنه
أي وهو غائب عني أو ظرف أي بمكان الغيب وراء الأستار والأبواب المغلقة وأن الله لا يهدي
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده أو لا يهدي الخائنين بكيدهم فأوقع الفعل على الكيد مبالغة
وفيه تعريض براعيل في خيانتها زوجها وتوكيد لأمانته ولذلك عقبه بقوله وما أبرئ
نفسي أي لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد ذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل إظهار ما أنعم الله
عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لما قال ليعلم أني لم أخنه بالغيب
قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك إن النفس لأمارة بالسوء من حيث إنها بالطبع
مائلة إلى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح في أثرها كل الأوقات إلا ما رحم ربي
إلا وقت رحمة ربي أو إلا ما رحمه الله من النفوس فعصمه عن ذلك وقيل الاستثناء منقطع
أي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
وأضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الإدغام إن ربي غفور رحيم
يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالرحمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المقر على نفسه ما استغفر
ويرحمه ما استرحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي أجعله خالصا
لنفسي فلما كلمه أي فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء قال إنك اليوم لدينا
مكين ذو مكانة ومنزلة أمين مؤتمن على كل شيء روي أنه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف
ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إني أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره
ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يعرف سبعين
لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له
البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض إليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك
الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولد منها أفرائيم وميشا قال اجعلني
على خزائن الأرض ولني أمرها والأرض أرض مصر إني حفيظ لها ممن لا يستحقها عليم بوجوه
التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى أنه يستعمله في أمره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه
دليل على جواز طلب التولية وإظهار أنه مستعد لها والتولي من يد الكافر إذا علم أنه لا سبيل إلى إقامة
الحق وسياسة الخلق إلا بالاستظهار به وعن مجاهد أن الملك أسلم على يده وكذلك مكنا ليوسف
في الأرض أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء
بالنون نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع أجر المحسنين

بل نوفيهم

بل نوفيهم أجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه وجاء إخوة يوسف روي أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد
في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها
وتوجه إليه الناس فباعهم أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر
ثم بالدواب ثم بالضياع والعقارات ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الأمر على الملك فقال
الرأي رأيك فأعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب
عليه السلام بنيه غير بنيامين إليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون أي
عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إياه في سن الحداثة ونسيانهم إياه وتوهمهم
أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله التي فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام
ولما جهزهم بجهازهم أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤوا لأجله والجهاز ما يعد من الأمتعة
للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلد إلى آخر وما تزف به المرأة إلى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر
قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم روي أنهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم
عيون قالوا معاذ الله نحن بنو أب واحد وهو شيخ ضرير نبي من الأنبياء اسمه يعقوب قال
كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا إلى البرية فهلك فقال كم أنتم هاهنا قالوا عشرة قال
فأين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا هاهنا
من يشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم
فاقترعوا فأصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفس حملا فسألوا حملا زائدا لأخ لهم
من أبيهم فأعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون أني أوفي الكيل أتمه وأنا
خير المنزلين للضيف المضيفين لهم وكان أحسن إنزالهم وضيافتهم فإن لم تأتوني
به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون أي لا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو إما نهي
أو نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه أباه سنجتهد في طلبه من أبيه وإنا
لفاعلون ذلك لا نتوانى فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي
وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فإنه وكل
بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي اشتروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وإنما
فعل ذلك توسعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من
أن لا يكون عندهم ما يرجعون به لعلهم يعرفونها يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها إذا انقلبوا
إلى أهلهم وفتحوا أوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم إلى الرجوع فلما
رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين
فأرسل معنا أخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج إليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على
إسناده إلى الأخ أي يكتل لنفسه فينضم اكتياله إلى اكتيالنا وإنا له لحافظون عن أن يناله
مكروه قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وإنا

له لحافظون فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو
ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وانتصاب حفظا علي التمييز وحافظا قراءة حمزة والكسائي
وحفص يحتمله وللحال كقولهم لله دره فارسا وقري خير حافظ وخير الحافظين ولما فتحوا
متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقري ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الي الرا
نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد علي ذلك اكرمنا واحسن
مثوانا وباعنا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك الاحسان او لا نبتغي في القول ولا نزيد
فيما حكينا من احسانه وقري ما تبغي علي الخطاب اي اي شي تطلب وراء هذا الاحسان او من الدليل
علي صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقولهم ما نبغي ونمير اهلنا
معطوف علي محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الي الملك ونحفظ اخانا
عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت
ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان يكون الجمل معطوفة علي ما نبغي اي لا نبغي
فيما نقوله ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما
كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الي الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون
الاشارة الي كيل بعير اي ذلك شي قليل لا يعبا به الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب
ومعناه ان حمل بعير شي يسير لا يخاطر بمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما
رأيت حتي تؤتون موثقا من الله حتي تعطوني ما اوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله
لتأتنني به جواب القسم اذ المعني حتي تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا
فلا تطيقوا الملك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به علي
كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل علي ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون
من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولك اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب منك الا فعلك فلما
آتوه موثقهم عهدهم قال الله علي ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع
وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي
جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة
فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولي لانهم كانوا مجهولين حينئذ او كان الداعي اليها
خوفه علي بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه السلام في عوذته اللهم
اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة وعين لامة وما اغني عنكم من الله من شي
مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي
عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف
الجملة علي الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفا لافادة التسبب فان فعل
الانبياء سبب لان يقتدي بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة
في البلد ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم من الله من شي مما قضي عليهم كما قال يعقوب

فسرقوا

فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة علي يعقوب الا حاجة
في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحرازته
ان يعانوا قضاها اظهرها ووصي بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك
قال وما اغني عنكم من الله من شي ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا علي يوسف آوي اليه اخاه ضم اليه بنيامين
علي الطعام او في المنزل وروي انه اضافهم فاجلسهم مثني مثني فبقي بنيامين وحيدا فبكي
وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه علي مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم
بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك
الهالك قال ومن يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال اني انا اخوك
فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا
يكال بها وقيل كانت تسقي الدواب بها ويكال فيها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقري
وجعل علي حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتي انطلقوا ثم اذن مؤذن نادي مناد
ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف او كان تعبية السقاية
والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون
والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله
عليه السلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصله فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض
تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
اي شي ضاع عنكم والفقد غيبة الشي عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقري تفقدون من
افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقري صاع وصوع بالفتح والضم
والعين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به
زعيم كفيل اؤديه الي من رده وفيه دليل علي جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل
قالوا تالله قسم فيه معني التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا
لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم علي براءة انفسهم لما عرفوا منهم
في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل علي فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم
الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق او السرق
او الصواع علي حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعائكم للبراءة قالوا جزاؤه من
وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا
كان شرع يعقوب وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفا لتضمنها معني
الشرط او جواب لها علي انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه علي اقامة الظاهر فيها مقام
الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ

بأوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء أخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها
اي السقاية والصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء أخيه وقرئ بضم الواو وقلبها همزة كذلك
مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه او اوحينا اليه ما كان ليأخذ أخاه في
دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان الكيد
إلا أن يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك والاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا
اي لكن اخذه بمشية الله واذنه نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذي علم
عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم
منه والجواب ان المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذي له
العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا إن يسرق
بنيامين فقد سرق أخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابرهيم
عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة
في وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت احق به في حكمهم وقيل كان
لابي امه صنم فسرقه وكسره والقاه في الجيف وقيل كان في البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل
فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم فكنها يوسف ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة
او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير ويفسرها قوله قال أنتم شر مكانا
فانه بدل من اسرها والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا اي منزلة في السرقة بسرقتكم اخاكم او في
سوء الصنع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا
ضمير الشان والله أعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا أيها
العزيز إن له أبا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا عليه فخذ
أحدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستانس به إنا نراك من المحسنين
الينا فاتمم احسانك او من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله أن نأخذ
إلا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدا مكانه إنا
إذا لظالمون في مذهبكم هذا او ان مراده ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله
لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف
واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة خلصوا اعتزلوا وانفردوا نجيا متناجين
وانما وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هو صديق وجمعه انجية كندي واندية قال
كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون وقيل يهودا ألم تعلموا أن أباكم
قد أخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه
وتأكيد من جهته ومن قبل من قبل هذا ما فرطتم في يوسف قصرتم في شانه وما مزيدة
ويجوز ان تكون مصدرية في موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين
العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره في يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر

من قبل

من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان يكون موصوله
اي ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن أبرح الأرض فلن
افارق ارض مصر حتى يأذن لي أبي في الرجوع أو يحكم الله لي او يقضي لي بالخروج منها
او بخلاص اخي منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روي انهم كلموا العزيز في اطلاقه فقال روبيل
ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده وخرجت
من ثيابه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب اذا غضب احدهم فمسه الاخر
ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان في هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب وهو خير الحاكمين
لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق على ما شاهدنا
من ظاهر الامر وقرئ سرق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه إلا بما علمنا بان راينا
ان الصواع استخرج من وعائه وما كنا للغيب حافظين فلا ندري انه سرق او سرق
ودس الصاع في رحله وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انك
تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التي كنا فيها يعنون مصرا او قرية بقربها لحقهم
المنادي فيها والمعنى ارسل اليها واسألهم عن القصة والعير التي أقبلنا فيها واصحاب العير التي
توجهنا فيهم وكنا معهم وإنا لصادقون تأكيد في محل القسم قال بل سولت اي فلما رجعوا
الى ابيهم وقالوا له ما قال لهم اخوهم قال بل سولت اي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمرا
اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اي فامري
صبر جميل اي فصبر جميل اجمل عسى الله أن يأتيني بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذي
توقف بمصر إنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم في تدبيره وتولى عنهم واعرض عنهم كراهة
لما صادف منهم وقال يا أسفى على يوسف اي يا اسفى تعالى فهذا اوانك والاسف اشد الحزن
والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تاسف دون اخوته والحادث رزؤهما لان رزيه كان قاعدة
المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفي الحديث لم يعط امة
من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين
اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن
كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمي وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف
والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له في قلبه
لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل
كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها في جوفه
قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف اي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجعا فحذف لا كما في قوله فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه

علامة الاثبات كان علي النفي **حتي تكون حرضا** مريضا مشرفا علي الهلاك وقيل الحرض الذي اذا به
هم اومرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يونث ولا يجمع والنعت بالكسر كويف وريف وقد قري به
وبضمتين كجبب **او تكون من الهالكين** من الميتين **قال انما اشكو بثي وحزني** همي الذي
لا اقدر علي الصبر عليه من البث بمعني النشر **الي الله** لا الي احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي
واعلم من الله من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجي اليه او من الله بنوع
من الالهام **ما لا تعلمون** من حياة يوسف انه لا يموت حتي يخر له اخوته سجدا **يا بني اذهبوا**
فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا خبرهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس طلب
الاحساس **ولا تيأسوا من روح الله** لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقري من روح اي
من رحمته التي يحيي بها العباد **انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون**
بالله وصفاته فان العارف لا يقنط من رحمته في شي من الاحوال **فلما دخلوا عليه**
قالوا يا ايها العزيز بعد ما رجعوا الي مصر رجعة ثانية **مسنا واهلنا الضر**
شدة الجوع **وجينا ببضاعة مزجاة** ردية او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته
اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر
وحبة الخضرا وقيل الاقط وسويق المقل **فاوف لنا الكيل** فاتم لنا الكيل **وتصدق علينا**
بنينا صلي الله عليه وسلم **ان الله يجزي المتصدقين** احسن الجزا والتصدق التفضل
مطلقا ومنه قوله عليه السلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
لكن اختص عرفا بما يبتغي به ثواب من الله **قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه** اي
هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتي كان لا يستطيع
ان يكلمهم الا بعجز وذلة **اذ انتم جاهلون** قبحه فلذلك اقدمتم عليه اوعاقبته وانما قال
ذلك تنصحا لهم وتحريضا علي التوبة وشفقة عليهم لما راي من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا
وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكر والده ما هو فيه من الحزن علي فقد يوسف
واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينيذ صبيانا طيا شين
قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام عليه وقرا ابن كثير علي الايجاب
قيل عرفوه بروياه وشمايله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن راسه
فراوا علامة بقرنه شبيه الشامة البيضا وكانت لسارة ويعقوب مثلها **قال انا يوسف**
وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما له وادخالا له في قوله **قد من الله**
علينا اي بالسلامة والكرامة **انه من يتق** اي يتق الله **ويصبر** علي البليات او علي الطاعات
وعن المعاصي **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه علي
ان المحسن من جمع بين التقوي والصبر **قالوا تالله لقد اثرك الله علينا** اختارك علينا
بحسن الصورة وكمال السيرة **وان كنا لخاطئين** والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا
معك **قال لا تثريب عليكم** لا تانيب عليكم من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش والامعاء للازالة كالتجليد فاستعير

للتقريع

للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه **يغفر الله لكم** متعلق بالتثريب او بالمقدر
للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعني لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بساير الايام او بقوله
يغفر الله لانه صفح عن جريمتهم حينيذ واعترفوا بها حينيذ **وهو ارحم الراحمين** فانه يغفر
الصغاير والكباير ويتفضل علي التايب ومن كرم يوسف انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك
تدعونا بالبكرة والعشي الي الطعام ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا
ينظرون الي بالعين الاولي ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم عليه السلام **اذهبوا**
بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ **فالقوه**
علي وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا اي يصير ذا بصر **واتوني** انتم وابي **باهلكم**
اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم **ولما فصلت العير** من مصر وخرجت عن عمرانها **قال**
ابوهم لما حضره **اني لاجد ريح يوسف** اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل
اليه يهودا من ثمانين فرسخا **لولا ان تفندون** تنسبوني الي الفند وهو نقصان عقل يحصل
من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره
لصدقتموني او لقلت انه قريب **قالوا** اي الحاضرون **تالله انك لفي ضلالك القديم** لفي ذهابك
عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقايه **فلما ان جاء البشير**
يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ اليه فافرحه بحمل هذا اليه **القاه علي وجهه**
طرح البشير القميص علي وجه يعقوب او يعقوب نفسه **فارتد بصيرا** عاد بصيرا لما انتعش
من القوة **قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون** من حياة يوسف وانزال الفرج
وقيل اني اعلم كلام مبتدا والمقول لا تياسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف **قالوا يا ابانا**
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بالذنب ان يصفح عنه ويسال له المغفرة
قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الي السحر او الي صلاة الليل او الي
ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الي ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفي عنهم فان عفو
المظلوم شرط المغفرة ويويده ما روي انه استقبل القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه
يومن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتي نزل جبريل وقال ان الله تعالي قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك علي النبوة وهو ان صح فدليل علي نبوتهم وان ما صدر عنهم
كان قبل استنبايهم **فلما دخلوا علي يوسف** روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه
بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر
اثنين وسبعين رجلا وامراة وكان حين خرجوا مع موسي ستماية الف وخمسماية وبضعا وسبعين
رجلا سوي الذرية والهرمي **اوي اليه ابويه** ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام
كتنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابايك ابرهيم واسمعيل واسحق او لان يعقوب تزوجها
بعد امه والرابة تدعي اما **وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين** من القحط واصناف

المكاره والمشية متعلقة بالدخول المكيف بالامر والدخول الاول كان في موضع خارج البلد
حين استقبلهم ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود
عندهم كان يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما وقال يا ابت هذا
تاويل رؤياي من قبل التي رايتها ايام الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو
من البادية لانهم كانوا اصحاب مواشي واهل البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ الرايض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف
لما يشاء لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وينفذ فيه مشيته ويتسهل دونها انه هو
العليم بوجوه المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شي في وقته وعلى وجه يقتضي الحكمة
روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما دخل خزانة القرطاس قال يا بني ما
اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال
انت ابسط مني اليه فساله فقال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا
خفتني رب قد اتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث
الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التاويل فاطر السموات والارض مبدعهما
وانتصابه على انه صفة المنادي او منادي براسه انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا
والاخرة او الذي متولاني فيهما بالنعمة توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من ابائي او
لعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي
واوصى ان يدفن بالشام الي جنب ابيه فذهب به ودفنه ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة
ثم تاقت نفسه الي الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله تعالي طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه
حتى هموا بالقتال فراوا ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل
الي مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الي مدفن ابائه وكان عمره مائة وعشرين سنة
وقد ولد له من راعيل افرايم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امراة ايوب ذلك اشارة
الي ما ذكر من نبا يوسف والخطاب فيه للرسول وهو مبتدا من انباء الغيب نوحيه
اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما
والمعنى ان هذا النبا غيب لم تعرفه الا بالوحي لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا
به من ان يجعلوه في غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه حين ارسلوه معهم ومن المعلوم الذي
لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء
بذكره من غير هذه القصة لقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس
ولو حرصت على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات عليهم بمؤمنين بعنادهم وتصميمهم على الكفر
وما تسئلهم عليه على الانباء والقران من اجر جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا

ذكر

ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من اية وكم من اية والمعنى وكاي عدد شئت
من الدلايل على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض
يمرون عليها على الاية ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون
بها وقري والارض بالرفع على انه مبتدا خبره يمرون فيكون لها الضمير في عليها وبالنصب
على ويطئون الارض وقرى والارض يمشون عليها اي يترددون فيها فيرون اثار الامم الهالكة
وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة
غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او نسبة التبني اليه تعالى او القول بالنور والظلمة او النظر
الي الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية في مشركي مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا
ان تاتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة
فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه
سبيلي يعني الدعوة الي التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعوا الي
الله وقيل هو حال من اليا على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عميا انا تاكيد للمستكن في
ادعوا او على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين
وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا
لانزل ملائكة وقيل معناه نفي استنباء النساء نوحي اليهم كما نوحي اليك ويميزوا بذلك عن
غيرهم وقرا حفص نوحي في كل القران ووافقه حمزة والكسائي في الحرف الثاني في سورة الانبياء
وحمزة والكسائي يميلانه على اصلهما ههنا وفي النحل والاول من الانبياء من اهل القرى
لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من
المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الاخرة ولدار الحال
او الساعة او الحياة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصي افلا تعقلون
فيستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله
قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل غاية محذوف دل عليه
الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم
في الدنيا او عن ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم
قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل
الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل
الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم
من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم
الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد
به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرا غير الكوفيين بالتشديد اي فظن الرسل

ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناىا للفاعل اي ظنوا انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخي عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي
والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة علي انهم الذين يستاهلون ان يشا نجاتهم لا يشاركهم فيه
غيرهم وقرا ابن عامر وعاصم ويعقوب علي لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد باسنا
عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشتين لقد كان في قصصهم في قصص الانبيا
واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة عن شوايب الالف
والركون الي الحس ما كان حديثا يفتري ما كان القران حديثا يفتري ولكن تصديق
الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني
الا وله سند من القران بوسط او بغير وسط وهدي من الضلال ورحمة ينال بها خير
الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه عن النبي صلي الله عليه وسلم علموا ارقاكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه
القوة ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا
وهي خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم
واري تلك ايات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الي اياتها اي تلك الايات ايات السورة
الكاملة او القران والذي انزل اليك من ربك هو القران كله ومحله الجر بالعطف علي الكتاب
عطف العام علي الخاص او احدي الصفتين علي الاخري او الرفع بالابتدا وخبره الحق والجملة كالحجة
علي الجملة الاولي وتعريف الحق وان دل علي اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا
كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم
بالنظر والتامل فيه الله الذي رفع السموات مبتدا وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة
والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد
كرسل ترونها صفة للعمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم للسموات كذلك وهو دليل
علي وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها علي ساير الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها
بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني رجح بعض الممكنات علي بعض بارادته
وعلي هذا المنهاج ساير ما ذكر من الايات ثم استوي علي العرش بالحفظ والتدبير وسخر
الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة علي حد من السرعة تنفع في حدوث الكاينات
وبقايها كل يجري لاجل مسمي لمدة معينة يتم فيها ادوارها او لغاية مضروبة تنقطع دونها
سيره وهو اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام
والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الايات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلايل واحدا
بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي يتفكروا فيها ويتحققوا كمال قدرته فيعلموا
ان من قدر علي خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر علي الاعادة والجزا وهو الذي مد الارض
بسطها طولا وعرضا ليثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي

جبالا

جبالا ثوابت من رسي الشيء اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث علي انها صفة اجبل
او للمبالغة وانهارا ضمها الي الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب
لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اي وجعل
فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض
والصغير والكبير يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعدما كان
مضيئا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يغشّي بالتشديد ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل علي وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا
اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها
صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع
لافعاله علي وجه دون وجه لم يكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية
وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة
في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار
والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل
بالرفع عطفا علي وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة
الاصول وقرا حفص بالضم وهي لغة تميم كقنوان في جمع قنو تسقي بماء واحد ونفضل بعضها
علي بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورايحة وطعما وذلك ايضا مما يدل علي الصانع الحكيم
فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرا ابن عامر
وعاصم ويعقوب يسقي بالتذكير علي تاويل ما ذكر وحمزة والكسائي يفضل ليطابق قوله يدبر الامر
ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد
من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه فان من قدر علي انشاء ما قص
عليك كانت الاعادة ايسر شيء عليه والايات المعدودة كما هي دالة علي وجود المبدا فهي دالة علي
امكان الاعادة من حيث انها تدل علي كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته ائذا كنا
ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم او مفعول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا
لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته علي البعث واولئك الاغلال
في اعناقهم مقيدون بالاغلال لا يرجي خلاصهم او يغلون يوم القيامة واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا
ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء وقد خلت من قبلهم المثلات عقوبات امثالهم
من المكذبين فما لهم لا يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها
كالصدقة والصدقة والعقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت
الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفا العين

والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات على انها جمع مثله كركبه وركبات وَإِنَّ رَبَّكَ
لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة
والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التايب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم
بالصغاير المكفرة لمجتنب الكباير او اول المغفرة بالستر والامهال وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ
للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا احدا العيش
ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ
لعدم الاعتداد بالايات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام إِنَّمَا
أَنْتَ مُنْذِرٌ مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوتك من جنس المعجزات
لا بما يقترح عليك وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى
الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته
بما ينزل عليه من الايات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضايه وقدره تنبيها
على انه قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد
وانه تعالى قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضايه عليهم بالكفر فقال اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ
كُلُّ أُنْثَى اي حملها او ما تحمله على انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ
وَمَا تَزْدَادُ وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا
وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان ولد
لاربع سنين واعلى عدد لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة وقال الشافعي
اخبرني شيخ باليمن ان امراتي ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده
وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين
ان تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام مجاز فانهما لله او لما فيها وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ بقدر
لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال
معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عَالِمُ الْغَيْبِ الغايب عن الحس وَالشَّهَادَةِ
الحاضر له الْكَبِيرُ العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شيء الْمُتَعَالِ المستعلي على كل شيء بقدرته
او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ في نفسه وَمَنْ
جَهَرَ بِهِ لغيره وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ طالب للخفا في مختفا بالليل وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ بارز يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من
في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذيب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخفيا
بالليل وسارب بالنهار والاية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله لَهُ لمن اسر
او جهر او استخفى او سرب مُعَقِّبَاتٌ ملايكة تعتقب في حفظه جمع معقبه من عقب مبالغة
اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب
فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب

او معقبه على تعويض الياء من احدى القافين مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ من جوانبه او من الاعمال
ما قدم واخر يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ من باسه حتى اذا اذنب بالاستمهال او الاستغفار او يحفظونه
من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل
الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه من توهمه من قضاء الله إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
من العافية والنعمة حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ
مِنْ وَالٍ ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراد الله محال هُوَ الَّذِي
يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا من اذاه وَطَمَعًا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف
اي ارادة خوف وطمع او التاويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذو او
اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه
وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ الغيم المنسحب في الهوا بما معه وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ
ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله
تعالى وكمال قدرته ملتبسين به بالدلالة على فضله ونزول نعمته وعن ابن عباس سال النبي
صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها
السحاب وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ من خيفة الله وجلاله وقيل الضمير للرعد وَيُرْسِلُ
الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ فيهلكه وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ حيث يكذبون رسول
الله عليه السلام فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس
ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او
للحال فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول
فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامر بغدة فمات
في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وَهُوَ شَدِيدُ
الْمِحَالِ المماحلة والمكايدة لاعدايه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف
استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال بمعنى المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول
او الحيلة على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز
ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد
لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ الدعا الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة
المجابة فان من دعاه اجابه ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة
الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تاويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله وكل دعاء
اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الاية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به
محال من الله واجابة لدعوة رسوله او دلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة

علي مجادلة رسول الله صلي الله عليه وسلم بحلول مجادلته بهم وتهديدهم باجابة دعوة الرسول
عليهم او بيان ضلالهم وفساد رايهم **والذين تدعون** اي والاصنام الذين تدعوهم المشركون
فحذف الراجع او والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة **من دونه** عليه **لا
يستجيبون لهم بشيء** من الطلبات **الا كباسط كفيه** الا استجابة كاستجابة من بسط
كفيه **الي الماء ليبلغ فاه** يطلب منه ان يبلغه **وما هو ببالغه** لانه جماد لا يشعر بدعائه
ولا يقدر علي اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوي دعائهم
لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشرب به فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين
وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل **ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها** يحتمل ان يكون السجود علي حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون
من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة **وظلالهم**
بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه
اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة وقوله **بالغدو والاصال**
ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او الحال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقلص
اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقني وقناة والاصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل
الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل **قل من رب السموات
والارض** خالقهما ومتولي امرهما **قل الله** اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب به **قل افاتخذتم من دونه** ثم الزمهم بذلك لان اتخاذهم
منكر بعيد عن مقتضي العقل **اولياء لا يملكون نفعا ولا ضرا** لا يقدرون ان يجلبوا اليها
نفعا او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون نفع الغير او دفع الضر عنه وهو دليل ثان
علي ضلالهم وفساد رايهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم **قل هل يستوي الاعمي
والبصير** المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل
المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع علي احوالكم **ام هل تستوي الظلمات والنور**
الشرك والتوحيد وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالياء **ام جعلوا لله شركاء** بل اجعلوا الله
والهمزة للانكار وقوله **خلقوا كخلقه** صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار **فتشابه الخلق
عليهم** خلق الله وخلقهم والمعني انهم اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتي يتشابه
عليهم فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله واستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء
عاجزين لا يقدرون علي ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق **قل الله خالق
كل شيء** لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب للعبادة ولازم استحقاقها ثم نفي
من سواه ليدل عليه قوله **وهو الواحد القهار** المتوحد بالالوهية الغالب علي كل شيء
انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادي منها
فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل الماء فيه بكثرته فاتسع فيه واستعمل

الجاري فيه وتنكيرها لان المطر ياتي علي تناوب بين البقاع **بقدرها** بمقدارها الذي علم الله
انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر **فاحتمل السيل زبدا** رفعه والزبد وضر
الغليان **رابيا** عاليا **ومما يوقدون عليه في النار** يعم الفلزات كالذهب والفضة
والحديد والنحاس علي وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه **ابتغاء حلية** طلب حلي **او متاع**
كالاواني والات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها **زبد مثله** اي ومما
يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرا حمزة والكسائي
وحفص بالياء علي ان الضمير للناس واضماره للعلم به **كذلك يضرب الله الحق والباطل**
مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذي ينزل من السماء فتسيل الاودية
علي قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منافعه
ويسلك بعضه في عروق الارض الي العيون والقني والابار وبالفلز الذي ينتفع به في صوغ الحلي واتخاذ
الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله ويبين ذلك
بقوله **فاما الزبد فيذهب جفاء** يجفاه اي يرمي به السيل والفلز المذاب وانتصابه
علي الحال وقرئ جفالا والمعني واحد **واما ما ينفع الناس** كالماء وخلاصة الفلز **فيمكث في الارض**
ينتفع به اهلها **كذلك يضرب الله الامثال** لايضاح المشتبهات **للذين استجابوا** للمؤمنين
الذين استجابوا **لربهم الحسني** الاستجابة الحسني **والذين لم يستجيبوا له** وهم الكفرة
واللام متعلقة بيضرب علي انه جعل ضرب المثل لشان الفريقين كضرب المثل لهما وقيل للذين
استجابوا خبر الحسني وهو المثوبة او الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره **لو ان لهم
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** وهو علي الاول كلام مبتدا لبيان مآل غير
المستجيبين **اولئك لهم سوء الحساب** وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه
لا يغفر منه شيء **وماواهم** مرجعهم **جهنم وبئس المهاد** المستقر والمخصوص بالذم
محذوف **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق** فيستجيب **كمن هو اعمي** اعمي
القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب
من المثل **انما يتذكر اولوا الالباب** ذوو العقول المبراة عن مشايعة الالف ومعارضة
الوهم **الذين يوفون بعهد الله** ما عقدوه علي انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين
قالوا بلي او ما عهد الله عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه من المواثيق
بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص **والذين يصلون ما امر الله ان
يوصل** من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء ويندرج في ذلك مراعاة حقوق
جميع الناس **ويخشون ربهم** وعيده عموما **ويخافون سوء الحساب** خصوصا فيحاسبون
انفسهم قبل ان يحاسبوا **والذين صبروا** علي ما تكرهه النفس ويخالفه الهوي **ابتغاء
وجه ربهم** طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما **واقاموا الصلوة** المفروضة **وانفقوا
مما رزقناهم** بعضه الذي وجب عليهم انفاقه **سرا** لمن لم يعرف بالمال **وعلانية** لمن عرف به

ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون
الحسنة السيئة فتمحها اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا او ما ينبغي ان يكون
مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتدا وان جعلت صفة لاولي
الالباب فاستيناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار
او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل بطنان الجنة
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ للفصل
بالضمير الاخر او مفعول معه والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهليهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم وتعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوفين بتلك
الصفات يقرن بعضهم ببعضهم لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم
والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع والملائكة يدخلون عليهم
من كل باب من ابواب المنازل ومن ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة
بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان
الخبر فاصل والباء للسببية او البدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم بفتح النون
والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفا وبغيره والذين ينقضون عهد الله يعني
مقابل الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون
ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل مكة
بالحياة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا
متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا
ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع
الزوال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق ورجع عن العناد
وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء
ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به
بل بادنى منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدا محذوف وتطمئن قلوبهم
بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر
دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر
الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدا خبره طوبى
لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى
ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني

ارسال

ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم تقدمتها امم ارسلوا اليهم
فليس ببدع ارسالك اليهم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي
اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالتبليغ للرحمن
الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمته وخصوصا ما انعم عليهم
بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت
في مشركي مكة حين قال لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي
امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي
ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن
او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها
او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت وجعلت انهارا وعيونا
او كلم به الموتى فتقراه او فتسمع فتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية
في التذكير والانذار لما آمنوا به لقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وقيل ان قريشا قالوا
يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذها بساتين وقطايع
او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام وابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا
فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم
يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله
الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر
على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين شكيمتهم
ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم مع ما راوا من احوالهم وذهب اكثرهم
الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرءوا افلم
يتبين وهو تفسيره وانما استعمل الياس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان المايوس عنه
لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان
معناه نفي هدي بعض الناس لعدم تعلق المشية باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره
افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية
تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها
وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالوا مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال يبعث السرايا فتغير حولهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا
للرسول فانه عليه السلام حل جيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى ياتي وعد الله
الموت او القيامة او فتح مكة ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولقد
استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملا ان يترك ملاءة من الزمان في دعة وأمن ثم اخذتهم
فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم أفمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير
او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس
كذلك وجعلوا لله شركاء استيناف او عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية اولم يوحدوه
وجعلوا اعطف عليه ويكون الظاهر فيه موضع المضمر للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله
قل سموهم تنبيها على ان هولاء الشركا لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا اهل لهم ما
يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة أم تنبئونه بل اتنبئونه وقرئ تنبئونه
بالتخفيف بما لا يعلم في الارض بشركا يستحقون العبادة لا يعلمهم او بصفات لهم يستحقونها
لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شيء أم بظاهر من القول ام تسمونها شركاء بظاهر من القول
من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادي على
نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا الاباطيل ثم جالوها او كيدهم
للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر
وصدوا بالفتح اي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله
يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الاخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من
الله من عذابه او من رحمته من واق حافظ مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي
مثل في الغرابة وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل
خبره تجري من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر او على حذف موصوف اي مثل
الجنة جنة تجري من تحتها الانهار او على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف
من الصلة أكلها دائم لا ينقطع ثمرها وظلها اي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس
تلك اي الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار
لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون
بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى
وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية من اليمن واثنين وثلاثون بالحبشة او عامتهم فانهم
كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واتباعهما من ينكر بعضه
وهو ما يخالف شرايعهم او ما يوافق ما حرفوه قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به
جواب للمنكرين اي قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل
لكم الى انكاره واما ما تنكرونه مما يخالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات
الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستيناف اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي
للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبيا فاما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف

بالاعصار

بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على
اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقايع بما تقتضيه الحكمة عربيا
مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت
اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد
ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب
عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا
من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هي لك وما
كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان يأتي باية تقترح عليه وحكم يلتمس منه
الا باذن الله فانه المليء بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت لكل وقت واحد حكم يكتب على العباد
ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب
الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا او يثبت ما رآه وحده في صميم قلبه وقيل يمحو
قوما ويثبت آخرين وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي
ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو
مكتوب فيه وإما نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك وكيف ما دارت الحال
أريناك بعض ما وعدناهم او توفيناك قبله فانما عليك البلاغ لا غير وعلينا الحساب
للمجازات لا عليك فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلايعه
اولم يروا انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله
يحكم لا معقب لحكمه لا راد له وحقيقته الذي يعقب الشيء بالابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كائن لا يمكن تغييره ومحل لا مع المنفي النصب على الحال اي يحكم نافذا حكمه وهو سريع
الحساب فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد ما عذبهم بالقتل والاجلاء في الدنيا وقد مكر الذين
من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين بهم فلله المكر جميعا اذ لا يؤبه بمكر دون مكره وانه
القادر على ما هو المقصود منه دون غيره يعلم ما تكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم
الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيث يأتيهم العذاب المعد له وهم في غفلة منه وهذا
كالتفسير لمكر الله بهم واللام يدل على المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما في الاضافة الى الدار
كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر
اي اهله وسيعلم من اعلمه اذا اخبره ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم
رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه تعالى اظهر من الادلة على رسالتي ما
يغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم
المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اي كفى بالذي

يستحق العبادة وبالذي يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيد بيننا وبينكم فيجزي الكاذب منا ويؤيده
قراءة من قرا ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول
ويجوز ان يكون مبتدا والظرف خبره وهو متعين للمناسبة وقرى ومن عنده علم على الحرف والبنا
للمفعول وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل
سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى **سورة ابرهيم
مكية وهي احدى وخمسون اية** بسم الله الرحمن الرحيم **الر كتاب** اي هو كتاب
انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ما تضمنه **من الظلمات** من انواع الضلال
الى النور الى الهدى **باذن ربهم** بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل
الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله **الى صراط العزيز الحميد** بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل او استينا ف على انه جواب لمن يسال عنه واضافة الصراط
الى الله اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب
سابله **الله الذي له ما في السموات وما في الارض** على قراءة نافع وابن عامر مبتدا وخبر
او خبر محذوف والذي صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان العزيز لانه كالعلم لاختصاصه
بالمعبود على الحق **وويل للكافرين من عذاب شديد** وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات
الى النور والويل نقيض الوال وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه
لكنه رفع لافادة الثبات **الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة** يختارونها
عليها وان المختار للشي يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره **ويصدون عن سبيل الله**
بتعويق الناس عن الايمان وقرى ويصدون من اصد وهو منقول من صد صدودا اذا
انتكث وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية **ويبغونها عوجا**
ويبغون لها زيغا ونكوثا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول
بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع على انه مبتدا خبره **اولئك
في ضلال بعيد** اي ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به
فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته **وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه** الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم **ليبين لهم** ما امروا
به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان
يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا
ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن
ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة
منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرى بلسن
وهي لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمه وسكون على الجمع كعماد وعمد وقيل
الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وانه تعالى انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها

جبرئل

جبرئل او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده ليبين لهم فانه ضمير القوم والتورية
والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب **فيضل الله من يشاء** فيخذله عن الايمان **ويهدي
من يشاء** بالتوفيق له **وهو العزيز** فلا يغالب على مشيته **الحكيم** الذي لا يضل
ولا يهدي الا بحكمته **ولقد ارسلنا موسى باياتنا** يعني اليد والعصا وساير معجزاته
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اي اخرج لان في الارسال معنى القول او بان
اخرج فان صيغ الافعال سواء في الدلالة على المصدر فيصح ان توصل بها ان الناصبة **وذكرهم
بايام الله** بوقايعه التي وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمايه وبلايه **ان
في ذلك لايات لكل صبار شكور** يصبر على بلايه ويشكر لنعمايه عليه من الصبر او الشكر
وقيل المراد لكل مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المومنين **واذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون** اي اذكروا
نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك
اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال **يسومونكم
سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** احوال من ال فرعون او
من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه
مفسر بالتذبيح والقتل ثم وهو معطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب واستعبادهم
واستعمالهم بالاعمال الشاقة **وفي ذلكم** من حيث انه اقدار الله اياهم وامهالهم فيه **بلاء من
ربكم عظيم** ابتلاء منه ويجوز ان يكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة **واذ تاذن ربكم**
ايضا من كلام موسى عليه السلام وتاذن بمعنى اذن كتوعد واوعد غير انه ابلغ لما في التفعل
من معنى التكلف والمبالغة **لئن شكرتم** يا بني اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان
والعمل الصالح **لازيدنكم** نعمة الى نعمة **ولئن كفرتم ان عذابي لشديد** فلعلي اعذبكم
على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد
والجملة مفعول قول مقدر او مفعول تاذن على انه يجري مجرى قال لانه ضرب منه **وقال موسى
ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا** من الثقلين **فان الله لغني** عن شكركم **حميد**
مستحق للحمد في ذاته فانه محمود تحمده الملايكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران
الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد **الم ياتكم نبا الذين
من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** من كلام موسى او كلام مبتدا من الله **والذين
من بعدهم لا يعلمهم الا الله** جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على من قبله
ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله وكذلك قال ابن مسعود كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل
كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه او استهزاء عليه كمن غلبه الضحك
او اسكاتا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم

إنا كفرنا تنبيهاً علي ان لا جواب لهم سواه وردوها في افواه الانبيا التي هي مواعظهم وما اوحي
اليهم من الحكم والشرايع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها الي حيث جاءت
منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به علي زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا
اليه من الايمان وقري تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة وهو قلق النفس وان لا تطمئن
الي شي قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الاستفهام علي الظرف لان الكلام في المشكوك
فيه لا في الشك اي انما يدعوكم الي الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه
واشاروا الي ذلك بقوله فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف
يدعوكم الي الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم او يدعوكم الي المغفرة كقولك دعوتك لتنصرني
علي اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه
فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جي بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القران
يفرق بين الخطابين ولعل المعني فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة علي الايمان
وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول
الخروج عن المظالم ويؤخركم الي اجل مسمي الي وقت سماه الله وجعله اخر اعماركم قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تختصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث
الي البشر رسولا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا
بهذه الدعوة فاتونا بسلطان مبين يدل علي فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية او علي
صحة ادعائكم النبوة كانهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم اية اخري
تعنتا او لجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن
علي من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله
ومنه عليهم وفيه دليل علي ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجايزات علي بعض بمشيته تعالي
وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالايات ولا تستبد
به استطاعتنا حتي ناتي بما اقترحوه وانما هو امر متعلق بمشية الله فيخص كل نبي بنوع من الايات
وعلي الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه بالصبر علي معاندتكم ومعاداتكم عموا الامر
للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الا تري قوله وما لنا ان لا نتوكل علي الله
اي اي عذر لنا وان نتوكل وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرا
ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن علي ما اذيتمونا جواب قسم محذوف
اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلي الله فليتوكل المتوكلون
فليثبت المتوكلون علي ما استحدثوه من توكلهم المثبت علي ايمانهم وقال الذين كفروا
لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا علي ان يكون احد
الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الي ملتهم وهو بمعني الصيرورة لانهم لم يكونوا علي ملتهم
قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن امن معه فغلبوا الجماعة علي الواحد فاوحي

اليهم

اليهم ربهم اي الي الرسل لنهلكن الظالمين علي اضمار القول او اجراء الايحا مجراه لانه
نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اي ارضهم وديارهم كقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقري ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحي كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الي الموحي به وهو اهلاك
الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد
للحكومة يوم القيامة او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف
وعيد اي وعيدي بالعذاب او عذابي الموعود للكفار واستفتحوا سالوا من الله
الفتح علي اعدائهم او القضا بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة لقولك ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وهو معطوف علي فاوحي والضمير للانبيا وقيل للكفرة وقيل للفريقين
فان كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقري بلفظ الامر عطفا علي ليهلكن وخاب
كل جبار عنيد اي نفتح فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر علي الله معاند للحق فلم
يفلح ومعني الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورايه
جهنم اي من بين يديه فانه مرصد بها واقف علي شفيرها في الدنيا مبعوث اليها في الاخرة
وقيل من وراء حياته وحقيقته ما تواري عنك ويسقي من ماء عطف علي محذوف
تقديره من ورايه جهنم يلقي فيها ما يلقي ويسقي من ماء صديد عطف بيان لماء وهو
ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة لماء او حال من الضمير في
يسقي ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول
عذابه والسوغ جواز الشراب علي الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل
مكان اي اسبابه من الشدايد تحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده
حتي من اصول شعره وابهام رجليه وما هو بميت فيستريح ومن ورايه
ومن بين يديه عذاب غليظ اي يستقبل في كل وقت عذابا اشد مما هو عليه
وقيل هو الخلود في النار وقيل حبس الانفاس وقيل الاية منقطعة عن قصة الرسل
نازلة في اهل مكة طلبوا الفتح الذي هو المطر في سنيهم التي ارسل الله بدعوة رسوله
فخيب رجاهم فلم يسقهم ووعد لهم ان يسقيهم في جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار
مثل الذين كفروا بربهم مبتدا خبره محذوف اي فيما يتلي عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة
او قوله اعمالهم كرماد وهو علي الاول جملة مستانفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل
من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته وأسرعت الذهاب به وقرا نافع
الرياح في يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به اليوم للمبالغة كقولهم
نهاره صايم وليله قايم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف
وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنايها علي غير اساس من معرفة الله والتوحيد
بها اليه واعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما

كسنوا على شيء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل **ذلك** اشارة الى
ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون **هو الضلال البعيد** فانه الغاية في البعد عن طريق الحق
الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين **ان
الله خلق السموات والارض بالحق** بالحكمة والوجه الذي يحق ان يخلق عليه وقرا حمزة والكسائي
خالق السموات **ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد** يعدمكم ويخلق خلقا اخر مكانكم
رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما
يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق اخر ولم يمتنع
عليه كما قال **وما ذلك على الله بعزيز** بمتعذر او متعسر فانه تعالى قادر بذاته لا اختصاص
له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شانه كان حقيقا بان يومن به ويعتد رجا لثوابه وخوفا
من عقابه يوم الجزا **وبرزوا لله جميعا** اي يبرزون يوم القيامة من قبورهم لامر الله ومحاسبته او لله
على ظنهم فانهم كانوا يخفين ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله فاذا كان يوم القيامة
انكشفوا لله عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق وقوعه **فقال الضعفاء** الاتباع
جمع ضعيف يريد به ضعاف الراي وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها
الى الواو **للذين استكبروا** لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم **انا كنا لكم
تبعا** في التكذيب للرسل والاعراض عن نصايحهم وهو جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به
للمبالغة او على اضمار مضاف **فهل انتم مغنون عنا** دافعون عنا **من عذاب الله من
شيء** من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
الشيء الذي هو عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
ما سبق ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا بعض العذا
بعض الاغنا **قالوا** اي الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم
لو هدانا الله للايمان ووفقنا له **لهديناكم** ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا
لكم ما اخترنا لانفسنا ولو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم
كما عرضناكم له ولكن سد دونا طريق الخلاص **سواء علينا اجزعنا ام صبرنا**
مستويان علينا الجزع والصبر **ما لنا من محيص** منجا ومهرب من العذاب من الحيص
وهو العدول على جهة الفرار ويحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون
قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسماية عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا
وقال الشيطان لما قضي الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار خطيبا في الاشقياء من الثقلين **ان الله وعدكم وعد الحق** وعدا من
حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزا **ووعدتكم** وعد الباطل وهو ان لا بعث
ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم **فاخلفتكم** جعل تبين خلف وعده كالاخلاف

منه **وما كان لي عليكم من سلطان** تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصي **الا ان دعوتكم**
الا دعائي اياكم اليها بتسويلي وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا **فاستجبتم لي** اسرعتم اجابتي **فلا تلوموني**
بوسوستي فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك **ولوموا انفسكم** حيث اطعتموني
اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم احتجت المعتزلة بامثال ذلك على استقلال العبد
بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفي لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما في فعله وهو
الكسب الذي يقوله اصحابنا **ما انا بمصرخكم** بمغيثكم من العذاب **وما انتم بمصرخي**
بمغيثي وقرا حمزة بكسر الياء على الاصل في التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض في مثله لما فيه من
اجتماع يائين وثلاث كسرات مع حركة ياء الاضافة الفتح اذا لم تكسر وقبلها الف فالحرى ان لا تكسر
وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على الاضافة اجرى الياء مجرى الهاء والكاف في ضربته واعطيتكه
وحذف الياء اكتفاء بالكسرة **اني كفرت بما اشركتمون من قبل** ما اما مصدرية ومن متعلقة
باشركتمون اي كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا بمعنى تبرأت منه
واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما في قولهم سبحان
ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اي كفرت بالذي اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياي
فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود
لادم واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان **ان الظالمين لهم عذاب اليم**
تتمة كلام الشيطان او ابتداء كلام من الله تعالى وفي حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ
لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم **وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم** باذن الله وامره والمدخلهم
الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله **تحيتهم فيها سلام** اي
تحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم **الم تر كيف ضرب الله مثلا** كيف اعتمده ووصفه **كلمة
طيبة كشجرة طيبة** اي جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهي تفسير لقوله ضرب الله مثلا
ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون
اول مفعولي ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء **اصلها ثابت** في الارض
ضارب بعروقه فيها **وفرعها** واعلاها **في السماء** ويجوز ان يريد فروعها اي افنانها على الاكتفا
بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه
اقوى ولعل الثاني ابلغ **تؤتي اكلها** تعطي ثمرها **كل حين** وقته الله لاثمارها **باذن ربها** بارادة
خالقها وتكوينه **ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون** لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني وادناء لها من الحس **ومثل كلمة خبيثة كشجرة** كمثل شجرة
خبيثة اجتثت استوصلت واخذت جثته بالكلية **من فوق الارض** لان عروقها قريبة
منها **ما لها من قرار** استقرار واختلف في الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد

ودعوة الاسلام والقران والكلمة الخبيثة بالاشراك بالله والدعا الي الكفر وتكذيب الحق
ولعل المراد بها يعم ذلك فالكلمة الطيبه ما اعربت عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة
ما كان علي خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروي ذلك مرفوعا وبشجرة
في الجنة والخبيثة بالحنظلة والسكوت ولعل المراد بهما ما يعم ذلك **يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ**
آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم **فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** فلا
يزولون اذا افتتنوا في دينهم كزكريا ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب
الاخدود **وَفِي الْآخِرَةِ** فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا تدهشهم
اهوال القيامة روي انه عليه السلام ذكر قبض روح المومن فقال ثم تعاد روحه في جسده
فياتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله
وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت **وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ** الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار علي التقليد
فلا يهتدون الي الحق ولا يثبتون في مواقف الفتن **وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** من تثبيت بعض
واضلال اخرين من غير اعتراض عليه **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا** اي
شكر نعمته كفرانا وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروا سلبت منهم فصاروا
تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته
ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلي الله عليه وسلم فكفروا ذلك وتقحطوا سبع سنين
واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلا فبقوا مسلوبي النعم موصوفين بالكفر وعن عمر وعلي هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو اميه فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو اميه فمتعوا
حتى حين **وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ** الذين شايعوهم في الكفر **دَارَ الْبَوَارِ** دار الهلاك بحملهم علي الكفر
جَهَنَّمَ عطف بيان لها **يَصْلَوْنَهَا** حال منها او من القوم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر
لفعل مقدر ناصبا لجهنم **وَبِئْسَ الْقَرَارُ** اي وبئس القرار جهنم **وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**
لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ الذي هو التوحيد وقرا ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح اليا
وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم في اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض بادخال اللام
قُلْ تَمَتَّعُوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التي يتمتع بها وفي التهديد بصيغة
الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الي المهدد به وان الامرين كاينان لا محالة
ولذلك علله بقوله **فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ** فان المخاطب لانهماكه فيه كالمامور به من امر
مطاع **قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا** خصهم بالاضافة تنويها بهم وتنبيها علي انهم المقيمون لحقوق
العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه اي قل لعبادي الذين امنوا اقيموا الصلوة وانفقوا
يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول
بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول
بهما وانما حسن ذلك هاهنا ولم يحسن في قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا الدلالة

قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة
ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا
سِرًّا وَعَلَانِيَةً منتصبان علي المصدر اي انفاق سر وعلانية او علي الحال اي ذوي سر
وعلانية او علي الظرف اي وقت سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء التطوع **مِنْ**
قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدي به نفسه
وَلَا خِلَالٌ اي ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه بمبايعة
ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرا ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح
فيهما علي النفي العام **اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ** مبتدا وخبره **وَأَنْزَلَ**
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ تعيشون فيه وهو يشمل
المطعوم والملبوس ورزقا مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له او حال ويحتمل عكس ذلك
ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج في معنى رزق **وَسَخَّرَ**
لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ بمشيته الى حيث توجهتم **وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ**
فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشيا تعليم كيفية اتخاذها **وَسَخَّرَ**
لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ يدابان في سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يتعاقبان لاسباتكم ومعاشكم **وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ**
اي بعض جميع ما سألتموه يعني من كل شي سالتموه شيا فان الموجود من كل صنف بعض ما في قدرة
الله تعالي ولعل المراد بما سالتموه ما كان حقيقا بان يسال لاحتياج الناس اليه سيل او لم
يسال وما يحتمل ان يكون موصولة وموصوفة ومصدرية ولكون المصدر بمعني المفعول
وقري من كل بالتنوين واتاكم من كل شي ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال ويجوز ان يكون
ما نافية في موقع الحال اي واتاكم من كل شي غير سايليه **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**
لا تحصوها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل علي ان
المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة **إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ** يظلم النعمة باغفال شكرها
او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمات **كَفَّارٌ** شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو
ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ** بلد مكة **آمِنًا**
ذا امن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا البلد امنا ان المسئول في الاول ازالة الخوف
عنه وتصييره امنا وفي الثاني جعله من البلاد الامنة **وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ** بعدني واياهم
أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ واجعلنا منها في جانب وقرى واجنبني وهما علي لغة نجد واما اهل الحجاز
فيقولون جنبني شره وفيه دليل علي ان عصمة الانبيا بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو
بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينه ان اولاد اسماعيل لم يعبدوا الاصنام
محتجا بها وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث
ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ** فلذلك سالت

سلب العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية
كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا **فمن تبعني** على ديني **فإنه مني** اي بعض
لا ينفك عني في امر الدين **ومن عصاني فإنك غفور رحيم** تقدر ان
تغفر له وترحمه ابتدا او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب
فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد فرق بينه وبين غيره **ربنا إني**
أسكنت من ذريتي اي بعض ذريتي اي ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم
اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم **بواد غير ذي زرع**
يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت **عند بيتك المحرم** الذي حرمت التعرض له والتهاون
به ولم يزل معظما ممنوعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه روي ان هاجر
كانت لسارة فوهبتها لابرهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل فغارت عليهما فناشدته
ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا الطيور فقالوا
لا طير الا على الما فقصدوها وعندهما عين فقالوا اشركينا في مائك نشركك في الباننا
ففعلت **ربنا ليقيموا الصلوة** اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا
الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكريرا لندا وتوسيطه
للاشعار بانها المقصودة بالذات الدعا لهم باقامة الصلوة كانه طلب لهم الاقامة وسال
من الله ان يوفقهم لها **فاجعل أفئدة من الناس** اي افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض
ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليه فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى
او للابتدا كقولك القلب مني سقيم اي افئدة ناس وقرا هشام افييدة بخلف عنه بيا بعد الهمزة
افئدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئد كادر في ادور وان يكون اسم الفاعل من افدت الرحلة
اذا عجلت اي جماعة يعجلون نحوهم وافيدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها
بين بين ويجوز ان يكون من افد **تهوي إليهم** تسرع اليهم شوقا ووداد وقرئ تهوى على البنا
للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوي من هوي يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع
وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه **لعلهم يشكرون** تلك النعمة
فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء حتى توجد فيه الفواكه الربيعية
والصيفية والخريفية **ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن** تعلم سرنا كما تعلم علانيتنا
والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا لانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك
اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة
وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والالتجا الى الله
وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي
نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق **الحمد لله الذي وهب لي على الكبر** اي وهب لي
وانا كبير السن عن الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيه من الاية **إسمعيل**

وإسحق روي انه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتي عشرة **إن ربي**
لسميع الدعاء اي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله على المجاز
وفيه اشعار بانه دعا ربه تعالى وسأله الولد فاجابه ووهب له سؤله حين وقع
الياس منه ليكون من اجل النعم واجلاها **رب اجعلني مقيم الصلوة** معدلا لها
مواظبا عليها **ومن ذريتي** عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله
تعالى او لاستقرا عادته في الامم الماضية ان يكون في ذريته كفار **ربنا وتقبل دعاء**
واستجب دعائي او وتقبل عبادتي **ربنا اغفر لي ولوالدي** وقرئ لابوي وقد تقدم
عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما ادم وحوا **وللمؤمنين يوم يقوم الحساب** يثبت مستعار
من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند
اليه قيامهم مجازا **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** خطاب لرسول الله والمراد
تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعد بانه
معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله
وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **إنما يؤخرهم** يؤخر عذابهم وعن ابي عمرو بالنون
ليوم تشخص فيه الأبصار اي تشخص فيه ابصارهم فلا تقر في اماكنها **مهطعين** مسرعين
الى الداعي او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة الاقبال على الشيء **مقنعي رءوسهم**
رافعيها **لا يرتد إليهم طرفهم** بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا
الى انفسهم **وأفئدتهم هواء** خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه
يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل
خالية عن الخير خاوية عن الحق **وأنذر الناس** يا محمد **يوم يأتيهم العذاب** يعني يوم القيمة
او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر **فيقول الذين ظلموا** بالشرك والتكذيب
ربنا أخرنا إلى أجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان
قريب او اخر اجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك **نجب دعوتك ونتبع**
الرسل جواب الامر ونظيره لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين **أولم تكونوا**
أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جا بلفظ الخطاب
على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا
وغرورا او دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى
وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى لقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من
يموت **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم** بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل
سكن ان يعدى بفي ككفر وغني واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجري مجراه كقولك سكنت الدار
وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدون في منازلهم من اثار وما نزل بهم وما تواتر عندكم

من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اي بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب
اوصفات ما فعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ
فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عند الله فعله فهو
مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة
لتزول منه الجبال مسوي لازالة الجبال ويقال ان نافية واللام مؤكدة لها لقوله وما كان
الله ليعذبهم وعلي ان الجبال مثل لامر النبي صلي الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة
والمعني انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من ايات الله وشرايعه وقري
لتزول بالفتح والرفع علي انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناها تعظيم مكرهم وقري بالفتح
والنصب علي لغة من يفتح لام كي وقري وان كان مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده
رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده
فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف
وعده احدا كيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لاوليايه من اعدايه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم ياتيهم او ظرف للانتقام او
مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات
عطف علي الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم
بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصور كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت
شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والاية تحتملهما وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من
فضة والسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس علي ارض بيضا لم يخط عليها احد
خطيئة وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير صفتها ويدل عليه ما روي ابو هريرة رضي الله عنه
انه عليه السلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا تري فيها عوجا ولا امتا
واعلم انه لا يلزم علي الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسما علي الحقيقة ولا يبعد علي الثاني
ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة علي ما اشعر به قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله
ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه
تعالي بالوصفين للدلالة علي ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
فان الامر اذا كان لواحد غالب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الي غيره ولا مستجار وتري المجرمين
يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقايد والاعمال كقوله واذا
النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقايد الزايغة والملكات الباطلة
او قرنت ايديهم وارجلهم الي رقابهم في الاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمواخذتهم علي ما اقترفته ايديهم
وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال
سلامة بن جندل وزيد الخيل فرلاتي صفادا يعض بساعد ويعظ ساق واصله الشد سرابيلهم
قمصانهم من قطران وجا قطران لغتين فيه وهو ما يحلب بالابل فيلطخ به الابل الجرب فيحرق

الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلي به جلود اهل النار حتي يكون
طلاه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم
علي ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط
بجوانب النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والالام وعن
يعقوب قطران والقطر النحاس او الصفر المذاب والاني المتناهي حره والجملة حال من الله او
حال من الضمير في مقرنين وتغشي وجوههم النار اي وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الي
الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع علي افيدتهم
لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة
وقوله تعالي يوم يسحبون في النار علي وجوههم ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك
ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا تبين ان المجرمين
يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون بطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا
ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب هذا اشارة الي القران او
السورة او ما فيه من العظة والتذكير او ما وصفه من قوله ولا تحسبن بلاغ للناس
كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف علي محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا
البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل
اولي وقري بفتح اليا من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد
بالنظر والتامل فيما فيه من الايات الدالة عليه والمنبهة علي ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب

لباب

فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوايد
هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل للرسل وللناس واستكمال القوة النظرية التي منتهي
كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية التي هي التدرع بلباس التقوي جعلنا الله
من الفايزين بها وعن النبي صلي الله عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات
بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون اية
بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب وقران مبين الاشارة
الي ايات السورة والكتاب هو السورة وكذا القران وتنكيره للتفخيم اي الجامع للايات لكونه
كتابا كاملا وقرانا يبين الرشد من الغي بيانا عربيا ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند حلول النصر او حلول الموت او يوم القيامة
وقرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقري ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء
وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التانيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز
دخوله علي الفعل وحقه ان يدخل علي الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالي كالماضي في تحققه
اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى
التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعون اليه فكيف

وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان جاءت منهم افاقة في بعض الاوقات
تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن **ذرهم** دعهم
يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم **ويلههم الامل** يشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد **فسوف يعلمون** سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض
اقناط الرسول من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل
تحته وفيه الزام الحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل **وما اهلكنا من قرية**
الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل
ان لا يدخلها الواو كقوله الا لها منذرون لكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها
تاكيدا للصوقها بالموصوف **ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون** اي وما يستأخرون
عنه وتذكير ضمير امة فيه للحمل على المعنى **وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر** نادوا به
النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوا له وهو قوله **انك لمجنون** ونظير ذلك
قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله
نزل عليك الذكر اي القران **لو ما تأتينا** ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود
غيره والتحضيض **بالملائكة** ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون
معه نذيرا وللعقاب على تكذيبنا لك كما اتى الامم المكذبة قبل **ان كنت من الصادقين** في
دعوتك **ما تنزل الملائكة** بالتاء مسندا الى ضمير اسم الله تعالى وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بالنون وابو بكر بالياء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل **الا بالحق** الا تنزيلا
ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان يأتيكم صورة تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان
وقيل الحق الوحي او العذاب **وما كانوا اذا منظرين** اذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر اي
ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين **انا نحن نزلنا الذكر** رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك
اكده من وجوه وقرره بقوله **وانا له لحافظون** اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه
معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على اهل اللسان او نفي تطرق الخلل اليه في
الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير في له للنبي عليه السلام
ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على
طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى
نبأنا رجالا منهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم **وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون**
كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال او ماضيا
قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية **كذلك نسلكه** ندخله **في قلوب المجرمين**
والسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في المخيط والرمح في المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل
على انه تعالى يوجد الباطل في قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر في قوله **لا يؤمنون به** له

وهو حال

وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر في قلوب المجرمين مكذبا
غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب
الضمائر توافقها في المرجوع اليه ولا يتعين ان يكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان يكون
الجملة حالا من المجرمين ولا ينافي كونها مفسرة للمعنى الاول بل تقويه **وقد خلت سنة**
الاولين اي سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر في قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل
منهم فيكون وعيدا لاهل مكة **ولو فتحنا عليهم** على هؤلاء المقترحين **بابا من السماء**
فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين
لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم **لقالوا** من غلوهم في العناد وتشكيكهم
في الحق **انما سكرت ابصارنا** سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل
عليه قراءة من قرأ سكرت **بل نحن قوم مسحورون** قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند
ظهور غيره من الايات وفي كلمتي الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة
له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر **ولقد جعلنا في السماء بروجا** اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء **وزيناها** بالاشكال والهيئات
البهية **للناظرين** المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها **وحفظناها**
من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف في امرها
ويطلع على احوالها **الا من استرق السمع** بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه
سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة في الجوهر
او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا
يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم
منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيها تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر
وقيل الاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع **فاتبعه** فتبعه ولحقه **شهاب مبين**
ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيها
من البريق **والارض مددناها** بسطناها **والقينا فيها رواسي** جبالا ثوابت **وانبتنا**
فيها في الارض او فيها وفي الجبال **من كل شيء موزون** مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته
او مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن في ابواب النعمة
والمنفعة **وجعلنا لكم فيها معايش** تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ
بالهمز على التشبيه بشمائل **ومن لستم له برازقين** عطف على معايش او على محل لكم
والمراد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم
واياهم وفذلكة الاية الاستدلال بجعل الارض بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء في الوضع محدثة
فيها انواع النبات والحيوان المختلف خلقه وطبعه مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته
وتناهي حكمته والتفرد في الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم في ذلك ليوحدوه ويعبدوه

ثم بالغ في ذلك فقال وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ اي وما من شي الا ونحن قادرون
على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزاين مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته
بالاشيا المخزونة التي لا يحوج اخراجها الي كلفة واجتهاد وَمَا نُنَزِّلُهُ من بقاع القدرة إِلَّا
بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ حد تقتضيه الحكمة وتعلقت به المشية فان تخصيص بعضها بالايجاد في بعض الاوقات
مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ
حوامل شبه الريح التي جات بخير من السحاب ماطرا بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك
بالعقيم او ملقحات للشجر والسحاب ونظيره الطوايح بمعني المطيحات في قوله ومختبط
بما تطيح الطوايح وقرى وارسلنا الريح على تاويل الجنس فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ
فجعلناه لكم سقيا وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه
او حافظين في الغدران والعيون والابار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما يدل حركة
الهوي في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الما تقتضي
الغور فوقوفه دون حد لا بد له من سبب مخصص وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي بايجاد الحياة في بعض الاجسام
القابلة لها وَنُمِيتُ بازالتها وقد اول الحيوة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على
الحصر وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الباقون اذا مات الخلايق كلها وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ
مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ من استقدم ولادة وموتا ومن استاخر ومن خرج من
اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الي الطاعة وتاخر لا يخفى
علينا شي من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل
على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل
ان امراة حسنا كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر
اليها وتاخر بعض لينظر اليها فنزلت وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ لا محالة للجزاء وتوسط الضمير
للدلالة على انه القادر والمتولي لحشرهم لا غيره وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان
ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاسباب يدل على صحة ذلك في الحشر كما صرح به في قوله
إِنَّهُ حَكِيمٌ باهر الحكمة متقن في افعاله عَلِيمٌ وسع علمه كل شي وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ
مِن صَلْصَالٍ من طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل من صلصل اذا انتن تضعيف
صل مِّنْ حَمَإٍ طين تغير واسود من طول مجاورة الما وهو صفة صلصال او كاين من حما مَّسْنُونٍ
مصور ماخوذ من سنة الوجه اي مصبوب ييبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب
من السن وهو الصب كانه افرغ الحما فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل
ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته
به فانما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى سنينا وَالْجَانَّ ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد
به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة
واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ من قبل

خلق الانسان مِن نَّارِ السَّمُومِ من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحيوة
في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجسام المؤلفة التي
الغالب فيها الجز الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجز الارضي ومن في قوله من نار
باعتبار الغالب لقوله خلقكم من تراب ومساق الاية كما هي للدلالة على كمال قدرة الله
تعالى وبيان خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان
الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحيا إِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي
خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت
خلقته وهياته لنفخ الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي حتى جرى اثاره في تجاويف
اعضايه فيحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح تتعلق
اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري
حاملها في تجاويف الشرايين الي اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح
الي نفسه لما مر في سورة النسا فَقَعُوا لَهُ فاسقطوا له سَاجِدِينَ امر من
وقع يقع فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ اكد بتاكيدين للمبالغة في التعميم
ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين
دفعة واحدة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تاكيدا إِلَّا إِبْلِيسَ
ان جعل منقطعا اتصل به قوله أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ اي ولكن ابليس
ابي وان جعل متصلا كان استينافا على انه جواب سايل قال هلا سجد قَالَ يَا
إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ اي اي غرض لك في ان لا تكون مَعَ السَّاجِدِينَ
لادم قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ اللام لتاكيد النفي اي لا يصلح مني وينافي حالي ان اسجد لِبَشَرٍ
جسماني كثيف وانا ملك روحاني خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ
وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها واستنقص ادم باعتبار النوع والاصل
وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من السما او من الجنة
او من زمر الملايكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مطرود من رحمة الله ومن الخير والكرامة فان من
يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته
وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ هذا الطرد والابعاد إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ فانه منتهى امد اللعن
لانه يناسب ايام التكليف لا زمان الجزا وما في قوله فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله
على الظالمين بمعني اخر ينسي عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها
للناس او لانه يعذب فيه بما ينسي اللعن معه فيصير كالزايل قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي
فاخرني والفا متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم إِلَىٰ يَوْمِ
يُبْعَثُونَ اراد ان يجد فسحة في الاغوا او نجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث
فاجابه الي الاول دون الثاني قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ

المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز
ان يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات
فعبر عنه اولا بيوم الجزاء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع
التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من
ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث مع الخلائق في تضاعيفه وهذه
المخاطبة وان لم يكن بواسطة تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة
والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لازينن لهم
في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية
والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لادم عليه السلام
او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه
وتسليطه له على اغواء بني ادم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر
ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق
مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين
ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك
وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل
القران اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم
لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه
او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الي من غير اعوجاج وضلال وقرئ
علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين
ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له
سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا
وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين
وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تاكيد للضمير او حال
والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته
اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون منها لكثرتهم او طبقات ينزلونها
بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية
ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية
والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز

له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين
والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزء بضم
الزاي وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد
ثم اجري الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في المقسوم لان
الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش
فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما
لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة
التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن الاية وقرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام
وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة
القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين
او مسلما عليكم امنين من الافة والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او
في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان في الدنيا وعن علي
رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات
الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير
في امنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر
متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين
او يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استيناف
او حال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام
النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه
لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران
والرحمة دون التعذيب ترجيح للوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف
ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون
وذلك انهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل هو اضطراب
النفس لتوقع ما تكره قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل
من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استيناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل
فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام وهو اسحق لقوله فبشرناه
باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد
له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة ولذلك قال فبم تبشرون
اي فباي اعجوبة تبشرون او فباي شيء تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه

بشارة بغير شيء وقرا ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القران على ادغام نون الجمع
في نون الوقاية ونافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين
ودلالة بابقاء نون الوقاية على اليا **قالوا بشرناك بالحق** بما يكون لا محالة او باليقين
الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله وامره **فلا تكن من القانطين**
من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ
فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم باعتبار العادة دون القدرة ولذلك **قال**
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون
سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم
الكافرون وقرا ابو عمرو والكسائي ومن يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما
قنط بالفتح **قال فما خطبكم ايها المرسلون** اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله
سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة
لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف
الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدوا بها **قالوا انا ارسلنا الى قوم**
مجرمين يعني قوم لوط **الا آل لوط** ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم
مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملا
للمجرمين وال لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط منهم لنهلك
المجرمين وننجي ال لوط ويدل عليه قوله **انا لمنجوهم اجمعين** اي مما نعذب به القوم وهو
استيناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بال لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز
ان يكون قوله **الا امراته** استثناء من ال لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من
ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم مخففه **قدرنا انها لمن الغابرين**
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرا ابو بكر عن عاصم هنا وفي النمل قدرنا بالتخفيف وانما علق
والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا
لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم
وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به **فلما جاء آل لوط المرسلون قال**
انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر **قالوا بل**
جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك
ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه **واتيناك بالحق**
باليقين من عذابهم **وانا لصادقون** فيما اخبرناك به **فاسر باهلك** فاذهب بهم
في الليل وقرا الحجازيان بوصل الالف من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير **بقطع من**
الليل في طائفة من الليل وقيل في اخره قال فانتحى الباب وانظر في النجوم كم علينا من
قطع ليل بهيم **واتبع ادبارهم** وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم

ولا يلتفت

ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه
ما اصابهم او ولا ينصرف احد منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات
ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة **وامضوا حيث تؤمرون** الى حيث امركم الله بالمضي
اليه وهو الشام او مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف
على الاتساع **وقضينا اليه** اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى **ذلك الامر**
مبهم يفسره **ان دابر هؤلاء مقطوع** ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك
تفخيم الامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن
آخرهم حتى لا يبقى منهم احد **مصبحين** داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء
او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء في معنى مدبري هؤلاء
وجاء اهل المدينة سدوم **يستبشرون** باضياف لوط طمعا فيهم
قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى
ضيفه فقد اسيء اليه **واتقوا الله** في ركوب الفاحشة **ولا تخزون** ولا تذلوني
بسببهم من الخزي وهو الهوان او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **قالوا اولم ننهك**
عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون
لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم **قال هؤلاء**
بناتي يعني نساء القوم فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في هود **ان كنتم**
فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم **لعمرك** قسم بحياة المخاطب وهو النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة ذلك والتقدير لعمرك قسمي
وهي لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم
انهم لفي سكرتهم لفي غوايتهم او شدة غلمتهم التي ازالت عقولهم وتمييزهم بين
خطئهم والصواب الذي يشار به اليهم **يعمهون** يتحيرون فكيف يسمعون نصحك
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض **فاخذتهم الصيحة** يعني صيحة هائلة
مهلكة وقيل صيحة جبريل **مشرقين** داخلين في وقت شروق الشمس **فجعلنا**
عاليها عالي المدينة او عالي قراهم **سافلها** فصارت منقلبة بهم **وامطرنا عليهم**
حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان
لهذه القصة في سورة هود **ان في ذلك لآيات للمتوسمين** للمتفكرين المتفرسين
الذين يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته **وانها** وان المدينة او القرى
لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون اثارها **ان في ذلك لآية للمؤمنين**
بالله ورسوله **وان كان اصحاب الايكة لظالمين** هم قوم شعيب كانوا يسكنون
الغيضة فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة **فانتقمنا**
منهم بالاهلاك **وانهما** يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما

فكان ذكر احدهما منبها على الاخر **لَبِاِمَامٍ مُبِينٍ** لطريق واضح واللام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومصر السا واللوح لانهما مما يؤتما به **وَلَقَدْ كَذَّبَ اَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ** يعني ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونها **وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا** [مُعْرِضِينَ] يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها وما نصب لهم من الادلة **وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ** من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه **فَاَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا اَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ** الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هولاء وازاحة فسادهم من الارض **وَاِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ** فينتقم الله لك فيها ممن كذبك **فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ** ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم قيل هو منسوخ باية السيف **اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ** الذي خلقك وخلقهم وبيده امورك وامورهم **الْعَلِيمُ** بحالك وحالهم فهو حقيق ان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمن وابي هو الخالق وهو يصلح للكثير والقليل والخلاق يختص بالكثير **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا** سبع ايات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطوال وسابعتها الانفال والتوبة وانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس والحواميم السبع وقيل سبع صحايف وهي الاسباع **مِنَ الْمَثَانِي** بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثنا فان كل ذلك مثني تكرر قراته والفاظه او قصصه ومواعظه ومثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القران او كتب الله كلها فيكون من للتبعيض **وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ان اريد بالسبع الايات او السور فمن عطف الكل على البعض والعام على الخاص فان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الاخر **لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ** لا تطمح ببصرك طموح راغب **اِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ** اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه السلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وساير الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع ايات هي خير من هذه القوافل السبع **وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ** انهم لم يومنوا وقيل انهم المتمتعون به **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ** وتواضع لهم وارفق بهم **وَقُلْ اِنِّي اَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ** انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا **كَمَا اَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ** مثل العذاب الذي انزل

عليهم

عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنى عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول فاهلكهم الله يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه قوله ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ** عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب امنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القران ما يقرونه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون قوله لا تمدن الى اخره اعتراضا ممدا لها **الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ** اجزاء جمع عضة واصله عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وقيل فعلة من عضته اذا بهته وفي الحديث لعن الله العاضهة والمستعضهة وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدا خبره **فَوَرَبِّكَ لَنَسْاَلَنَّهُمْ اَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ** من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل عام في كل ما فعلوه من الكفر والمعاصي **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ** فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرايع **وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** فلا تلتفت الى ما يقولون **اِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ** بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون في ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيها شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف حارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح براسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي **الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ اِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ** عاقبة امرهم في الدارين **وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ** من الشرك والطعن في القران والاستهزاء بك **فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ** فافزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق **وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ** من المصلين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَاْتِيَكَ الْيَقِينُ** اي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم **سُورَةُ**

بسم الله الرحمن الرحيم

النحل مكية غير ثلاث ايات في اخرها وهي مائة وثمان وعشرون اية

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما وعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة واهلاك الله اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الاتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرا وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرا حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمومنين او لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبي عليه السلام ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القران فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل او يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرا ابو بكر ينزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل من امره من امره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا اعلمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصي بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول او مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والاية تدل على انه نزول الوحي بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو اقصى كمالات القوة العملية وان النبوة عطائية والايات التي بعدها دلالة وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منها او مما يفتقر في وجوده او بقائه اليها او مما لا يقدر على خلقها وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس بها ولا حراك سيالة لا يحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روي ان ابي بن خلف اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره خلقها لكم او بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ما خلق لاجله وما بعده تفصيل له فيها دفء ما يدفا به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تاكلون اي تاكلون ما يوكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاي او لان الاكل منها هو المعتاد المعتمد

عليه في المعاش

عليه في المعاش واما الاكل من ساير الحيوانات الماكولة فعلى سبيل التداوي والتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المرعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظاير حاضرة لاهلها وقرى حينا على ان تريحون وتسرحون وصف له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه اي ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا من ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرى بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر اليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرءوف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرى بغير واو لتركبوها زينة وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الاية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضروري اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلايق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لم يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا وعليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك لا يميل عنه والمراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر حائد عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله ان يبين طرق الضلالة او لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرى ومنكم جائر اي عن القصد ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا باس به لان مياه العيون والابار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصله السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات

ينبت لكم به الزرع وقرا ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كلها ينبت من الثمار ولعل تقديمها يسام فيه على ما يمكن منه لانه يصير غذا حيوانيا هو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح فيه بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منه عروق ثم تنمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الاية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم مسخرات بامره حال من الجميع اي نفعكم بها حال كونها مسخرات لله خلقها ودبرها كيف يشاء او لما خلق له بايجاده وتقديره او لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر في تكوين النبات حركة الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل او مصدر جمع لاختلاف النوع وقرا حفص والنجوم مسخرات على الابتدا والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الايات وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة وغير موجبة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض عطف على الليل اي وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطبايع والهياة والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشق الماء بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعم الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيبه الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى

في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك وان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله وعلامات معالم يستدل بها السابل من جبل ومنهل وريح ونجوم وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه انه قرى بالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مساريهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلايل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساوي ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك بل على ايجاد شيء ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم او الاصنام واجروها مجرى اولي العلم لانهم سموها الهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة وكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر وتفكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك اعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم والذين تدعون من دون الله اي والالهة التي تعبدونهم من دون الله وقرا ابو بكر يدعون بالياء وحفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انها لا تخلق لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات هي اموات لا تعتريها الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان

يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء عبادتهم
والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان
البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعي بعد اقامة الحجج فالذين
لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم
بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا
فيما يسمع وينتفع بها والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان
اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه
والالتفات اليه والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم
حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو في موضع الرفع بجرم لانه مصدر
او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده واتباع رسوله
واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القايل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون
قالوا اساطير الاولين اي ما يدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على
التهكم او العرض او على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقايلون له هم المقتسمون
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالهم
كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض من
اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم
انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل
الا ساء ما يزرون بيس شيا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اي سووا منصوبات
ليمكروا بها رسل الله فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها
بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب
من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود
بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة الاف ذراع ليترصد امر السما فاهب الله الريح فخر
عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله تعالى ربنا
انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاءي اضاف الى نفسه استهزاء وحكاية
لاضافتهم زيادة في توبيخهم وقرا البزي بخلاف عنه اين شركاي بغير همز والباقون بالهمز الذين
كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم وقرا نافع بكسر النون بمعنى تشاقونني فان
مشاقة المؤمنين كمشاقة الله قال الذين اوتوا العلم اي الانبياء والعلماء الذين كانوا يدعونهم
الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملايكة ان الخزي اليوم والسوء الذلة
والعذاب على الكافرين وفايدة قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون
لطفا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملايكة وقرا حمزة بالياء وقرا الباقون بادغام التاء في التاء
وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا

السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قايلين ما كنا نعمل
من سوء كفر وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال
على الاستسلام بلى اي فتجيبهم الملايكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو
يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى اخر الاية استيناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيمة
وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم يكن في زعمنا واعتقادنا
عاملين سوءا ويحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم فادخلوا ابواب جهنم
كل صنف بابه المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبيس
مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم
قالوا خيرا اي انزل خيرا ونصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوا على السؤال
معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم
من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوفد للمقتسمين قالوا لهم ما قالوا واذا
جاء المؤمنين قالوا لهم ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في
الدنيا ولدار الاخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم
ويجوز ان يكون ما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم
دار المتقين دار الاخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف
ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما
يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد
جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم
وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملايكة طيبين طاهرين من ظلم
انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملايكة
اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس
يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هو التوفي وفاة الحشر لان الامر
بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تاتيهم
الملايكة لقبض ارواحهم وقرا حمزة والكسائي بالياء او ياتي امر ربك القيامة
او العذاب المستاصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين
من قبلهم فاصابهم ما اصابهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم
يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء
سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه

من شيء انما قالوا ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتعليق بان ماشاء الله يجب وما
وما لم يشا يمتنع فما الفايدة فيها او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير محتجين
بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشا خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا
اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعد تنبيه على الجواب من الشبهتين كذلك فعل الذين
من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسل الا البلاغ
المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهو ان لم يوثر في هدي من يشاء الله هداه ولكنه
يودي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لا مطلقا بل باسباب
قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدي من اراد
الله هداه وزيادة لضلال من اراد الله ضلاله كالغذا الصالح فانه ينفع المزاج السوي
ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان
اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يامر بعبادة الله واجتناب الطاغوت
فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم
ولم يرد هدايهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال
وثباته بفعله وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح في الاية الاخري فسيروا
في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم
لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد
ضلاله والمعنى من حقت عليه الضلالة وقرا غير الكوفيين لا يهدى على البنا للمفعول
وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد
ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا
التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله ابلغ رد فقال
بلى يبعثهم الله وعدا مصدر موكد لنفسه وهو ما دل عليه بلى فان يبعث موعد من الله
عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضي حكمته حقا صفة اخرى
للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة
التي جرت عادته تعالى براعاتها واما لقصور نظرهم على المالوف فيتوهمون امتناعه ثم
انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم بعض الذي يختلفون فيه
وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة
الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والمبطل
بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض ارادته ومشيته لا توقف له على
سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشيا ابتداء بلا سبق مادة
ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي هنا وفي يس فيكون عطفا على

يقول

يقول او جوابا للامر والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله
واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجروا بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينه او المحبوسون
المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار
وياسر وابو جندل بن سهيل وقوله في الله اي في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا
حسنة مباءة حسنة وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر مما يعجل لهم
في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ
بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما اذخر لك في الاخرة افضل لو كانوا
يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا
على الشدايد كاذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى
ربهم يتوكلون منقطعين الى الله مفوضين الامر كله اليه وما ارسلنا من قبلك
الا رجالا يوحي اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اي جرت
السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملايكة
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه اهل الكتاب فاسالوا
اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفي الاية دليل
على انه تعالى لم يرسل امراة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله جاعل الملايكة رسلا
معناه رسلا الى الملايكة او الى الانبيا وقيل لم يبعثوا الى الانبيا الا متمثلين بصورة الرجال
ورد بما روي انه عليه السلام راى جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة
الى العلما فيما لا يعلم بالبينات والزبر اي ارسلناهم بالبينات والزبر اي المعجزات والكتب
كانه جواب قايل قال بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا في الاستثنا مع رجالا
اي وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم
اي رجالا متلبسين بالبينات او بيوحي على المفعولية او حالا من القايم مقام فاعله
وهم اليهم على ان قوله فاسالوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام
وانزلنا اليك الذكر اي القران وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس
ما نزل اليهم في الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم
والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل
ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتاملوا فيه فينتبهوا للحقايق افامن الذين
مكروا السيات اي المكرات السيات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبيا او الذين
مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف
الله بهم الارض كما خسف بقارون او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم اي متقلبين في مسايرهم
ومتاجرهم فما هم بمعجزين او ياخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم

فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيئا بعد شي في انفسهم واموالهم
حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي ان عمر رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف
العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن فقال عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال
شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم **فان ربكم لرءوف رحيم**
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة **اولم يروا الى ما خلق الله من شيء** استفهام انكار
اي قد راوا امثال هذه الصنايع فما بالهم لم يتفكروا فيه ليظهر لهم كمال قدرته وقهره
فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها **يتفيؤا ظلاله** اي اولم ينظروا الى المخلوقات
التي لها ظلال متفيئة وقرا حمزة والكسائي تروا بالتاء وابو عمرو تتفيؤا بالتاء **عن اليمين
والشمايل** اي عن ايمانها وشمايلها اي عن جانبي كل واحد منها استعارة عن يمين الانسان
وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمايل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله **سجدا لله وهم داخرون** وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد
من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت
لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طاطا راسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون
حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها
ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على
الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في نفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة
لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف
العقلاء وقيل المراد باليمين والشمايل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار
يبتدي من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض مدبرا من المغرب واقعة على الربع الشرقي
من الارض **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض** اي ينقاد انقيادا يعم
الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة
السموات والارض وقوله **من دابة** بيان لهما لان الدبيب هي الحركة الجسمانية سواء كان
في ارض او سما **والملائكة** عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف
المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض
والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما او المراد بها ملائكتها من الحفظة
وغيرهم وما لما استعمل للعقلا كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
من الاطلاق من تغليبا للعقلا **وهم لا يستكبرون** عن عبادته **يخافون ربهم
من فوقهم** يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى

تخوف الرحل منها تامكا قردا
كما تخوف عود النبعة السفن

وهو

وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له او تقرير لان
من خاف الله لم يستكبر عن عبادته **ويفعلون ما يؤمرون** من الطاعة والتدبير
وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجا **وقال الله لا تتخذوا
الهين اثنين** ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه يعني
وايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله **انما هو اله واحد** للدلالة على ان
المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية
فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا
بالمقصود كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون **وله ما في السموات
والارض** خلقا وملكا **وله الدين** اي الطاعة **واصبا** لازما لما تقرر من ان الاله
وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل
الدين الجزاء اي وله الجزاء دايما لا ينقطع ثوابه لمن امن وعقابه لمن كفر **افغير الله
تتقون** ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال **وما بكم من نعمة فمن الله** اي واي شيء
اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار
دون الحصول فان استقرار النعمة بهم تكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها
منه **ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون** فما تتضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت
في الدعاء والاستغاثة **ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون**
وهم كفاركم **ليكفروا** بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا
بالمشركين كان من للبيان كانه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض
على ان يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد **بما اتيناهم** من نعمة
الكشف عنهم كانهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله **فتمتعوا**
امر تهديد **فسوف تعلمون** اغلظ الوعيد وقري فيمتعوا مبنيا للمفعول
عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان يكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء
للجواب **ويجعلون لما لا يعلمون** اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير
لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد
الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية او المجعول له محذوف للعلم به **نصيبا
مما رزقناهم** من الزروع والانعام **تالله لتسئلن عما كنتم تفترون** من انها
الهة حقيقية بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه **ويجعلون لله البنات**
كانت خزاعة وكنانة يقولون الملايكة بنات الله **سبحانه** تنزيه له من قولهم او
تعجب منه **ولهم ما يشتهون** يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتدا
والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان افضى الى ان
يكون ضميرا الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف **واذا بشر**

أحدهم بالأنثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة
والحيا من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملو غيظا
من المراة يتوارى من القوم يستخفي منهم من سوء ما بشر به من شوم المبشر به
عرفا أيمسكه محدثا نفسه متفكرا في ان يتركه على هون ذل أم يدسه في التراب
ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ وما وقرئ بالتانيث فيهما ألا ساء ما يحكمون
حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم للذين لا يؤمنون بالآخرة
مثل السوء صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم
وكراهة للاناث ووادهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتي
والغني المطلق والوجود الفائق والنزاهة عن صفة المخلوقين وهو العزيز الحكيم
المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم
ما ترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها من
دابة قط بشوم ظلمهم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم او
من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه
لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون
بل هلكوا او عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكون كلهم
ظالمين حتى الانبياء عليهم السلام لجواز ان يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن اكثرهم
ويجعلون لله ما يكرهون اي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة
والاستخفاف بالرسل وارذال الاموال وتصف ألسنتهم الكذب مع ذلك وهو
أن لهم الحسنى اي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرئ
الكذب جمع كذوب صفة للألسنة لا جرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده
وأنهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته في طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر
الراء على انه من الافراط في المعاصي وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا
من التفريط في الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان
اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اي في الدنيا وعبر
باليوم عن زمانها او فهو وليهم حين كان يزين لهم او يوم القيامة على انه حكاية حال
ماضية او آتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين
اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف اي فهو ولي امثالهم والولي
القرين او الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم في القيامة
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذي اختلفوا فيه من التوحيد
والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان
على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف لتبين والله انزل من السماء ماء فاحيا به

الارض من بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان في ذلك لآية لقوم
يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم في الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل
الى العلم نسقيكم مما في بطونه استيناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير
ووحده ههنا للفظ وانثه في سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك
عده سيبويه في المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياس ومن قال انه جمع نعم
جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها او لواحده او له على المعنى فان المراد
به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر ويعقوب نَسقيكم بالفتح ههنا وفي المؤمنين
من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة
في الفرث وهو الاشياء الماكولة المنهضمة بعض الانهضام في الكرش وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف في كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا
واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذي
يغذي البدن لانهما لا يتكونان في الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش
ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز
القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم توزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل حقه ما يليق به بتقدير الحكيم
العليم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على
مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه
الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في
احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة
فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية
لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث
والدم المحل الذي يبتدأ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحبه لون الدم ولا رائحة
الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين
سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وقوله تتخذون
منه سكرا استيناف لبيان الاسقاء او بتتخذون ومنه تكرير للظرف والبدل او خبر
لمحذوف صفته تتخذون اي ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجه
الاول لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمار بمعنى الثمر والسكر مصدر
سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والاية ان كانت سابقة
على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل

الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلب باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر
فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم
بالنظر والتامل في الايات وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ الهمها وقذف في قلوبها وقرى النحل
بفتحتين أَنِ اتَّخِذِي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاد معنى القول
وتانيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ
ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرشون من كرم او سقف ولا في كل
مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببيت الانسان لما فيه من حسن الصنعة
وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بالالات وانظار دقيقة ولعل
ذكره للتنبيه على ذلك وقرى بيوتا بكسر البا وقرا ابن عامر وابو بكر يعرشون بضم
الرا ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فَاسْلُكِي ما اكلت سُبُلَ
رَبِّكِ في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق
التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذُلُلًا جمع ذلول وهي حال من السبل اي مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير في اسلكي
اي وانت ذلل منقادة لما امرت به يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا عدل عن خطاب النحل الى الخطاب
الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شَرَابٌ يعني العسل
لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في
بطنها عسلا ثم تقي ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة
متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شي كثير منها
كان العسل فسر البطون بالافواه مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ابيض واصفر واحمر واسود بسبب
اختلاف النحل او الفصل فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او
مع غيره كما في ساير الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه
مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله
وسلم عليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته
فما نفع فقال اذهب فاسقه العسل فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه ثانيه
فبرا فكانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله من احوال النحل إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فانه من تدبر تلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق
التدبر علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ باجال مختلفة وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ يعاد إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ اخسه يعني الهرم
الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل
خمس وسبعون لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية
في النسيان وسوء الفهم إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بمقادير اعمالهم قَدِيرٌ يميت الشاب النشيط

ويبقى الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت اجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم
ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك بمقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت
هذا المبلغ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فمنكم غني ومنكم فقير
ومنكم مالك ومنكم مملوك ومنكم من ان يتولون رزقهم وزرق غيرهم حالهم على خلاف ذلك فَمَا الَّذِينَ
فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ على مماليكهم فانما يردون عليهم
رزقهم الذي جعله الله في ايديهم فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ فالموالي والمماليك سواء في ان الله
رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية المقررة لها ويجوز ان يكون واقعة موقع الجواب
كانه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق
على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون
ان يشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساويهم فيه أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ
حين يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدون انه
من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والبا لتضمن
الجحود معنى الكفر وقرا ابو بكر تجحدون بالتا لقوله خلقكم وفضل بعضكم وَاللَّهُ جَعَلَ
لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا اي من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو
خلق حوا من ادم وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً واولادا او اولاد
او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل
هم الاختان على البنات وقيل الربايب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير
الوصفين وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وهو ان الاصنام تنفعهم
او ان من الطيبات ما حرم عليهم كالبحاير والسوايب وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ
حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام
او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته
مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه وَلَا يَسْتَطِيعُونَ اي لا يملكون او لا استطاعة
لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في لا يملك لان ما مفردة في معنى الالهة ويجوز ان يعاد
الى الكفار اي ولا يستطيع هولاء مع انهم احيا متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فَلَا
تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه
حال بحال إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك
ادخل في التعظيم من عبادته وعظيم جرمكم فيما تفعلون وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ذلك ولو علمتموه
لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رايكم دون
نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال وانه يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم

بمعطي رزقهم لهم

كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال **ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر**
على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل
يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر
المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع
الاشتراك او التسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية
بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل
للكافر المخذول والمومن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز عن الحر فانه ايضا عبد الله
وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والماذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان
المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنس فان
المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد **الحمد لله** كل الحمد له لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة
لانه مولى النعم كلها **بل اكثرهم لا يعلمون** فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها **وضرب الله**
مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم **لا يقدر على شيء** من الصنائع والتدابير
لنقصان عقله **وهو كل على مولاه** عيال وثقل على من يلي امره **اينما يوجهه** حيث يرسله
مولاه في امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول وتوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه ابو سعد
وتوجه بلفظ الماضي **لا يات بخير** بنجح وكفاية مهم **هل يستوي هو ومن يامر بالعدل**
ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس ويحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل
وهو على صراط مستقيم وهو في نفسه على صراط مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا وهو
يبلغه باقرب سعي وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان
ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمومن والكافر **ولله غيب**
السموات والارض يختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن
محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غايب عن اهل السموات والارض
وما امر الساعة وما امر قيام الساعة في سرعته وسهولته **الا كلمح البصر** الا كرجع
الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها **او هو اقرب** او امرها اقرب منه بان يكون في زمان نصف
تلك الحركة بل في الان الذي يبتدا فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان في ان
واو للتخيير بمعنى بل وقيل معناه ان الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشيء الذي يقولون فيه
هو كلمح البصر او هو اقرب او امرها اقرب مبالغة في استقرابه **ان الله على كل شيء قدير**
فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل عليه قدرته فقال **والله اخرجكم**
من بطون امهاتكم وقرا الكسائي بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر
الميم والهاء مزيدة مثلها في اهراق **لا تعلمون شيئا** جهالا مستصحبين جهل الجمادية
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم
جزئيات الاشيا فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرير الاحساس

حتى تحصل

حتى تحصل العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها **لعلكم**
تشكرون كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه **الم يروا الى الطير**
قرا ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة **مسخرات** مذللات للطيران
بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية له **في جو السماء** في الهوا المتباعد من الارض
ما يمسكهن فيه **الا الله** فان ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها
ولا دعامة تحتها تمسكها **ان في ذلك لايات** تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة
يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها في الهوى على خلاف طبعها
لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها **والله جعل لكم من بيوتكم سكنا**
موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب المتخذة من الادم ويجوز ان يتناول
المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها
انها من جلودها **تستخفونها** تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها **يوم ظعنكم**
وقت ترحالكم ووضعها او ضربها **ويوم اقامتكم** وقت الحضر او النزول وقرا الحجازيان
والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهي لغة **ومن اصوافها واوبارها واشعارها** الصوف
الضانية والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها **اثاثا**
ما يلبس ويفرش **ومتاعا** ما يتجر به **الى حين** الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى
مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم **والله جعل لكم**
مما خلق من الشجر والجبال والابنية وغيرها **ظلالا** تتقون به حر الشمس **وجعل**
لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع
كن **وجعل لكم سرابيل** ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها **تقيكم**
الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم **وسرابيل**
تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كلما يلبس **كذلك** كاتمام هذه
النعم التي تقدمت **يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون** اي تنظرون في نعمه فتؤمنون
به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من الجراح بلبس الدروع **فان تولوا** اعرضوا
ولم يقبلوا منك **فانما عليك البلاغ المبين** فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت
وهذا من اقامة السبب مقام المسبب **يعرفون نعمة الله** اي يعرف المشركون نعمة الله
التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله **ثم ينكرونها** بعبادتهم غير المنعم
بها وقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار
بعد المعرفة **واكثرهم الكافرون** الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم
لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم يقم عليه الحجة لانه لم يبلغ التكليف

بشهد
واما لانه مقام الكلام كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون **ويوم نبعث من كل امة شهيدا** وهو نبيها
لهم وعليهم بالايمان والكفر **ثم لا يؤذن للذين كفروا** في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل
في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على
ما يمنون به من شهادة الانبيا عليهم **ولا هم يستعتبون** وهم لا يسترضون من العتبى وهو
الرضى وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله **واذا رأى**
الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم **فلا يخفف عنهم** اي العذاب **ولا هم ينظرون**
يمهلون **واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم** اوثانهم التي يدعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه **قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك**
نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس لان يشطر عذابهم **فالقوا**
اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب بانهم شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة
وانما عبدوا اهواهم لقوله كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام ح
او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم
لي **والقوا** والقى الذين ظلموا **الى الله يومئذ السلم** الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في
الدنيا **وضل عنهم** وضاع عنهم وبطل **ما كانوا يفترون** من ان الهتهم ينصرونهم ويشفعون
لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم **الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله** بالمنع عن الاسلام
والحمل على الكفر **زدناهم عذابا** لصدهم **فوق العذاب** المستحق بكفرهم **بما كانوا**
يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم **ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم**
يعني نبيهم فان نبي كل امة بعث منهم **وجئنا بك** يا محمد **شهيدا على هؤلاء** على امتك
ونزلنا عليك الكتاب اي حال بالضما رقد **تبيانا** بيانا بليغا **لكل شيء** من امور الدين
على التفصيل او على الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس **وهدى ورحمة** للجميع وانما
حرمان المحروم من تفريطه **وبشرى للمسلمين** خاصة **ان الله يامر بالعدل** بالتوسط
في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين محض الجبر وعملا كتعديل الواجبات المتوسط
بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والتقدير **والاحسان**
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال
عليه السلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك **وايتاء ذي**
القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة **وينهى عن**
الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح احوال الانسان واشنعها
والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية **والبغي** والاستعلاء والاستيلاء
على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من
الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث
ولذلك قال ابن مسعود هي اجمع اية في القران للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمن بن

مطعون

مطعون ولو لم يكن في القران غير هذه الاية لصدق عليه انه تبيان لكل شيء وهدى ورحمة
للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه **يعظكم**
بالامر والنهي والميز بين الخير والشر **لعلكم تذكرون** تتعظون **واوفوا**
بعهد الله يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله **اذا عاهدتم** وقيل النذر وقيل
الايمان بالله **ولا تنقضوا الايمان** ايمان البيعة او مطلق الايمان **بعد توكيدها**
توثيقها بذكر الله ومنه وكد واكد بقلب الواو همزة **وقد جعلتم الله عليكم كفيلا**
شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه **ان الله يعلم**
ما تفعلون في نقض الايمان والعهود **ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها** ما غزلته
مصدر بمعنى المفعول **من بعد قوة** متعلق بنقضت اي نقضت غزلها من بعد ابرام
واحكام **انكاثا** طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول
الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شانه وقيل هي ريطة
بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقا تفعل ذلك **تتخذون ايمانكم دخلا**
بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر لا تكونوا متشبهين بامراة هذا
شانها متخذي ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه **ان تكون**
امة هي اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا
بقوم لكثرتكم وقلتهم او لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي
حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم **انما يبلوكم الله به** الضمير لان تكون امة
لانه بمعنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفا بعهد الله وبيعة رسوله
ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للربا وقيل للامر
بالوفا **وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب
والعقاب **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة** متفقة على الاسلام **ولكن يضل**
من يشاء بالخذلان **ويهدي من يشاء** بالتوفيق **ولتسئلن عما كنتم تعملون** سؤال
تبكيت ومجازاة **ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم** تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تاكيدا
ومبالغة في قبح المنهي **فتزل قدم** اي عن محجة الاسلام **بعد ثبوتها** عليها والمراد اقدامهم
وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحد عظيم فكيف باقدام كثيرة **وتذوقوا السوء**
العذاب في الدنيا **بما صددتم عن سبيل الله** بسبب صدودكم عن الوفا او صدكم غيركم
عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره **ولكم عذاب عظيم** في الاخرة
ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله عرضا يسيرا
وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد **انما عند الله**
من النصر والتنعيم في الدنيا والثواب في الاخرة **هو خير لكم** مما يعدونكم **ان كنتم**

تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتميز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضي ويفنى
وما عند الله من خزاين رحمته باق لا ينفد وهو تعليل الحكم السابق ودليل على ان
نعيم الجنة باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم على الفاقة واذا الكفار او على مشاق
التكاليف وقرا ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما يرجح فعله من اعمالهم
كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى
بيّنه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق
الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب فلنحيينه حيوة طيبة في الدنيا يعيش عيشا
طيبا فانه ان كان موسرا لم يرعه الحرص وخوف الفوات ان سهنا بعيشه وقيل في الاخرة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة فاذا قرات القران اذا اردت
قرائته كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فسئل الله
ان يعيذك بوساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان
المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المرتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه بذكر العمل
الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود
قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه
ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله
المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون
على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر الاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا
انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به اي بالله او بسبب
الشيطان مشركون واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ فجعلنا الاية الناسخة مكان
المنسوخة لفظا وحكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فينشئه مكانه وقرا ابن
كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر تتقول على الله تامر بشيء ثم
يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذ والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على
فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطا من الصواب
قل نزله روح القدس يعني جبريل واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود
وقرا ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على ان انزاله مدرجا على حسب المصالح
مما يقتضي عدم التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان
بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقايدهم
واطمانت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت
اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد

نعلم

نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التورية والانجيل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى وكان قد اسلم وكان
صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي
يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر وقرا حمزة والكسائي يلحدون
بفتح اليا لسان اعجمي غير بين وهذا وهذا القران لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة
والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره ويحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه
كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقران عربي تفهمونه بادنى تامل فكيف يكون ما تلقفه منه
وثانيهما هب انه يعلم المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك اعجمي وهذا
عربي مبين والقران كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي
في القران لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك
من غلام سوقي سمع منه بعض المنقولات مرتبا على كلمات اعجمية لعله لم يعرف معناها وطعنهم
في القران بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بايات الله
لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم
عذاب اليم في الاخرة هددهم على كفرهم بالقران بعد اماطة شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر
عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هم الكاذبون اي الكاذبون على الحقيقة او الكاملون
في الكذب لان تكذيب الايات والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب او الذين عادتهم الكذب
لا يصرفهم عنه دين ولا مروة او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد
ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض او من اولئك او من الكاذبون او مبتدا وخبره
محذوف للجواب الا من اكره على الافتراء او كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم
القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان
هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم
غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روي ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه
ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة في قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل
الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها
فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان
بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه
وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روي ان مسيلمة اخذ رجلين
فقال لاحدهما ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال فما تقول في فقال انت ايضا فخلاه وقال للاخر

ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول فيّ قال انا اصم فاعاد اليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع
بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الوعيد بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الاخرة بسبب انهم اثروها عليها وان الله لا يهدي القوم الكافرين
اي الكافرين في علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه واولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لا جرم انهم
في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد
ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اي عذبوا كعمار بالولاية والنصر
وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرا ابن عامر فتنوا بالفتح اي من بعد ما عذبوا المؤمنين
كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما
اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل
رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم او باذكر تجادل
عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى في خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى
كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم وضرب الله مثلا
قرية اي جعلها مثلا لكل قوم انعم عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم نقمته او لمكة كانت
امنة مطمئنة لا يزعج اهلها خوف ياتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا من كل مكان من
جوانبها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبوس
وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس
لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون
عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف
الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء للسيف ثم قال فاعتجر نظرا
بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال
التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله
حلالا طيبا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم الله عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم
عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة
واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن

اضطر

اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم
محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال
ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في
بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر
المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما ضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب
بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا
الكذب لما تصف السنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام او لوصف السنتكم الكذب اي لا
تحلوا ولا تحرموا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم الكذب
مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها
وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر
وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب
على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب
نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة
تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الاخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق
بقصصنا او بحرمنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا
ما عوقبوا عليه وهو تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون
للعقوبة ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله
وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا
من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم
يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا
متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو رئيس
الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج
الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى
مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة
ويقتدون بسيرته لقوله تعالى اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره
حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة
ابراهيم شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة
اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله وآتيناه في الدنيا

او يتعلق لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا الكذب لوصف السنتكم وهذا حلال وهذا حرام

حسنة بان حببه الى الناس حتى ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة
وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الاخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله
بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان
اجل ما اوتي ابرهيم اتباع الرسول ملته او للتراخي ايامه ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا
في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلايل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب
فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم
السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم
موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طايفة منهم وقالوا نريد يوم
السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم
وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه
تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت
بانعم الله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة
على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الابين والمعظمين بما يستحقه ادع من بعثت اليه الى
سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح
للشبهة والموعظة الحسنة والخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص
الامة الطالبين للحقايق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي
احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات
التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شبههم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن
سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال
والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من تابعه بترك
المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض
العادات ورفع الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه
عليه السلام لما راى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن اظفرني الله بهم سبعين مكانك فنزلت فكفر
عليه السلام عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوز وحث على العفو
تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الاكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين
من الانتقام للمنتقمين ثم صرح الامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة
علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا
تحزن عليهم على الكافرين او على المومنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون
في ضيق صدر من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول
والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين

هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون
بالشفقة على خلقه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله بالنعم
عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها او ليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية
سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله وان كادوا ليفتنونك الى اخر ثمان ايات وهي مائة
وعشر ايات بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع
الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره
وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على
الظرف وفايدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسرى ولذلك قرى من الليل اي بعضه
كقوله ومن الليل فتهجد من المسجد الحرام بعينه لما روي انه عليه السلام قال بينا انا
في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النايم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه
المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدا المنتهى لما روي انه عليه السلام
كان نايما في بيت ام هاني بعد صلاة العشا فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة عليها وقال
مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد واخبر به قريشا فتعجبوا منه وارتد ناس ممن امن به
وسعى رجال الى ابي بكر فقال ان كان قال لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على
ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طايفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم
بعدد جمالها واحمالها وقال تقدم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون
الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يومنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك
قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او جسده والاكثر انه
اسري بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك
تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مرفوعة لما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص
الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل
موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام بان الاجسام متساوية في قبول الاعراض
وان الله تعالى قادر على الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي
صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت
المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا
لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبيا من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار
لنريه من اياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء
له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والايات وقرى ليريه
بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه

علي حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا اي
علي ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل وقرا ابو عمرو بالياء علي ان لا يتخذوا من
دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصبا علي الاختصاص
او النداء ان قري ان لا تتخذوا بالتاء علي النهي او علي انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني
حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا وقري بالرفع
علي انه خبر محذوف او بدل من واو تتخذوا او ذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله
عليهم في انجاء اباءهم من الغرق بحملهم مع نوح في السفينة انه ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه
كان ببركة شكره وحث للذرية علي الاقتدا وقيل الضمير لموسى عليه السلام وقضينا
الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقتضيا مبتوتا في الكتاب في التورية لتفسدن في
الارض جواب قسم محذوف او قضينا علي اجراء القضاء المبتوت مجري القسم مرتين
افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعيبا وقتل ارميا وثانيهما قتل زكريا ويحيى
وقصد قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا ولتستكبرن عن طاعة الله او لتظلمن
الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر عامل
لهراسف علي بابل وجنوده وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل سوى اولي باس شديد
ذي قوة وبطش في الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقري بالحاء وهما اخوان خلال
الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا اصغارهم وحرقوا التوراة وخربوا
المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر علي ذلك اولوا البعث بالتخليه وعدم المنع
وكان وعدا مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة
والغلبة عليهم علي الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله في قلب بهمن بن اسفنديار لما
ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراءهم الى الشام وملك دانيال
فاستولوا علي من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود عليه السلام علي جالوت
فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر
مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم
لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا
فاذا جاء وعد الاخرة وعد عقوبة المرة الاخرة ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا
وجوهكم ليجعلوها بادية اثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرا ابن عامر وحمزة
وابو بكر ليسوء علي التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او الله ويعضده قراءة الكسائي
بالنون وقرئ لنسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوءن بفتح اللام علي
الاوجه الاربعة علي انه جواب اذا واللام في قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم
كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم

تبيرا

تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوايف
جودران وقيل خردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما يغلي فسالهم عنه
فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال
ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم
ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله قبل ان لا ابقي
احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرة فعاد الله بتسليطه
عليهم فقتل قريظة واجلى بني النضير وضرب الجزية علي الباقين هذا لهم في الدنيا وان عدتم
عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون علي الخروج منها ابد الاباد
وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم للحال او الطريقة
التي هي اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم
اجرا كبيرا وقرا حمزة والكسائي ويبشر بالتخفيف وان الذين لا يؤمنون بالاخرة
اعتدنا لهم عذابا اليما عطف علي ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين
ثواب وعقاب اعدائهم او علي يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدعو الله
عند غضبه بالشر علي نفسه وعلي اهله وماله او يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه
بالخير مثل دعائه وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته
وقيل المراد ادم فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روي انه عليه السلام
دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد
ثم ندم فقال اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد
بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر
خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا
وجعلنا الليل والنهار ايتين يدلان علي القادر الحكيم بتعاقبهما علي نسق واحد
بامكان غيره فمحونا اية الليل اي الاية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين
كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا اية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس
من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الايتان الشمس
والقمر وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار ايتين او جعلنا الليل والنهار ذوي ايتين
ومحو اية الليل هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا
الى المحاق وجعل اية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشيا بضوءها
لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به
الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب
وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه

من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشأمون بسنوح الطاير وبروحه استعير
لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه وَنُخْرِجُ لَهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية
تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من
مفعول محذوف وهو ضمير الطاير ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقري
ويُخرج اي الله عز وجل يَلْقَاهُ مَنْشُورًا لكشف الغطا وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة
ومنشورا حال من مفعوله وقرا ابن عامر يُلَقّاه على البنا للمفعول من لقيت كذا اقْرَأْ كِتَابَكَ
على ارادة القول كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا اي كفى نفسك والبا مزيدة وحسيبا
تمييز وعلى صلته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها
من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان
الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا
يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله
سواه وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما
تحمل وزرها وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا يبين الحجج ويمهد الشرايع فيلزمهم
الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً تعلقت
ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض
ان يموت ازداد مرضه شدة أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه
اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان
فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله فَفَسَقُوا فِيهَا كقولك
امرته فقرا فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب
له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق ويحتمل ان يكون مفعوله منويا
كقوله امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشي وآمرته فامر اذا كثرته وفي الحديث
خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب
ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امرنا
بالضم امارة اي جعلناهم امراء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة
واقدر على الفجور فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ يعني كلمة العذاب السابق بحلوله او بظهور معاصيهم
او بانهماكهم في المعاصي فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب
ديارها وَكَمْ أَهْلَكْنَا وكثيرا اهلكنا مِنَ الْقُرُونِ بيان لكم وتمييز له مِنْ بَعْدِ نُوحٍ كعاد وثمود
وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا
يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ
مقصورا عليها همه عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ قيد المعجل والمعجل له بالمشية والارادة

لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشية والهام فصل
ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقري ما يشاء والضمير فيه لله حتى يطابق المشهور وقيل
لمن يكون مخصوصا بمن اراد الله به ذلك وقيل الاية في المنافقين كانوا يراءون المسلمين و
يغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا
مَذْمُومًا مَدْحُورًا مطرودا من رحمة الله وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا
حقها من السعي وهو الاتيان بما امر والانتهاء عما نهي لا التقرب بما يخترعون بارائهم وفايدة
اللام اعتبار النية والاخلاص وَهُوَ مُؤْمِنٌ ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب
فانه العمدة فَأُولَئِكَ الجامعون للشرايط الثلاثة كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
من الله اي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كُلًّا اي كل واحد
من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه نُمِدُّ بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل الآنفة
مددا للسالفة هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ بدل من كلا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ من معطاه متعلق
بنمد وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر
تفضلا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا
على الحال وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا اي التفاوت في الاخرة اكبر لان
التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ الخطاب
للرسول والمراد به امته او لكل احد فَتَقْعُدَ فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة او فتعجز من قولهم قعد عن الشي اذا عجز عنه مَذْمُومًا مَخْذُولًا جامعا على
نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا
منصورا وَقَضَى رَبُّكَ وامر امرا مقطوعا به أَلَّا تَعْبُدُوا بان لا تعبدوا إِلَّا إِيَّاهُ
لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي
الاخرة ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا ناهية وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وبان تحسنوا
او واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان
تتعلق البا بالاحسان لان صلته لا يتقدم عليه إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا
أَوْ كِلَاهُمَا اما ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة للفعل
واحدهما فاعل يبلغن ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي يبلغان وهو عليها بدل من الف
يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون
توكيدا ومعنى عندك ان يكونا في كنفك وكفالتك فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ فلا تضجر
مما تستقذر منهما او تستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم
الفعل الذي هو اتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع وحفص
للتنكير وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقري به منونا وبالضم
للاتباع كمد منونا وغير منون والنهي عن ذلك يدل على المنع من ساير انواع الايذا قياسا

بطريق الاولى وقيل عرفًا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله
صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو في صف المشركين نهي عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان
بهما **ولا تنهرهما** ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهي والنهر والنهم اخوات
وقل لهما بدل التأفيف والنهر **قولا كريما** جميلا لا شراسة فيه **واخفض لهما**
جناح الذل تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحًا كما جعل لبيد في قوله وغداة ريح قد
كشفت وقرة اذ اصبحت بيد الشمال زمامها جعل للشمال يدًا وللقرة زمامًا وامره بخفضها
مبالغة او اراد جناحه لقوله واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة
كما يضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد
والنعت منه ذلول **من الرحمة** من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله
اليهما **وقل رب ارحمهما** وادع الله ان يرحمهما برحمته الباقية ولا يكتف برحمتك الفانية
وان كانا كافرين لان من الرحمة **كما ربياني صغيرا** رحمة مثل رحمتهما علي وتربيتهما
وارشادهما لي في صغري وفاء بوعدك للراحمين روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك
وهما يحبان بقاءك وانت تفعل وانت تريد موتهما **ربكم اعلم بما في نفوسكم** من قصد البر
اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا **ان**
تكونوا صالحين قاصدين الصلاح **فانه كان للاوابين** للتوابين **غفورا** ما فرط منهم
عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عامًا لكل تائب
ويندرج فيه الجاني على ابويه اندراجًا اوليًا لوروده على اثره **وآت ذا القربى حقه** من صلة الرحم
وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل
المراد بذي القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم **والمسكين وابن السبيل ولا تبذر**
تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او في الوضوء سرف
قال نعم وان كنت على نهر جار **ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين** امثالهم في
الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم في الاسراف
والصرف في المعاصي روي انهم كانوا ينحرون ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم في السمعة
فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بالانفاق في القربات **وكان الشيطان لربه كفورا** مبالغا
في الكفر فينبغي ان لا يطاع **واما تعرضن عنهم** وان اعرضت عن ذي القربى والمساكين
وابن السبيل حياء من الرد ويجوز بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية **ابتغاء**
رحمة من ربك ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان ياتيك فتعطيه او منتظرين
له وقيل معناه لفقد رزق من ربك اذ يفتح له فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه
ويجوز ان يتعلق بالجواب الذي هو قوله **فقل لهم قولا ميسورا** اي فقل لهم قولا لينا ابتغاء

رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس
وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور مثل اغناكم الله رزقنا الله واياكم **ولا تجعل**
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف
المبذر نهي عنهما وامر بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم **فتقعد ملوما** فتصير ملوما
عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير **محسورا** نادمًا او منقطعًا بك
لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعًا فقال من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب
الى امه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه
واعطاه وقعد عريانًا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم
سلاه بقوله **ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** يوسعه ويضيقه
لمشيئته البالغة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك **انه كان بعباده**
خبيرا بصيرا يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يريد ان
البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا
او انه تعالى يبسط تارة ويقبض اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا
كل البسط وان يكون تمهيدًا لقوله **ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق** مخافة الفاقة
وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال
نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبًا كبيرا لما فيه من قطع
التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثمًا وقرأ ابن عامر خطأ من اخطأ
يضاد الصواب وقيل هو مصدر خطئ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطئ في قوله تخاطأه القناص
حتى وجدته وخرطومه في منقع المار اسب وهو مبني عليه وقرئ خطا بالفتح والمد وخطا
بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا **ولا تقربوا الزنا** بالعزم واتيان المقدمات فضلا ان تباشروه
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح **وساء سبيلا** وبئس طريقا طريقه وهو
الغصب على الابضاع المؤدي الى قطع الانساب وهيج الفتن **ولا تقتلوا النفس التي**
حرم الله الا بالحق الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن
معصوم عمدا **ومن قتل مظلوما** غير مستوجب للقتل **فقد جعلنا لوليه** للذي
يلي امره بعد وفاته وهو الوارث **سلطانا** تسلطا بالمواخذة بمقتضى القتل على من عليه
او بالقصاص على القاتل فان قوله مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطا
لا يسمى ظلما **فلا يسرف في القتل** بان يقتل من لا يحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود
عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي فلا تسرفوا وقرأ
حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما **انه كان منصورا** علة النهي على الاستئناف
والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفي الاخرة بالثواب

واما لوليه فان الله ينصره حيث اوجب القصاص له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله
الولي اسرافا بايجاب القصاص او التعزير والوزر على المسرف ولا تقربوا مال
اليتيم فضلا ان تتصرفوا فيه الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد
بما عاهدكم الله من تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا
مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسأل الناكث ويعاتب
عليه او يسئل العهد لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموءودة باي ذنب قتلت
فيكون تخييلا ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم
ولا تبخسوا فيه وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي
عرب ولا يقدح ذلك في عربية القران لان العجمي اذا استعملته العرب اجري مجرى كلامهم
في الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تاويلا واحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع
ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس
لك به علم ما لم تعلم به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه
ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله
بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه السلام
من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج وقول الكميت ولا اتقفو
البري بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل
اولئك اي كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة
على صاحبها هذا وان اولا وان كان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم
القبيلين جاء لغيرهم لقوله والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير
كل اي كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في
عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا مسند الى عنه كقوله تعالى
غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطا لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم
وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة
ثم ابدالها بالفتح ولا تمش في الارض مرحا اي ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار
الحكم ابلغ وان كان المصدر اكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا
بشدة وطأتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاول وهو تهكم بالمختال وتعليل النهي بان الاختيال
حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التنزيل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمسة والعشرين
المذكورة من قوله ولا تجعل مع الله الها اخر وعن ابن عباس انها المكتوبة في الواح موسى كان
سيئة يعني المنهي عنه فان المذكورة مأمورات ومناهي وقرا الحجازيان والبصريان سيئه على انه

خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها
بدل من سيئة او وصف لها محمول على المعنى فانها بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب
مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل
للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على الحوادث كلها واقعة بارادة الله تعالى ذلك
اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق
لذاته والخير للعمل به ولا تجعل مع الله الها اخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر
ومنتهاه وان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه
راس الحكمة وملاكها ورتب عليه ما هو عائد الشرك في الدنيا في قوله اولا في الدنيا وثانيا ما
نتيجته في العقبى فقال فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله
تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار
والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات
لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد
اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون
له ما تكرهون ثم تجعل الملائكة الذين هم من اشرف خلق الله ادونهم ولقد صرفنا
كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القران في مواضع منه ويجوز ان
يراد بهذا القران ابطال اضافة البنات تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او
اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا وقرا حمزة والكسائي
ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة
طمانينة اليه قل لو كان معه الهة كما تقولون ايها المشركون وقرا ابن كثير
وحفص بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول ووافقهما نافع وابن عامر وابو
عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول ان يخاطب به المشركين
والثانية مما نزه به نفسه عن مقالهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعاداة كما
يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم لقوله
اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه تنزه تنزيها وتعالى
عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب
الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من
خواص ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء
الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال
حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون

نسبحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي هو يفهم تسبيحهم ويجوز أن
يحمل التسبيح بين اللفظ والدلالة لاسناده الي ما يتصور منه اللفظ والي ما لا يتصور
منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ علي معنييه وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر
وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة علي غفلتكم وشرككم
غفورا لمن تاب منكم واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالاخرة حجابا مستورا يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم مستورا اذا استتر كقوله وعده
ماتيا وقولهم سيل مفعم او بملي ومستور عن الحس او حجاب اخر لا يفهمون ولا يفهمون
انهم لا يفهمون نفي عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الايات بعد ما نفي عنهم التفقه للدلالة
المنصوبة في الانفس والافاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين علي الضلالة كما صرح به
بقوله وجعلنا علي قلوبهم اكنة تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا علي قلوبهم اكنة
اي منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه ولما كان القران معجزا من
حيث اللفظ والمعني اثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعني وادراك اللفظ واذا ذكرت
ربك في القران وحده واحدا غير مشفوع به الهتهم مصدر وقع موقع الحال واصله
يحد وحدة بمعني واحد او وحده ولوا علي ادبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد
ونفرة او تولية ويجوز ان يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن اعلم بما يستمعون به
بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقران اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وكذا واذ هم
نجوي اي نحن اعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين
هم ذوو نجوي يتناجون به ونجوي مصدر ويحتمل نجي اذ يقول الظالمون ان تتبعون
الا رجلا مسحورا مقدر باذكر وبدل باذ هم نجوي علي وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة
علي ان تناجيهم بقولهم هذا او المسحور الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة
اي الا رجلا يتنفس ياكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون
سبيلا اي طعن موجه فيه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في امره لا يدري ما يصنع او الي
الرشاد وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا حطاما ائنا لمبعوثون خلقا جديدا
علي الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل في ما قبله وخلقا
مصدر او حال قل جوابا لهم كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم
اي مما يكبر عندكم عن قبول الحيوة لكونه ابعد شئ منها فان قدرته تعالي لا تقصر عن احيائكم
لاشتراك الاجسام في قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة

بالحياة

بالحيوة قبل والشي قبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي
فطركم اول مرة وكنتم ترابا وما هو ابعد منه من الحياة فسينغضون اليك
رءوسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متي هو قل عسي ان
يكون قريبا فان كل ما هو ات قريب وانتصابه علي الخبر او الظرف اي يكون في زمان
قريب وان يكون اسم عسي او خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون
اي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعا والاستجابة للتنبيه علي سرعتهما وتيسير
امرهما وان المقصود منهما الاحضار للمحاسبة او الجزا بحمده حال منهم اي حامدين
لله علي كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن انفسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك او منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون ان لبثتم الا قليلا
وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر علي قرية او مدة حياتكم لما ترون من الهول
وقل لعبادي يعني المؤمنين يقولوا التي هي احسن الكلمة التي هي احسن ولا يخاشنوا
المشركين ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي
الي العناد وازدياد الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر
العداوة ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم تفسير
للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم
من اهل النار فانه يهيج علي الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما
ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم علي الايمان وانما ارسلناك
مبشرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالاحتمال منهم روي ان المشركين افرطوا في ايذائهم
فشكوا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل فهم به فامره
الله بالعفو وربك اعلم بمن في السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته
وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون
العراة الجياع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين علي بعض بالفضائل النفسانية
والتبري عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتي داود فان شرفه
بما اوحي اليه من الكتاب لا بما اوتي من الملك وقيل هو اشارة الي تفضيل رسول الله
صلي الله عليه وسلم وقوله واتينا داود زبورا تنبيه علي ان وجه تفضيله
وهو انه خاتم الانبياء وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب في الزبور من ان الارض
يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور لانه
في الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم
فهو كالعباس او الفضل او لان المراد واتينا داود بعض الزبور او بعضا من الزبور
وفيه ذكر الرسول قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه كالملائكة والمسيح
وعزير فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر

والقحط ولا تحويلا ولا تحويله ذلك منكم الى غيركم اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة هؤلاء الالهة يبتغون الى الله القربة بالطاعة ايهم
اقرب بدل من واو يبتغون اي يبتغي من هو اقرب منهم الى الوسيلة فكيف بغير
الاقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم
الهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل
والملائكة وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت
والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك
في الكتاب في اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل بالايات
وما صرفنا عن ارسال الايات التي اقترحتها قريش الا ان كذب بها الاولون الا تكذيب
الاولين الذين هم امثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوها تكذيب اولئك
واستوجبوا الاستيصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان لا نستاصلهم لان فيهم
من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الايات المقترحة فقال وآتينا
ثمود الناقة بسؤالهم مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوي بصائر
وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل
بالايات اي بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستاصل فان لم يخافوا نزل
او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القران الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت
اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة او في موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك
واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم في قبضة قدرته او احاط بقريش
بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال
انه كان في المنام ومن قال انه كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية
حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال راها بمكة وحكاها حينئذ ولعله
راها في وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولما روي انه ورد ماءها قال لكأني
انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا
منه وقيل راى قوما من بني امية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا
يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث في ايامهم والشجرة
الملعونة في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا
ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمي وبر السمندل
من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التي تبلعها قدر
ان يخلق في النار شجرة لا تحرقها ولعنها في القران لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة
او وصفها بانها في اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم

طعام

طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وبابي جهل والحكم بن ابي العاص وقرئت
بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اي والشجرة الملعونة في القران كذلك ونخوفهم بانواع
التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته
من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول وخلقته
وهو طين او منه اي اسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بالعلة والانكار قال
ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب
وهذا مفعول اول والذي صفته والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى
اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بامري بالسجود له بم كرمته علي لئن اخرتني الى
يوم القيامة كلام مبتدا واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته
الا قليلا اي لاستاصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر على ان اقاوم شكيمتهم من احتنك
الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما
استنباطا من قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم
وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له
نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب
على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر لصاحبك
عرضه فرة وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما في جازيكم من معنى تجازون او حال
موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه
والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة
وهي الصياح بخيلك ورجلك باعوانك راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله
عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب
ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من
اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استاصلهم وقرا حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم
وهما لغتان كقدس وقدس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ رجالك ورجالك وشاركهم
في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث
على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل
على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة
كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بطول الامل وما يعدهم
الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطا بما يوهم
انه صواب ان عبادي يعني المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك
منهم المخلصين تخصيصهم ان عبادي ليس لك عليهم

سلطان اى على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به في الاستعاذة منك
على الحقيقة ربكم الذي يزجي هو الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا
من فضله الربح وانواع الامتعة التي تكون عندكم انه كان بكم رحيما
حيث هيا لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من اسبابه واذا مسكم
الضر في البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم الا اياه وحده فانكم ح لا يخطر ببالكم سواه ولا تدعون لكشفه الا اياه
او ضل كل من تدعونه على اعانتكم الا الله فلما نجيكم من الغرق الى البر
اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم في كفران النعمه لقول ذي الرمة عطا
فتى تمكن في المقال فاعرض في المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا
كالتعليل للاعراض افامنتم الهمزة فيه للانكار والفا للعطف على محذوف
تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم في البحر
قدر ان يهلككم في البر بالخسف وغيره ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه
الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرا ابن كثير
وابو عمرو بالنون فيه وفي الاربعة التي بعده وفي ذكر الجانب تنبيه على انهم كما وصلوا
الساحل كفروا واعرضوا وان الجانب والجهات في قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه
من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اي ترمي بالحصبا
ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه
في البحر تارة اخرى بخلق دواع تلجيكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا
من الريح لا تمر بشي الا قصفته اي كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده
الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم
علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بني ادم بحسن الصورة
والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتمييز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدي
الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما في الارض والتمكن من الصناعات واتساق الاسباب
والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون
احصايه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان
فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا
اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الما ورزقناهم
من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم
على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء وبالشرف والكرامة والمستثنى
من جنس الملايكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة
موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر وظرف لما دل

عليه ولا يظلمون وقرى يدعو ويدعا ويدعو على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعلوا
في الافعى على ان الواو علامة الجمع كما في قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل
منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما في
يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب
اعمالهم التي قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اي تنقطع علقة الانتساب وتبقى علقة
الاعمال وقيل بالقوى الحاصلة لهم على عقايدهم وافعالهم بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة
في ذلك اجلال عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي
كتابه من المدعوين بيمينه اي كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا
بما يرون فيه ولا يظلمون فتيلا ولا ينقصون من اجورهم ادنى شي وجمع اسم الاشارة
والضمير لان من اوتي في معنى الجمع وتعليق القراة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتي كتابه
بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم عن القراءة ولذلك
لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان المعنى
لا يقرا الكتاب والمعنى ومن كان في هذه الدنيا اعمى القلب لا يبصر رشده كان في الاخرة اعمى
لا يرى طريق النجاة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة
وقيل لان الاهتدا بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثاني للتفضيل
من عمي بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن
فكانت الفه في حكم المتوسطة في اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة في الطرف لفظا
وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء في التثنية وقد امالهما حمزة والكسائي
وابو بكر وان كادوا ليفتنونك نزلت في ثقيف قالوا لا ندخل في امرك حتى تعطينا
خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل
ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان
قالت العرب لم فعلت كذلك فقل ان الله امرني وقيل في قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر
حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا
بمبالغتهم ان يوقعوك في الفتنة بالاشراك عن الذي اوحينا اليك من الاحكام لتفتري
علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
بافتتانك وليا لهم بريا من ولايتي ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على
صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان
تقرب من الركون فضلا من ان تركن اليه وهو صريح في انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة
الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اي لو قاربت لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به

في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطر الخطير خطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا
في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم
اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب
الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك
وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض
ارض مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك
الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته وقيل الاية نزلت في اليهود
حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا
فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بني قريظة واجلي
بني النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك
لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا
سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اي سن الله ذلك سنة
وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافها الى الرسل لانها
من اجلهم ويدل عليه ولا تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك
الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه السلام اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت
فصلى بي الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك
لا تستقر يده وكذا ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك
من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه لدفع شعاعها واللام للتاقيت مثلها في لثلاث خلون
الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت العشاء الاخرة وقران الفجر وصلاة الصبح سميت
قرانا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيها
لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة الفجر دل الامر باقامتها
على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا ان قران الفجر كان مشهودا يشهده ملائكة
الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت
بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس
ان فسرت الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلوة
صلوة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به
على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود
للصلوة والضمير للقران نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة
او فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما
يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام

الشفاعة

الشفاعة لما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره ان
الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله
اي فيقيمك مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني
اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني مخرج صدق اخراجا ملقى بالكرامة
وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا
من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة
واخراجه منه مؤديا وقيل ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ
مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من
لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر
واستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض
وقل جاء الحق الاسلام وزهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه
اذا خرج ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه السلام
دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته في عين واحد واحد منها
ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة
وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد ورمى به وكسره وننزل من القران ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافي
للمرضى ومن للبيان فانه كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض
كالفاتحة وايات الشفاء وقرا البصريان بترك التخفيف ولا يزيد الظالمين الا خسارا
لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر الله
ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن مستبد بامره ويجوز ان يكون
كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرا ابن عامر برواية ابن ذكوان ههنا وفي فصلت
وناء على القلب او على انه بمعنى نهض وامال الكسائي وخلف فتحة النون والهمزة في السورتين وامال
خلف فتحة الهمزة فيهما فقط وامال ابو بكر فتحة الهمزة هنا واخلص فتحها هناك وورش على اصله
في ذوات الياء واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد الياس من روح الله
قل كل يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة او
جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد
طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسألونك عن
الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات الكائنة
بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد باسره وحدث بتكونه على ان السؤال
عن قدمه وحدوثه وقيل مما استاثر الله بعلمه لما روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنهما او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض

اي منه عند البعث

وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة وقيل الروح
جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القران ومن امر ربي معناه من وحيه **وما اوتيتم
من العلم الا قليلا** تستفيدون بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية
انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد
علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيا من احواله المعروفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح
مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر
موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك
قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن
يوتى الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام
والبحر يمده من بعده وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان تعلم من الحق والخير ما
تسعه القوة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله
التي لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير **ولئن شئنا
لنذهبن بالذي اوحينا اليك** اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه
النايب مناب جزا الشرط والمعنى ان نشاء ذهبنا بالقران ومحوناه عن المصاحف والصدور
ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا **الا رحمة
من ربك** وانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا
بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة في
تنزيله **ان فضله كان عليك كبيرا** كارساله لك وانزال الكتاب عليك وابقائه
في حفظك **قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران** في البلاغة
وحسن النظم وكمال المعنى **لا ياتون بمثله** وفيهم العرب العربا وارباب البيان واهل
التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هي لكان جوابا للشرط
بلا جزم لكون الشرط ماضيا لقول زهير وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غايب
مالي ولا حرم **ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا** ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله
لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسايط في اتيانه ويجوز
ان يكون الاية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا **ولقد صرفنا** كررنا بوجوه مختلفة
زيادة في تقرير والبيان **للناس في هذا القران من كل مثل** من كل معنى هو كالمثل
في غرابته ووقوعه موقعا في الانفس **فابى اكثر الناس الا كفورا** الا جحودا وانما جاز ذلك
ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي **وقالوا لن نومن لك حتى تفجر لنا
من الارض ينبوعا** تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القران وانضمام
غيره من المعجزات اليه وقرا الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع
عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر **او تكون لك جنة**

من نخيل

من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى ان نشا نخسف بهم
الارض او نسقط عليهم كسفا من السما وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير
وابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القران الا في الروم وابن عامر الا في هذه
السورة وابو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر
وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن **او تاتي بالله والملائكة قبيلا** كفيلا بما
تدعيه اي شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال
من الله وحال الملائكة محذوف لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله واني وقيار بها لغريب
او جماعة فيكون حالا من الملائكة **او يكون لك بيت من زخرف** من ذهب وقد
قرئ به واصله الزينة **او ترقى في السماء** في معارجها **ولن نومن لرقيك** وحده **حتى
تنزل علينا كتابا نقرؤه** وفيه تصديقك **قل سبحان ربي** تعجبا من اقتراحاتهم
او تنزيها لله من ان ياتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقرا ابن كثير وابن عامر
قال سبحان ربي اي قال الرسول **هل كنت الا بشرا رسولا** كساير الرسل وكانوا لا
ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلايم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم
ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر في ايات
اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم ولو فتحنا عليهم بابا **وما
منع الناس ان يومنوا اذ جاءهم الهدى** اي وما منعهم الايمان بعد نزول
الوحي وظهور الحق **الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا** الا قولهم هذا والمعنى
انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد والقران الا انكارهم ان يرسل الله بشرا
قل جوابا لشبهتهم **لو كان في الارض ملائكة يمشون** كما يمشي بنو ادم **مطمئنين**
ساكنين فيها **لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا** لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه
واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من
التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به
وكذلك بشرا والاول اوفق **قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم** على اني رسول
اليكم باظهار المعجز على وفق دعواي او على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم
وشهيدا نصب على الحال او التمييز **انه كان بعباده خبيرا بصيرا** يعلم احوالهم الباطنة
منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول وتهديد للكفار **ومن يهد الله
فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه** يهدونه **ونحشرهم
يوم القيامة على وجوههم** يسحبون عليها او يمشون عليها روي انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان
يمشيهم على وجوههم **عميا وبكما وصما** لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم
ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم في دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع

الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار موفى القوى
والحواس مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ سكن لهيبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زِدْنَاهُمْ
سَعِيرًا توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مسعرة كانهم لما كذبوا
بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله
ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا
لان الاشارة الى ما تقدم من عذابهم أَوَلَمْ يَرَوْا اولم يعلموا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابدا
عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ هو الموت او القيامة فَأَبَى
الظَّالِمُونَ مع وضوح الحق إِلَّا كُفُورًا الا جحودا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ
رَبِّي خزاين رزقه وساير نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار
لطمتني وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص إِذًا
لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ لبخلتم مخافة النفاذ بالانفاق اذ لا احد الا ويختار
النفع لنفسه ولو اثر غيره بشي فانما يوثره لعوض يفوقه فهو اذا بخيل بالاضافة الى جود الله
وكرمه هذا وان البخلا اغلب فيهم وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا بخيلا لان بناء امره على الحاجة
والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذل وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ
بَيِّنَاتٍ وهي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر
وانفلاق البحر ونتق الطور على بني اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان
الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سال النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا
الربا ولا تمشوا ببري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف
وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبل اليهودي يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات
الاحكام العامة للملل الثابتة في كل الشرايع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها
في الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستانف
زايد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ
جَاءَهُمْ ليسلمهم معك او سلهم من حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم
معك ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ الماضي بغير همز وهو
لغة قريش واذ متعلق بقلنا او بسال على هذه القراءة او فسئل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين
موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك او يعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا
لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين
وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر
او باضمار اذكر على الاستيناف فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا
سحرت فتخبط عقلك قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه

عن نفسه مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ يعني الايات إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ
بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا
مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك اي ما صرفك او هالكا
قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب وظن موسى يحوم حول
اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون مثبورا على ان المخففة واللام
الفارقة فَأَرَادَ فرعون أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ ان يستخف موسى وقومه مِنَ الْأَرْضِ
ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستيصال فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا فعكسنا
عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ من بعد فرعون
واغراقه لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ التي اراد ان يستفزكم منها فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا
مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من
قبايل شتى وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ اي وما انزلنا القران الا ملتبسا بالحق المقتضي
لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما انزلناه من السماء الا محفوظا
بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد
به نفي اعتراء البطلان له اول الامر واخره وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا للمطيع
بالثواب وَنَذِيرًا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار
وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما
في قوله ويوم شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة
لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو
لغة فيه وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا على حسب الحوادث قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا
فان ايمانكم بالقران لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ تعليل له
اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قراوا الكتب السابقة وعرفوا
حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل او راوا نعتك وصفة
ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل
بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ
القران يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله او شكرا لانجاز
وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القران عليه
وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا عن خلف الموعد إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا لانه كان وعده كاينا
لا محالة وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر وعند انجاز
الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن
لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه للاختصاص لخروره وَيَزِيدُهُمْ

سماع القران خشوعا لما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التوراة فالمراد
على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما مطلقان على ذات واحد وان اختلف اعتبار اطلاقهما
والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضا
الي المقصود وهذا جواب لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعا
في الاية بمعنى التسمية وهو يتعدي الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه او للتخيير والتنوين في
ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في اي من الابهام والضمير في له للمسمى لان التسمية
له لا للاسم وكان اصل الكلام واياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسما الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام
ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو
فيها ولا تخافت بها حتى لا يسمع من خلفك من المومنين وابتغ بين ذلك سبيلا
بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد محبوب لما روي ان ابا بكر كان يخفت
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان
فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل
معناه لا تجهر بصلوتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات
نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه
ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا او اضطرارا وما يعاونه
ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد
بالايجاد والمنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمه او منعم عليه ولذلك عطف
عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بلغ في التنزيه والتحميد
واجتهد في العبادة والتمجيد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه السلام
كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية وعنه عليه السلام من قرا
سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف
اوقيه ومايتا اوقيه

تم الجزء الاول بحمد الله وتوفيقه

الجزء الاول قد صار في جمعه مشطور • ارجو ختام الثاني في غبطة وسرور • يا رب يسر كما احسنت في الاول • واوضح لنا ما خفي من سر
واغفر لمن الفه قاصدا به الاخلاص • واجعله في مقعد ترضاه له مبرور • وصل يا رب على من كان بعثته • خفقا للناس ومحو اوزار وظهور
كان الفراغ بحسب العجز والامكان • في يوم الاثنين والعشرين من شعبان • سنة واقعة ثالث السبعين • وفي المائة لتسع بينات الثاني
فان سال سائل عن محرر هذا • عبد يسمى علي مرتجي الغفران • ابن لمن قد سلف في سالف الاعوام • محمد الكردي يغفر له الرحمن
في • وصلى وسلم • والرحم لوالديه بالخير مشفقه • ثم اجزهما كرما بالفضل والاحسان •